



# فِقْهُ اللُّغَةِ وَخِصَالُ الْعَرَبِيَّةِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مُقَارِنَةٌ لِلْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
وَعَرْضٌ لِنَهْجِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَصِيلِ فِي التَّجْدِيدِ وَالتَّوْلِيدِ

تَأليف

محمّد البارك

عضو المجمع العلمي العربي

دار الفكر  
للطباعة والنشر والتوزيع



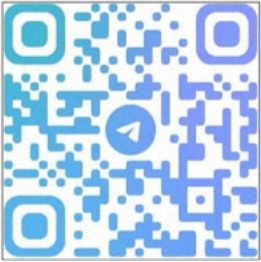
# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ



رابطہ بدیل  
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان والذي جعل اللغة العربية لغة باقية تحمل إلى الناس في مضامينها الخير وتكون أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض. تلبت ثبات الجبال الراسيات في اصولها وجذورها وتتجدد تجدد المياه الدافقة الدائمة التي تسقي الزرع وتحيي الأرض وتنبث الأزهار والأثمار وصلى الله على من جعلت معجزته الكبرى كتاباً ازل بلسان عربي مبين ليرسم بالأحرف العربية طريق الهداية للناس أجمعين .

وبعد فقد كنت ألفت كتاباً في فقه اللغة درست فيه الكلمة العربية من شتى جوانبها : حروفها وأصواتها ، مادتها وتركيبها ، صيغتها وبنائها ، دلالتها ومعانيها . وكان هذا الكتاب متضمناً لمحاضراتي التي ألقيتها على طلاب السنة الثالثة من قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة دمشق خلال عدة سنوات . وبعد الفراغ من تأليف الكتاب وطبعه دعيت سنة ١٩٦٠ لاقاء محاضرات في فقه اللغة على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة فأريت أن أجمع نتائج هذه الأبحاث التي بسطتها في كتابي ( فقه اللغة ) وأستخرج في كل ناحية من نواحي الكلمة العربية الخصائص المميزة للغة العربية وصلة هذه الخصائص بقلبية العرب وتركيبهم الاجتماعي وعاداتهم وأضفت إلى الأبحاث السابقة بحثاً للتعريب وبحث ( الأخطاء اللغوية ) الشائسة . وحولت في هذه الدراسة القائمة هيكل نظرية شاملة في فقه اللغة للكلمة العربية المفردة تصلح أساساً للبحث والتوسع وضمنتها أبحاثاً طريفة جديدة كالوظيفة الفنية للكلمة العربية ملفوظة ومكتوبة وتصنيف الأخطاء الشائسة والتمييز بين الخطأ والتجديد الذي تستسيته قواعد اللغة وأصولها . وقد جعلت من هذه الأبحاث موضوع محاضراتي في معهد

الدراسات وقام المهد بطبعها بعنوان (خصائص العربية ومنها الأصول في التجديد والتوليد) وقد رأيت بعد أن فقدت نسخ الكتابين أن أجمع بينها في كتاب واحد لما بين أبحاثهما من صلة وثيقة .

وقد جعلت كتاب فقه اللغة هو الأول لما يتضمنه من تعريف بالعلم وأقسامه ومن بسط للباحث الأساسية المتلقة بالكلمة المفردة بوجه عام ، ثم أتبعته بكتاب خصائص العربية ليكون ناظماً لثلاث الأبحاث الأولى موصلاً القارئ إلى نتائج تلك الأبحاث مقدماً له صورة شاملة جامعة عن الكلمة العربية مع مقابلتها بخصائص العرب وأساليبهم في الحياة والتفكير . وقد سرت في الكتابين على طريقة منطقية متدرجة مبتدئاً بالحروف باعتبارها الناصر الصوتية التي تتألف منها الألفاظ المفردة ثم انتقلت إلى مادة الكلمة أو تركيبها من الحروف التي تتألف منها وذلك هو بحث ( الاشتقاق ) ثم بحث في تركيب الكلمة من حيث شكل التركيب أو صيغة البناء وهو البحث المروف ( بالأبنية والأوزان ) ثم درست الكلمة من حيث ( الدلالة والمعنى ) وبذلك يتم بحث الكلمة المفردة من جميع جوانبها بطريقة تدرج في تأليف الكلمة من عناصرها وأجزائها ومن مجموع فواحيها وجوانبها . وبذلك أكون قد سرت بالقارئ في طريقة تركيبية تؤدي به إلى تلك الصورة الجامعة للكلمة العربية ، وتجنب الطريق التي سلكها كثير من المؤلفين في فقه اللغة العربية في عصرنا هذا . وذلك أنهم أهملوا الربط المنطقي بين الأبحاث ولم يلتفتوا إليه . فقد يتدىء أحدهم يبحث ظاهرة الأعراب وهو بحث يتصل بالكلام المركب وحقه أن يكون آخر أبحاث فقه اللغة ثم ينتقل إلى دلالة الحروف قبل البحث في الاشتقاق مع أنها فرع عنه وتنبهة له ثم يتحدث عن الاشتقاق ثم يعود إلى الحروف باعتبارها أصواتاً ، وهو أول بحث يوجب المنطق التحليلي البسده به . ويبحث مؤلف آخر في علم الأصوات ثم يقفز رأساً إلى النحو ونظم الكلام وتركيبه ، ثم يعود إلى بحث الدلالة وهو بحث يتصل بالكلمة المفردة من حيث معناها . وهذه الطريقة في التأليف إنما روعيت فيها ظروف المؤلف الشخصية في إنضاج بحث من الأبحاث والانتهاه منه ، ولم تراخ فيها طيبة الموضوع ، وتسلسل أجزائه ، والارتباط المنطقي بينها وما تقتضيه إحدى الطريقتين التحليلية

أو التركيبية . وذلك بأن يبدأ بالأجزاء صموداً نحو التركيب أو بالكلام المركب هبوطاً إلى الحروف والاصوات . والطريقة المنطقية في ترتيب الأبحاث هي التي تطلي القارىء صورة واضحة جامعة للكلمة المرية من جميع جوانبها في حال انفرادها أولاً ثم في حال تركيبها في الكلام . وأبحاثنا في الكتابين إنما تناولت الكلمة المفردة وأما الكلام المركب أو دراسة الجملة المرية ونظام تركيبها فذلك ما لم نبهته في كتابنا هذا مع أنه جزء من فقه اللغة في مفهومه الحديث . وقد بحثه أسلافنا في علمي النحو والمعاني ، ولكن فقه اللغة يبحث في افق أوسع ، ومن وجهة نظر أعم وأوسع ، مستفيداً من الموازنات بين اللغات المختلفة في طرائق تركيبها للكلام ، وملاحظاً اختلاف الشعوب في طرائق تسييرها . وهو بحث لا يزال ينتظر جهد الباحثين في اللغة المرية وقد ألم ببعض جوانبه الباحث الكبير الاستاذ المقاد في فصول موجزة من كتابه ( أشتات مجتمعات ) .

وإننا نرجو أن تكون في كتابنا هذا قد أثرنا عدداً من كبريات قضايا اللغة المرية ورسماً صورة شاملة تحليلية للكلمة المرية .

ولا بد لنا من الإشارة إلى أنه قد ظهرت مؤلفات جديدة في فقه اللغة منذ بدأت بتأليف كتابي فقه اللغة عام ١٩٥٧ ينفي الإشارة إليها ، كما ظهرت قبل هذا التاريخ كتب لم أكن قد اطلمت عليها حين تأليف الكتاب . ومن هذه المؤلفات كتاب ( مناهج البحث في اللغة ) ، و( اللغة بين المياريّة والوضعية ) للدكتور تمام حسان وكتاب ( دراسات في فقه اللغة ) لصديقنا الدكتور صبحي الصالح ، و( دراسات في فقه اللغة ) للدكتور ابراهيم السامرائي ، وكتاب ( علم اللغة ) للدكتور محمود السمران ، و( دور الكلمة في اللغة ) ترجمة الدكتور كمال بشر وتأليف أولمان ، و( أشتات مجتمعات ) للمقاد . وكلها مؤلفات جديدة تطلع الدارس العربي على ما وصل إليه فقه اللغة في الأمم واللغات الأخرى وتقدم له أبحاثاً جديدة في اللغة المرية .

وإننا نأمل أن تتسع في المرية هذه الأبحاث اللغوية وتنمو وتتجاوز مرحلة الاقتباس إلى مرحلة الأسئلة المبنية على خصائص المرية من جهة وعلى القوانين العامة التي وصل إليها الباحثون في سائر اللغات . ذلك أننا في مرحلة بداية عهد جديد في فقه اللغة المرية والآفاق التي تبعد لنا من دراسات علماء اللغة المقارنة والمامة تقتضينا جهداً كبيراً للبحث في استقراء

ظواهر اللغة العربية ، واستنباط خصائصها واتجاهاتها وتطورها . ولا يمكن الوصول إلى النتائج العامة الصحيحة إلا بعد استقراء وبحث طويلين . فنحن بحاجة إلى معاجم اشتقاقية جديدة ، تربط بين معاني ألفاظ المادة الواحدة ، أو الأسرة اللغوية — كما يسميها الترييون — وتم ما بدأت به معاجمنا القديمة ، وبقي ناقصاً ، وتكمل ما شرع به ابن فارس في مقاييس اللغة . ونحن بحاجة كذلك إلى معاجم تدل على تطور معاني الألفاظ بحسب المصور مع النصوص التي تشهد لذلك . ونحن بحاجة أيضاً إلى التعمق في دراسة الصيغ والأبنية وتطورها خلال المصور وإلى إتمام ما بدأ به علماء النحو والمفاتيح من دراسة نظم الكلام العربي وتركيبه ، مستفيدين من نتائج الأبحاث الجديدة في اللغات الأخرى في هذا الباب . إن الإلمام الواسع — ولا نقول الإحاطة لتمنرها — باللغة العربية ، مفرداتها ومعانيها ، وصيغها وتركيبها ، والاطلاع على كلام العرب ، وما وصل إلينا من شعرهم ونثرهم على اختلاف المصور ، ولا سيما عصور الأصالة العربية ، شرط أساسي لمن يريد البحث المجدي المنتج في فقه اللغة العربية . وإن فقدان هذا الشرط والاكتفاء بما تحصل لدى علماء اللغة الأجانب من نتائج وتطبيقاتها على اللغة العربية في حدود المعرفة المتبادرة المشتركة بين جميع المتقنين يؤدي إلى نتائج خاطئة وإلى إفساد العربية وسوء فهمها وخصوصاً إذا لابس ذلك الخلط في الدراسة بين الفصحى والعامية فإن إقحام العامية في هذه البحوث اللغوية مفسد للتتنا وإقرار بشرعية العامية وتمهيد لاستساغتها وفي ذلك ما فيه من شعوبية يقصد إليها كثير من المستشرقين . ولذلك فإننا نرى أن تدريس فقه اللغة في الجامعات العربية يجب أن يكون مسبقاً بدراسة متينة قوية لتتكون اللغة العربية تولد عند الطالب ملكة عربية سليمة وتزوده بمعرفة واسعة للغة العربية وقواعدها قبل أن يتلقى قوانين فقه اللغة ومباحثه العامة والمقارنة .

والله نسأل أن يوفق أبناء هذه اللغة لخدمتها وسياتها لتكون أداة للتعبير عن أفكار الناس ومصالحهم ووسيلة تفاهم وتعاون وتكون كذلك أداة تحمل في طياتها الخير إلى الإنسانية . وتؤدي دوماً ما أدته من قبل حين نزل بها كتاب الله رسالة الحق والخبر والسلام .

دمشق ٥ شوال ١٣٨٣ الموافق ١٨ شباط ١٩٦٤  
محمد المبارك  
الاستاذ في جامعة دمشق

## مقدمة الطبعة الأولى

حمد الله على ما منّ به عليّ من التوفيق لما فيه خدمة اللسان الذي به نزل الكتاب المبين وأدى به النبي العربي صلوات الله عليه رسالته إلى قومه وإلى الناس كافة ، فكانت العربية لغة الرسالة التي عم الإنسانية خيرا ، ثم كانت لغة الحضارة التي انبثقت عنها فامتدت فروعها وبسقت دوحها واينمت ثمارها علما نافعا وأدبا رفيعا وفنا بديما وخلقا كريما وعملا طيبا . وبعد فقد عهدت إليّ كلية الآداب في عام ١٩٤٩ تدرّس فقه اللغة فيها ، فصادف هذا هذا التكليف هوى في نفسي يرجع إلى عهد بعيد ، وشملتني عنه صوارف كثيرة . فوجدت في ذلك راحة لنفسي واطمئنانا ، وألقيت في الاقبال على الابحاث اللغوية إحياء ليل قديم موروث ، وحفظا لجهد كنت بذلته في هذا السبيل . فطلما قضيت الساعات الطوال مع والذي رحمه الله في شرح الملقنات أو لامية العرب للشنفرى أو المقصورة الدرديرية<sup>(١)</sup> أو مقامات الحريري أو أمثالها من آثار لغتنا . وقد طفت مذ كنت ناشئا أعب من معين روايته الواسعة كما أنهل من ينبوع لغته المذبة في جلسات خاصة أو مع زملائي في (تجهيز) دمشق أي مدرستها الثانوية أو في مدرسة الأدب العليا التي كانت النواة الأولى لكلية الآداب . وكان رحمه الله ، لكثرة ما عانى من كلام العرب ، وروى من لغتهم ، وعرف من سيرتهم وأخبارهم ، وأولع بأدبهم ، ينجل إلى جلسه والمستمع إلى حديثه أنه يصني إلى واحد من رواة اللغة الأوّلين وعلمائها المتقدمين . ولم يكن شأنه مع اللغة العربية شأن عالم يدرسها أو يلمها ، ولكنه كان ممّا في حياة وجدانية نفسية ، يعيش مع شعرائها الأوّلين ورواتها السابقين . وكانت معاجم اللغة ولا سيما لسان العرب لابن منظور بيثة يعيش في جوها ومع أصحابها ، ولم تكن اللغة عنده صناعة تعليم وقواعد للحفظ ، ولكنها كانت تجري منه مجرى السليقة والطبع حتى غلبت

(١) وله عليها شرح في مجلد كبير لم يطبع اودعت منه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق وكان أحد اعضاءه وبقيت نسخة اخرى في مكتبتنا .



عليه في مجالسه الخاصة ، بل بين أهله وأولاده . وكانت المراسلات بيني وبينه حين سافرت إلى باريز سنة ١٩٣٥ للتخصص في الآداب تدوراً أكثر ما تدور حول القضايا العلمية ولاسيما اللغوية منها . ثم أعقبني انتقاله إلى رحمة ربه أواخر عام ١٩٤٥ حسرة شديدة وحرقة في نفسي إذ اعتقدته وأنا أقدر ما أكون على الاستفادة من ثمار معرفته ، والعبّ من ميعه ، والتمتع بجالسته ، وكنت يومئذ مفتشاً اختصاصياً للغة العربية في وزارة المعارف .

لقد كان تدريسي فقه اللغة خلال سنوات عديدة في كلية الآداب دافعاً لي في الحقيقة إلى تهيئة أبحاث في الأقسام الأساسية من فقه اللغة . ولم يكن في العربية كتاب حديث جامع لهذه الأبحاث إلا كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي بجزيته اللغة وفقه اللغة (١) . وقد حاول المؤلف فيها أن ينقل الأبحاث الحديثة في الانكليزية والفرنسية إلى العربية وأن يجمع كذلك ما في مصادرنا العربية القديمة في الموضوع جمعاً منسقاً على التبويب الحديث لهذا العلم . وقد كان للمؤلف فضل السبق في التأليف الحديث في هذا العلم والجمع بين المصادر العربية الحديثة والعربية القديمة جمعاً منسقاً غزير المادة . إلا أن الكتاب يبدو مؤلفاً من جزئين غير متمازجين عربي قديم وغربي حديث ؛ حتى كأن كل واحد منها وضع بمزلة عن الآخر . كما أن المؤلف أخذ بنظرات تبدو اليوم قديمة مسبوقة وتحتاج إلى إعادة نظر . فقد تقدمت أبحاث فقه اللغة ، ولا سيما في دلالة الألفاظ ، في السنوات الأخيرة تقدماً كبيراً ، وأصبح من الضروري متابعة التطورات الجديدة في هذه الأبحاث ، ومحاولة الاستفادة منها في اللغة العربية ، وتطبيق ما يمكن تطبيقه عليها . هذا مع الاعتراف بفضل الدكتور وافي فيما بذل من جهد كبير في تقديم هذه المادة الغزيرة وتنسيقها . وقد ظهرت في هذه الفترة الأخيرة كتب حديثة المنهج أبرزها مؤلفات الدكتور ابراهيم أنيس عميد كلية دار العلوم بالقاهرة وهي تتضمن محاولة ناجحة إلى حد كبير لتطبيق النظرات الحديثة في فقه اللغة العام والمقارن على اللغة العربية ويبدو ذلك واضحاً في كتابيه من أمراز اللغة المطبوع عام ١٩٥١

(١) ظهرت الطبعة الثانية لها سنة ١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م .

ودلالة الألفاظ المطبوع عام ١٩٥٨ وقد جمع فيها بين الجودة والجودة<sup>(١)</sup>.

ولا بد لي من القول إن مباحث فقه اللغة هي من أم المباحث العلمية التي لا تزال تتسع آفاقها وتتجدد نظراتها في اللغات الأجنبية بسبب تعمق الباحثين في كل لغة من اللغات المعروفة والتقايم على صيد فقه اللغة المقارن واستفادتهم من النظرات الحديثة في علم الاجتماع وعلم النفس والجمال. وأصبح لا غنى للباحث في فقه اللغة عن الاطلاع على ما كتب في اللغات الأجنبية في المقدين الآخرين من السنين. وإذا كانت لا تزال مؤلفات فريناند برونو F. Brunot وميه Meillel وبالي CH - Bally وفاندريس Vendryes في اللغة الفرنسية عظمة بقيمتها جديرة بالثقة لأنها احتوت على جماع ما وصل إليه البحث العلمي حتى الربع الأول من القرن العشرين في ميدان فقه اللغة في اللغات الأوروبية، فقد ظهرت، بالإضافة إليها وبالإستناد إلى أسسها ومناهجها، مؤلفات جديدة في مختلف أبواب اللغة، كـ مؤلفات الأستاذ اولمان Ulmann الأستاذ في جامعة كلاسكو في بريطانيا بالفرنسية والانكليزية في دلالة الألفاظ<sup>(٢)</sup> ومؤلفات ماروزو Marouzeau<sup>(٣)</sup> الأستاذ في السوربون وكريسو M. Cressot عميد كلية الآداب بنانسي وإن كان ما كتبه يتلق بالاسلوب واللغة مما.

ذلك ما دفعني إلى تأليف هذا الكتاب فبدأت بكتابته في أواخر عام ١٩٥٧ وطبعت يومئذ أكثر أقسامه ولم يتيسر لي إنجاز تأليفه وطبعه إلا في أوائل هذا العام. وقد اقتصر في أبحاثه على ما يتعلق بالكلمة المفردة دون التراكيب، إذ

---

(١) وقد ظهرت مؤلفات حديثة كذلك للدكتور تمام حسان ونأسف إذ لم تتح لنا فرصة الاطلاع

عليها بعد.

(٢) نشر في عام ١٩٥١ كتابه The Principles of Semantics في جامعة كلاسكو بالانكليزية

ثم نشر في عام ١٩٥٢ بالفرنسية كتابه Précis de sémantique française وطبع في برن وهو أوسع ما ألف حديثاً في الموضوع من حيث عمقه وما تضمنه من معلومات ونظرات.

(٣) له كتاب موجز في فقه اللغة ظهر في سنة ١٩١٦ ثم أعاد المؤلف طبعه للمرة الثالثة سنة ١٩٥٠

ومن أحدث مؤلفاته كتاب لنتنا Notre langue وقد نشره سنة ١٩٥٥ في باريس.

لا يزال البحث في الكلمات المفردة يؤلف القسم الأكبر من علم فقه اللغة وهو موضع عناية الباحثين . وإن كانت العناية بتركيب اللغة أخذت تتزايد وانتهت إلى تخصيص قسم خاص لا يزال البحث في الكلمات ..... وكان موضوع تركيب الكلام يدرس في سائر اللغات في علم النحو من جهة وفي علم المعاني من علوم البلاغة من جهة أخرى . وقد اقتصرنا أيضاً على أبرز الأبحاث المتعلقة بالمفردات وتركيب الأبحاث التي تأتي في المرتبة الثانية إلى فرصة أخرى إن شاء الله .

أما طريقة التأليف التي اتبعناها في الكتاب فقد كانت دراسة اللغة العربية من خلال النظرات الحديثة والأبحاث المقارنة في فقه اللغة دون أن ندخل الضيق على العربية ، أو نلتحق بأسولها وخصائصها غنياً أو ظلاماً . فلم نحاول أن تكون دراستنا تقليداً أو احتذاء لدراسة اللغات الأخرى، فإن للعربية عبقرتها وخصائصها لذلك لم نأخذ من النظرات الحديثة إلا اتجاهها ومناهجها ومسائلها العامة المشتركة بين اللغات .

كما أننا لم نعد إلى حشد الشواهد الكثيرة من المصادر العربية القديمة ولم نأخذ منها إلا ما احتجنا إليه للاستشهاد أو لبيان ما سبق إليه علماؤنا من نظرات نافذة أو إبداع في البحث وكان أكثر اعتمادنا في الاستشهاد على ابن جنى ، المبقرى العظيم الذي سبق بكثير من نظراته علماء اللغة في المصور الحديثة ، وعلى السيوطي الذي يعتبر كتابه المزهر بحق أجمع كتاب ألف في اللغة في المصور السابقة كلها وأحسنها تبويهاً وترتيباً مع ما فيه من نقول وشواهد ضاعت أسولها وفقدت الكتب التي أخذت منها .

وقد حاولنا أن يكون لأبحاث الكتاب فكرة تنتظم أجزاءه ونظرة تجمع فواحيه وتلم أطرافه وأن تقدم لأنظار الباحثين أساساً لنظرية شاملة في فقه اللغة العربية مع نظرات وآراء في شتى أبحاثه تقدمنا بها لتكون موضوعاً لتمحيص والبحث وخاصة في مجي الآبينة أو الصبغ والاشتقاق .

هذا وإننا لم نغفل إلى العربية في عصر واحد من عصورها ولا وقفنا بها في حركتها في مرحلة أو تاريخ بل نظرنا إليها في جميع عصورها فاستشهدنا بأمثلة من مفرداتها ومعاني

انفاظها المستعملة في العصر الحديث كما استشهدنا بأمثلة من العصر الجاهلي وصدر الاسلام  
والعصر النبوي حين لا يكون في ذلك خروج عن سنن العربية أو افساد لخصائصها الاصلية.  
وسرنا في بحثنا على طويقة المقارنة والموازنة بين العربية واللغات الحديثة وقصرنا  
أمطتنا غالباً على الفرنسية فجاءت الابحاث مزيجاً من فقه اللغة العام والمقارن وفقه اللغة العربية.  
ولسنا ندعي فيما قدمنا من أبحاثنا المصممة من الزلل أو التنزه عن الخطأ أو الخلل وإنما  
نروضه على الباحثين للنظر والتمحيص مبتئين بذلك خدمة هذه اللغة المزينة علينا والتي هي  
جزء أساسي من مقومات شخصيتنا وسجل آثارنا وتاريخنا وأداة لبناء مستقبلنا. والله نسأل  
أن يسدد خطانا وينير بصائرنا لنهتدي إلى الحقيقة ونحسن الاستفادة منها لعمل الخير ونصرة الحق.

١٣٧٩      ٩ شبان  
دمشق ٧ شباط (فبراير) ١٩٦٠

\* \* \*

## اللغة ودورها

### علم اللغة

اللغة في شكلها الملفوظ والمكتوب اداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا الى أذهاننا ، فكل ما تموج به الدنيا من مشاهد وصور ، في الطبيعة أو المجتمع ، ينتقل بصورة عجيبة الى الذهن بطريق الكتابة أو اللفظ . وكذلك كل ما في الذهن من خواطر ومشاعر وأفكار ينتقل الى الآخرين ، وينتقل من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل . فاللغة هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر ، تسبق وجود الأشياء أحياناً وتلحقها أحياناً أخرى . فالفكرة التي تجول في الذهن مجردة تنتقل الى شيء يتحقق وجوده ، وبعد أن يوجد الشيء ينتقل الى أذهان الآخرين بطريق اللغة . ولهذا كانت الكلمة رمز الخلق والايجاد «إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»<sup>(١)</sup> . ولهذا كان الكلام في سالف الأزمان أداة السحر ، وقديماً وفق الشاعر الجاهلي إذ جعل الكلام نصف الحياة الانسانية أو أحد أجزائها الثلاثة .

---

(١) وورد في القرآن الكريم كذلك : ( حقت عليهم كلمة ربك ) و ( حقت كلمة العذاب ) ( وكلمته ألقاها الى مريم ) وبني بها المسيح عليه السلام .



لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
وقد قيل « اليد واللسان تلك هي الانسانية ». ويكفي لتقدير قيمة اللغة ان  
تتصور الحياة البشرية وقد حذفت اللغة منها كيف تكون وماذا يبقى منها ؟  
إن اللغة عنصر أساسي في الحياة الاجتماعية راقية كانت ام ابتدائية . ونزيد  
على ذلك أن اللغة لم تقتصر على أن تكون أداة نقل وتسجيل للحياة والأفكار ،  
بل انها ساعدت على نمو الفكر ورفي الحياة . فهل كان بالامكان أن يرتفع  
الانسان من الواقع الجزئي ، كشجرة معينة يراها ، الى المفهوم العام أو المعقول  
الكلي لولا اللغة ؟ أليست هذه الألفاظ العامة التي نستعملها ( كالشجرة والانسان  
والبشرية والحرية ) أشبه بالرموز الرياضية ؟ أليست أشبه بالنقود التي يرمز بها  
الى القيم ؟ أو لم تكن الرموز الرياضية والاقتصادية وسيلة للرفق في الميدانين  
الفكري والاقتصادي ؟ وكذلك اللغة فهي لم تقتصر على كونها معبرة عن  
التفكير بل كانت كذلك أداة نموه وارتقائه . وتستند اللغة في أداء وظيفتها  
الى التداعي أو التلازم الاصطلاحي بين الاصوات ( مسموعة أو مكتوبة )  
والماني المقابلة لها بالنسبة الى كل لغة من اللغات . وثمة أدوات اخرى تؤدي  
وظيفة التعبير كالاشارات والصور ولكنها كلها دون اللغة في قدرتها التعبيرية  
وقابليتها للارتقاء بارتقاء الحياة الانسانية .

فأهي هذه الاداة العجيبة ؟ وهل يعرف حقيقتها كل من يستعملها ؟ ان

من يشعل النار من بسطاء الناس لا يعرف كنه هذه الحادثة الطبيعية وصلتها ببقية الحوادث الطبيعية ؛ ولا يعرف كل من يستخدم مرافق الطبيعة كنه هذه المرافق. وكذلك استعمال اللغة فانه لا يقتضي معرفة كنه هذه اللغة وخصائصها والقوانين التي تسير بحسبها . اذ المعرفة التي نريدها هنا معرفة علمية تتناول قوانين اللغة وأسرارها في حين أن معرفة من يستعملونها معرفة سطحية كمعرفة أجسامنا ومجتمعنا والطبيعة التي نعيش فيها قبل أن ندرسها دراسة علمية عميقة .

ان من يحسن اللغة قد يعرف ألفاظها ومعانيها ونحوها وصرفها وأساليبها وفنون آدابها . ولكن هناك مسائل أبعد من ذلك تطرح على بساط البحث: من أين أتت هذه الألفاظ ؛ وكيف نشأت ؛ وهل الأصوات التي تتألف منها ثابتة أم متبدلة ؛ وما هي الصلة بين الألفاظ ومعانيها ؛ وهل الصلة بين اللفظ ومعناه ثابتة أم متحولة ؛ وكيف تتبدل معاني الألفاظ ؛ وهل لذلك قوانين عامة تنطبق على اللغة الواحدة وعلى اللغات جميعاً ؛

ثم هذه القواعد الصرفية والنحوية كيف نشأت ؛ وهل هي كذلك في جميع عصور اللغة ؛ هل تمثل جانباً من عقلية أصحابها وهل تنطبق قواعد الصرف والنحو على اللغة في جميع عصورها منذ نشأتها حتى يومنا هذا فتظل ثابتة ؛ أم انها لا تمثل إلا مرحلة زمنية معينة من مراحل حياة اللغة . واذا كان الأمر كذلك فهل هناك قوانين أعلى منها تنطبق على اللغة في جميع عصورها ومراحلها ؛

وهل هناك قوانين تسيطر على اللغات بصورة علمية كما تسيطر قوانين الطبيعة في كل مكان ؛ ان اللغة حادثة اجتماعية ؛ وقد أخذ علم الاجتماع ينظر الى الحوادث الاجتماعية كما ينظر علم الطبيعة الى الحوادث الطبيعية : يستقري حواشيها وحالاتها ، ويستخرج قوانينها التي يرى أنها ثابتة . فلم لا تكون اللغة كذلك ؛ أوليست اللغة متصلة بحياة شعب من الشعوب تنتقل معه في الآفاق المادية والمعنوية ، ترسم فيها صور بيته الخصبية أو الوعرة ، وتنتقل معه وترافقه في رحلاته وغزواته ، وتنزل معه اذا انزل وتختلط بغيرها ، اذا اختلط بغيره من الشعوب ، ثم هي ترافقه في آفاق حياته الفكرية ، لتخفف فلا تسجل إلا الحسيات ، وتحلق اذا حلق الشعب في آفاق التفكير العلمي والفلسفي .

واللغة تحتفظ بقايا ورواسب من الماضي ولو زالت تلك الصور . فكلمة ( صفقة البيع ) تصور لنا وضماً ماضياً كان يحدث بين المتبايعين ومعناها ضرب اليد على اليد وكذلك كلمة ( عقد ) إذ كان المتماقدان على أمر يمقدان طرف ثوبها .

وكذلك كلمة ( صراط ) في العربية المأخوذة عن الرومية ( اللاتينية ) ( Stratum ) وهي في الفرنسية ( estrade ) وفي الانكليزية ( street ) وفي

الالمانية (Strasse) ومعناها في الأصل الطريق المبدتدلنا على أن العرب عرفوا الطرق المبدتة عن جيرانهم الرومان وان بين الامتين صلوات .

فهل تدرس اللغة في علم الاجتماع أو (علم الاجتماع اللغوي) حيث تدرس دراسة اجمالية من حيث صلتها بالحوادث الاجتماعية الاخرى ؟ .

ان اللغة حياة مستقلة ووجوداً ذاتياً . فهي ، وإن كانت تتأثر بحوادث المجتمع ، تتفاعل حوادتها تفاعلاً خاصاً وتسير وفقاً لقوانين خاصة بها . فلا بد ان تدرس دراسة مستقلة في علم خاص على ان تراعى في دراستها هذه الصلات بالمجتمع وحوادثه . فهناك دراسة خاصة للغة وعلم خاص تبحث به اللغة بوجه عام وعلم اللغة بهذا المعنى يختلف عن دراسة جزئيات اللغة ، فعلم النحو والصرف وعلم مفردات اللغة تبحث اللغة في نطاق محدود ضيق : فعلم مفردات اللغة يبحث في مفردات معينة جزئية ويعطينا معانيها وعلم النحو والصرف يعطينا قواعد لغة معينة في عصر معين فلا تطبق مثلاً قواعد (إن وأخواتها) أو (كان وأخواتها) على لغة اخرى فقواعد النحو والصرف ضيقة النطاق لا تنطبق إلا على لغة واحدة وفي حدود معينة من الزمان والمكان .

فعلم اللغة : هو هذه الدراسة الشاملة للغة بوجه عام لاستخراج قوانينها الخاصة بها ومعرفة تطورها سواء أكان ذلك في أصواتها وألفاظها أو مفرداتها ومعانيها أو تراكيبها وأساليبها . ومن هنا يتجلى صلة هذا العلم بما ذكرناه من

العلوم اللغوية أو غيرها . فلم النحو والصرف ومفردات اللغة هذه ليست إلا جزئيات بالنسبة اليه . ويستمن علم اللغة كذلك بعلوم أخرى كعلم الاجتماع وهو أكثر العلوم الأخرى غير اللغوية صلة باللغة فانه يبحث اللغة على أنها حادثة اجتماعية من حيث تأثرها بالحوادث الاجتماعية الأخرى . وكذلك علم النفس فانه يدرسها على أنها حادثة نفسية . فلغة اذاً جانب اجتماعي وآخر نفسي . ومثلها علم الاصوات فاللغة في حد ذاتها حادثة صوتية فيزيولوجية بمعنى أنها أصوات تحدث بطريق معينة بالنسبة الى أعضاء جسم الانسان ويمكن أن تدرس في علم الفيزياء الصوتي الذي يدرس آثرها وشدتها وما أشبه ذلك من مسائل .

ليس من السهل المسور دراسة اللغة . ذلك ان اللغة أداة مركبة معقدة فهي ذات جوانب كثيرة وتتألف من عناصر متعددة وتأخذ خلال الزمن اشكالا مختلفة تنوع وتعدد تعدد البيئات والمجتمعات والطبقات . فهي كما قلنا آنفاً تتألف من حوادث ( صوتية ) يبحثها علم الفيزيولوجيا وعلم الفيزياء و( نفسية ) يبحثها علم النفس و ( اجتماعية ) يبحثها علم الاجتماع و ( تاريخية ) يسردها علم التاريخ ويسجلها و ( جغرافية ) فيبحث علم الجغرافيا اللغوي في توزيعها في القارات والمناطق والاقليم . وهي تتألف من عناصر هي : الأصوات والالفاظ المفردة باعتبار مادتها وصيغتها ومعناها والتراكيب . وهذه العناصر جميعها كثيراً



ما يتجمل وتطور خلال الزمن وكثيراً ما تتغير بتغير الاقاليم والمهن والطبقات.  
فعلم اللغة : اذن قائم بذاته مستقل عن هذه العلوم جميعاً وان كانت له بها  
صلات وكان يستعين بها في دراسته ، فهو دراسة للكلام البشري بوجه عام في  
تكوينه و عناصره وتركيبه ، وفي حركته وتطوره ، وفي ادائه وظيفته التمييزية  
وفي تحققه في الوجود في اشكال متعددة هي اللغات المختلفة ، وهو يختلف عن  
علم قواعد النحو والصرف وعلم مفردات اللغة من عدة وجوه في شموله وعمومه  
ونظرته التطورية .

وعلم اللغة قد يكون عاماً يتناول اللغة بوجه عام وتكون مساحة البحث  
فيه شاملة للغات المعروفة . يدرس الظواهر اللغوية في جميع اشكالها . وقد  
يكون خاصاً بلغة من اللغات يتتبع ظواهرها وخصائصها وتطورها وقوانينها  
ويسمى حينئذ علم اللغة الخاص كعلم اللغة العربية .

### عناصر اللغة واقسام علم اللغة

للغة عناصر تتألف منها وترجع بالتحليل اليها وهي :

١ - الاصوات التي تتألف منها الالفاظ .

٢ - الالفاظ المفردة او الكلمات .

٣ - التراكيب .

ولكل من هذه العناصر مباحث خاصة هي فروع لعلم اللغة وقد أصبح بعضها علماً افرد بالبحث والتأليف .

١ - علم الاصوات اللغوية : ( Phonétique )

يدرس الحروف من حيث هي اصوات فيبحث عن مخارجها وصفاتها وعن قوانين تبدلها وتطورها بالنسبة الى كل لغة من اللغات وفي مجموع اللغات القديمة والحديثة .

وقد عني العرب قديماً بهذا العلم وذلك لضبط تلاوة القرآن ولطهم اقدم من بحث هذه المباحث الصوتية كما اتنا نجد مباحث صوتية مشهورة في كتب الصرف واللغة .

وقد أصبح لهذه المباحث في العصر الحديث كتب خاصة بل معاهد خاصة كمعهد المباحث الصوتية في باريس .

## ٢ - اللفاظ

اما اللفاظ فقد تناولها علماء اللغة من وجوه عدة فبحثوا :

١ - في اشتقاقها وارجاعها الى مادتها الاصلية سواء ا كانت من اللغة نفسها أم منقولة من لغة اخرى ذ ( علم الاشتقاق ) ( Etymologie ) يبحث في الاطوار التي تقلبت فيها الكلمة ويحدد بذلك صلتها بالالفاظ الاخرى وقرابتها وتحولاتها . ويدخل في هذا الباب في اللغة العربية بحث ( النحت ) و ( التعريب ) .

٢ - وبحثوا كذلك في شكل الكلمة وصيغتها او بنائها ( Morphologie ) ولا شك ان هذا الموضوع هو موضوع علم الصرف ولكن علم الصرف لا يخرج الى الافق الذي يبحث فيه علم اللغة الموضوع نفسه اذ يبحث علم اللغة في نشوء الصيغ وتطورها خلال المصور ويقارن في ذلك بين اللغات ولا سيما المتقاربة منها .

٣ - وبحثوا بمد هذا في معاني الالفاظ من نشوء هذه المعاني الى تقلبها خلال المصور وتطورها وفي قوانين هذا التطور في اللغات وما للالفاظ من حيث معانيها مرج خصائص وصفات : وقد افردت هذه الباحث في علم معاني الالفاظ ( Semantique ) ولا شك انه لا بد من تعاون علمي الاشتقاق ومعاني الالفاظ لشدة اتصال احدهما بالآخر .

### ٣ - التراكيب

واما التراكيب فيبحث علم اللغة في تراكيب اللغات ونظم الكلام، وتراكيب اجزائه فيها وفي طريقة ربط الكلام والادوات الرابطة ووظائف الكلمة في التركيب واحوال اعرابها وتعليل ذلك كله وصلته بنفسية المتكلم وعقلية الشعب وتطور التراكيب خلال العصور واسبابه . وهو بحث كما يرى القاري اوسع افقا من علم النحو ومن علم المعاني الذي هو عند العرب احد علوم البلاغة الثلاثة وان كان علم اللغة في هذه المباحث يستفيد من هذين العلمين ولكن ليخرج الى افق اوسع .

يضاف الى هذه المباحث الخمسة : ( ١ ) الاصوات ( ٢ ) والاشتقاق ( ٣ ) ، والصيغ ( ٤ ) والمعاني ( ٥ ) والتراكيب ابحاث عامة في اللغة منها : ( ٦ ) التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض سواء من جهة المفردات والتراكيب او غيرها ويدخل بحث التعريب في هذا البلب . ( ٧ ) واللهجات التي تنفرع عن اللغة الواحدة والبحث في كيفية نشوئها وتفرعها وتطورها واسباب ذلك وقد افردت لذلك مباحث جمعت في علم اللهجات ( Dialectologie ) .

( ٨ ) والرسم او الكتابة وهو كذلك بحث ملحق بعلم اللغة ذلك ان اللغة في شكلها المكتوب لها مشكلاتها الخاصة بالنسبة الى كل لغة من اللغات .

ولها نظورها الذي لا يسير دوماً مع تطور اللغة نفسها .

ولا بد لنا بعد هذا من القول ان البحث في نشوء اللغة بوجه عام يبحث عادة في كتب اللغة قديماً وحديثاً . ولكننا اذا اردنا ان نبقي علم اللغة وضماً يستند الى الاستقراء ويمتد على الاستنتاج ليصل الى قوانين تشبه القوانين المستخرجة من الطبيعة فلا مناص من اخراج البحث في نشوء اللغة من نطاق علم اللغة ليكون في نطاق المباحث الفلسفية التي تبحث في منشأ المادة ونشوء الحياة . ذلك ان بحث نشوء اللغة لا يزال يستند الى حد كبير الى التقدير والتخمين ويشبه هذا الموقف تمام الشبه موقف علم الكيمياء وعلم الفيزياء وعلم الحياة من اصل المادة والقوة والحياة في الكون اذ لم تمد هذه المباحث جزءاً من تلك المعلوم وان كان الباحث حديثاً في هذا الموضوع يجد بين يديه من المعلومات اللغوية والاجتماعية والنفسية ومن المقارنة بين اللغات الحديثة والقديمة واحوال الاقوام الابتدائية وغيرها ما يستطيع الاستفادة منه لبحث نشوء اللغات مما لم يكن معلوماً عند الباحث القديم . هذا عدا أن البحث في أصل اللغة ومنشأها لا يعود على علم اللغة بفائدة كبيرة .

علم اللغة عند العرب

١٤ - بدأ علم اللغة عند العرب بتدوين مفردات اللغة وجمعها ، اذ انكب لغة على جمعها وتصنيفها . وكانت النابة الاولى من ذلك فهم القرآن



وشرح الفاظه ، فظهرت مؤلفات كثيرة وهي رسائل تجمع المفردات اللغوية المتعلقة بموضوع واحد . ولو رجعنا الى كتاب الفهرست لابن النديم لوجدنا في اخبار اللغويين والنحويين عناوين متشابهة لمؤلفين مختلفين مثل كتاب خلق الانسان والخييل والابل والانواء والنبات والشجر والوحوش والغنم والسلاح .

نجد هذا في أخبار الاصمعي وأبي زيد وقطرب والاخفش والنضر ابن شميل وغيرهم . ونجد الى جانب هذه الرسائل الخاصة كتباً في غريب القرآن وغريب الحديث وفي نوادر اللغة لهؤلاء اللغويين انفسهم . وقد كانت هذه المؤلفات كلها نواة للمعجم الكبيرة التي الفت في المرحلة الثانية من مراحل التأليف في اللغة مرحلة الجمع الشامل .

٢ - ولم تأخر كثيراً عن هذه المرحلة الاولى مرحلة التعليل واستنتاج القواعد والقوانين اللغوية مبتدئة بطور البساطة متدرجة شيئاً فشيئاً نحو البحث العلمي في اللغة . فظهرت كتب النحو واللغة في القرن الثاني للهجرة ومنها الكتاب لسيبويه ( ١٨٠ هـ ) والمقاييس في النحو والاشتقاق للاخفش ( ٢٢١ هـ ) والملل في النحو لقطرب ( ٢٠٦ هـ ) والقلب والابدال والاشتقاق للاصمعي ( ٢١٤ هـ ) والابنية والتصريف للجري والتصريف للمازني ( ٢٤٩ هـ )<sup>(١)</sup>

---

(١) هذه السنوات تشير إلى تاريخ الوفاة .

وقد تطور البحث اللغوي وارتقى حتى بلغ مستوى عالياً في أواخر القرن الرابع للهجرة في مؤلفات أحمد بن فارس صاحب كتاب الصحاح في فقه اللغة العربية ، وابن جني صاحب الخصائص . وقد ظهرت لدى هذين المؤلفين فكرة واضحة عن علم اللغة بالمعنى المعروف في عصورنا الحديثة على أنه علم القوانين العامة الناظمة لجزئيات اللغة وبمعنى اعم واشمل من علم النحو . قال ابن فارس في مقدمة كتابه الصحاح :

« إن لم العرب أصلاً وفرعاً ، أما الفرع فمعرفة الاسماء والصفات كقولنا رجل وفرس وطويل وقصير وهذا هو الذي يبدأ به عند التلم . وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها وبنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطبتها وما لها من الاثتان تحقيقاً ومجازاً . »

ولكن الفكرة عند ابن جني أوضح منها عند ابن فارس اذ يصرح ان هذا العلم بالنسبة الى النحو كاصول الفقه بالنسبة الى الفقه . ويرى نفسه في هذا المجال فاتحاً لطريق جديدة لم يسبقه اليها احد الا الاخفش اذ ألم بها الماما . قال ابن جني في مقدمة كتابه الخصائص :

« هذا كتاب لم أزل على فارط الحال ، وتقادم الوقت ، ملاحظاً له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والرؤية إليه ، واداً أن أجد مهملأ أصله به ، أو خلافاً ارتقه بعمله ، والوقت يزاد بنو اده ضيقاً ، ولا يتصح لي الابتداء طريقاً ، هذا مع اعظامي له ، واعتصامي بالاسباب المناطة به ، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنّف في علم العرب ، وأذهب في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالحيطه والصون ، وأجمله للادلة على ما أودعته هذه اللغة

الشريفة ، من خصائص الحكمة ، ونبطت به علائق الاقارب والصنعة ، فكانت مسافر وجوهه ، ومحاسر أذرعه وسوقه ، تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره ، ونجى إلى بما خببت عليه أقرابه وشواصكه ، وترى أن التعرید<sup>(١)</sup> كل من اللقيين : البصريين والكوفيين عنه ، وتحميهم طريق الالام به ، أو الخوض في أدنى أو شاله وخلصه ، فضلاً عن اقتحام غباره ولججه ، إنما كان لامتناع جانبه ، واقتشار شماعه ، وبادي تهاجر قوائمه وأوضاعه ، وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لمعمل أصول النحو ، على مذهب أصول الكلام والفقهاء .

---

(١) التعرید = الحرب والفرار .

### فقه اللغة في العصر الحديث

يعتبر فقه اللغة من العلوم الحديثة في هذا العصر وقد كان العرب في هذا العلم أسبق من غيرهم للسير به خطوات كبيرة وبلوغ المرحلة التي أصبح فيها علماً قائماً بذاته ، واضح المعالم ، علمي الاسس والطريقة . ولكن هذه المباحث اللغوية في العصر الحديث خطلت خطوات كبيرة اخرى بفضل ما أتت للباحثين من وسائل كانت مفقودة أو قليلة في العصور السالفة منها ما قدمه علم النفس وعلم الاجتماع من مباحث ونتائج ونظريات وحقائق لم تكن منكشفة من قبل ، وهي مباحث ذات صلة قوية باللغة التي هي حادثة نفسية اجتماعية في آن واحد . ومنها اتساع نطاق معرفة اللغات القديمة والحديثة ، فقد بلغ عدد اللغات المعروفة ، المستعملة والمتروكة ، حداً لم يعرف من قبل في أي عصر من العصور . ففي اواخر القرن الثامن عشر ألف ( بالاس ) أحد علماء اللغة في غرناطة كتاباً استشهد فيه بمئتين وثمانين لغة ما بين لغة ولهجة من لغات أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا ولهجاتها .

وبلغ عدد اللغات التي نقلت اليها الانجيل جميعية الكتاب المقدس في بريطانيا

المؤسسة عام ١٨٠٤ سبع مئة وسبعين لغة في عام ١٩٤٧ .

وقد غدا لكل لغة من اللغات الحية تقويون اخصائيون ، وكثرت الدراسات اللغوية في كل لغة من اللغات المشهورة القديمة والحديثة ، وصنفت اللغات في مجموعات واسر كاللغات السامية واللغات الهندية الاوربية واللغات اللاتينية واستمر البحث في اللغات القديمة .

وقد نشأ علم اللغة عند الغربيين على دراسة القواعد النحوية وبمض المباحث الفلسفية المتعلقة باللغة وأعان على ذلك دراسة بعض اللغات القديمة كما كان للكتابة منذ القديم أثر في نشوء هذا العلم ونموه . فان تثبيت اللغات في شكل مكتوب أطلعنا على مراحل اللغة الواحدة في تطورها ودعا الى دراسة النصوص القديمة . وهذا يشبه ما حدث في تاريخ اللغة العربية اذ يلاحظ ان استنباط قواعد النحو وتدوين ملاحظات اللغويين انما ظهر إثر تدوين نصوص **المصر الجاهلي** .

وقد ظهر علم اللغة التاريخي في اوربا في القرن الثامن عشر إثر دراسة اللغات المختلفة واتصال الامم بعضها ببعض ، كما ظهر في القرن التاسع عشر علم اللغة **المقارن** . وقد أثارت فكرة تطور اللغات التي ظهرت للباحثين في القرن الثامن عشر من الاطلاع على اللغات وتاريخها أفكاراً عديدة عن منشأ اللغة . ولكن توسع البحث في علم اللغة التاريخي المقارن صرف النظر عن هذا البحث الى البحث في تاريخ اللغات .

### منهج البحث في اللغة

وتقوم طريقة البحث في علم اللغة في هذا العصر على الاسس التالية :

أولاً - اوسنراء :

ان ما بلغه هذا العصر من السعة الكبيرة في معرفة اللغات القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية ، هيا للباحث اللغوي مادة غنية جداً للبحث والدرس . فاذا ما اراد بحث ناحية من نواحي اللغة استطاع ان يستمد الامثلة والشواهد الكثيرة من عدد كبير من اللغات وبذلك يكون بحثه أدق وأضبط واستنتاجاته أصح وأحكم . واذا اراد البحث في تطور معاني الالفاظ عمداً الى مباحث الاختصاصيين في كل لغة من اللغات ليستمد من ابحاثهم الخاصة ويستقي من أمثلتهم ما يعينه على استخراج القوانين والضوابط التي تنطبق على هذه اللغات جميعاً . وكذلك الشأن في بحث الاشتقاق أو الاصوات اللغوية أو التعبير عن الازمنة في الافعال مثلاً .

ولا مجال للمقارنة مطلقاً بين هذه المادة التي لا تنفذ من دراسات اللغات التي تجاوزت المئات في عددها واختلفت في مراحل تطورها وبين المادة التي كانت عدة الباحث في اللغة قديماً إذ كان العالم لا يعرف إلا لفته وقد يزيد على ذلك بمعرفة لغة أو لغتين ويندر أن يتجاوز ذلك الى بطع لغات .

ثانياً - المقارنة :

لا شك أن استقرار الشواهد والأمثلة من لغات مختلفة يفسح المجال للموازنة بين هذه اللغات ومعرفة ما بينها من تشابه أو اختلاف وما بين خصائصها من اشتراك أو تباين والضوابط والقوانين التي تنظمها جميعاً أو تنظم بعضها دون بعض . وذلك مما يمكن الباحث من التحقيق في صحة ما يستنتجه من قوانين عامة في اللغة فقد تنكشف للباحث من الحقائق في لغة من اللغات ما غمض أو استتر في لغة أخرى . وقد يبعث التشابه في بعض الأمثلة أو الشواهد اللغوية من لغات مختلفة على التفكير في الصلة بينها أو تماثل تطورها أو انطباقها على قانون واحد .

ثالثاً - اعتبار التطور في اللغة

ان قواعد النحو في كل لغة إنما استنتجت وسجلت في عصر من عصور اللغة ، فلو ابتعدنا عن ذلك العصر ونظرنا الى اللغة فيما قبله من العصور أو ما بعده لوجدنا ان تلك القواعد قد تحتل قليلاً أو كثيراً . وكذلك مفردات اللغة التي تدون معانيها في زمن من الازمان لا تحافظ دوماً على تلك المعاني ولم تكن كذلك ملازمة لها منذ الازل . فان الالفاظ قد تتبدل معانيها قليلاً أو كثيراً خلال الزمن . وعلى ذلك فان سائر عناصر اللغة من الفاظ وتراكيب وقوالب ومعان ، لا تبقى ثابتة على الزمن بل تحول وتبديل . ولذلك فان

البحث في اللغة لا يكون على أساس النظر الى وضعها في عصر من العصور بل على اعتبار المراحل التي مرت بها خلال العصور بالنسبة الى كل ناحية من نواحيها كالأصوات والصيغ والماني وطرائق تركيب الكلام والتعبير عن الزمن أو المدد (الجمع والمفرد) أو الجنس (المذكر والمؤنث).

فان اللغة كسائر الظواهر الاجتماعية يطرأ عليها التبدل والتغير ولهذا وجبت مراعاة فكرة التطور في سائر الابحاث اللغوية . وهذا ما يفعله الباحثون في علم اللغة في هذا العصر . ولا بد لنا من ابداء بعض الملاحظات المتعلقة بفكرة تطور اللغة والتي تدفع الالتباس وتلقي شيئاً من النور عليها :

- ( ١ ) لا يكون التطور واحداً في جميع اللغات من ناحية شموله فقد يكون شاملاً لساحات واسعة من اللغة أو مقصوراً على نواح دون الأخرى كما انه قد يكون بطيئاً لا يحصل إلا في الآماد الطويلة او سريعاً تبدو نتائجه في زمن قصير لا يمدو المشرات من السنين . فاللغة العربية لم تتغير مثلاً اصواتها ( حروفها ) منذ مدة تزيد على خمسة عشر قرناً وكذلك صيغها وأصول موادها على حين اننا نرى اللغة الفرنسية مثلاً قد تبدل منذ خمسة قرون الكثير من عناصرها كالأصوات وتصاريف الافعال وبعض التراكيب ومعاني أكثر الفاظها
- ( ٢ ) ان التطور في اللغة يمكن ان يسير في احدى طرق كثيرة لا يمكن التنبؤ سلفاً عن التي سييسر التطور فيها . ذلك ان العوامل المؤثرة في تطور



اللغة لا يمكن ان تضبط وتحصر بل ان بعضها غير قابل للحصر بطبيعته فان للحوادث التاريخية والمصادفات وغيرها من الحوادث والعوامل الخارجة عن النطاق اللغوي أثراً في مجرى التطور اللغوي وهذه الحوادث من العسير اذا لم نقل من المستحيل حصرها والتنبؤ عنها قبل وقوعها . فان التقاء لغة بأخرى في بلد من البلاد مثلاً إثر استيلاء أمة على أخرى ينتج نتائج كثيرة تتعلق بلغتي هاتين الامتين إذ تتأثر احدي اللغتين بالآخرى أو كل واحدة منهما بالآخرى سواء من ناحية تلفظ الحروف أو تداخل مفرداتها او غير ذلك من النواحي .

وان للعوامل الدينية والقومية أثراً كذلك في توجيه هذا التطور في وجهة دون اخرى مع ان الاصل امكان سيره في كل من هذه الوجهات دون مرجح . ومثال ذلك رغبة البلاد العربية اليوم في العودة الى الفصحى والابتعاد عن العامية اللهم إلا أصواتاً خافتة منكراً ارتفعت ثم انخفضت في مصر والشام . ومن هذا القبيل أثر القرآن والاعتقاد بقُدسية لفظه في الإبقاء على اللغة العربية في كلماتها وتلفظ حروفها وسائر عناصرها فلولا ذلك لانهى الأمر الى ظهور لغات محلية تتطور نحو التباين والاستقلال في الشام والعراق ومصر والحجاز والمغرب ولأدى الأمر الى ما أدى اليه أمر اللغة اللاتينية التي تطورت الى لغات مختلفة هي اليوم الايطالية والاسبانية والفرنسية وقل مثل

ذلك في لغة الاوردو التي تتطور اليوم في اتجاهين مختلفين في الهند والباكستان بتأثير عوامل دينية وقومية في آن واحد .

(٣) ان التطور في اللغة شأنه في ذلك كشأنه في سائر مجالات الحياة لا يتجه دوماً نحو الاحسن ولا يكون دائماً بمعنى التقدم والارتقاء فقد يكون تردياً وانتكاساً . وان التطور لا يسير دوماً في خط مستقيم مثال ذلك تطور اصوات الحروف العربية فقد تطورت في فترة من الزمن وفي بعض المناطق العربية نحو حذف بعض الحروف أو تغييرها كالذال والطاء والقاف ثم عادت الى الظهور مرة اخرى الى شكلها القديم بالتدرج وبقيت محافظة على حالتها في مناطق اخرى من البلاد العربية .

وان بعض اللغات التي لم تستطع ان تجاري تطور الحياة وتمبر عن اغراض اصحابها غزتها لغات أجنبية غزواً انتهى بها الى موتها وحلول لغة أجنبية محلها وبذلك كان تطورها نحو الفناء والموت لا نحو التقدم والارتقاء .

(٤) ولذلك فان البحث في اطوار اللغة لا يفيد الحكم دوماً بالحسن على الطور المتأخر في الزمن وبالقبح على المتقدم . فان البحث العلمي يتجرد عن مثل هذا الحكم وانما يدرس واقماً ويصور حقيقة محسوسة ويحاول تحليلها وتليلها دون أن يحكم عليها بالصحة أو الفساد . ولكننا بعد أن ننهي من البحث

العلمي في تطور اللغة لنا أن نحكم على هذا التطور بالصحة أو الفساد بمقاييسنا ومفاهيمنا وآرائنا وعقائدنا . فتطور اللغة العربية من طورها القديم الى طور اللهجات العامية ثم من هذا الطور الى طور آخر حديث أمر واقع ، يمكن ان يدرس ويبحث عن أسبابه وعوامله ، ولكن ينظر اليه العربي بنظرة تختلف عن نظرة أصحاب النزعات الاقليمية كالفرعونية والسورية من جهة الحكم عليه . وان دخول الكلمات الاعجمية في اللغة العربية في هذا العصر حادثة واقعة يمكن ان تدرس على انها كذلك ، فنستقصي جزئياتها وتبحث أسبابها وتحصّر ميادين استعمالها وتصنف مفرداتها وينظر كذلك في تطورها خلال نصف قرن وكيف اختلفت عدداً ونوعاً ومشكلاً ، ولكن البحث في كون ذلك خيراً أو شراً تختلف فيه نظرات الباحثين اختلافاً يرجع الى عوامل غير البحث اللغوي هي عوامل فكرية اعتقادية .

هـ) ان استمرار الامة والحفاظ على خصائصها يبدو الى حد كبير في لغتها ويظهر في تعبيرها . ولذلك قد يكون التطور طريق اتصال بالماضي ، اذا كان متصل الحلقات ، سائراً في اتجاهات اللغة عمياً لخصائصها . كما أنه قد يؤدي الى القضاء على معالم اللغة والتمد عن خصائصها وذلك اذا كانت اللغة عاجزة عن التعبير عن ظروف الحياة المستجدة أو كانت قادرة ولكن غزتها لغة

اخرى في مفرداتها وتراكيبها حتى ضاعت معالمها وملاعجها وانقطعت عن الصلة بماضيها .

#### رابعاً - استنتاج القوانين العامة :

ان اللغة كما قدمنا مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية وهي تتبدل وتتطور فهي لذلك تخضع كما تخضع سائر الحوادث والظواهر الاجتماعية لقوانين تسيير عليها وتتطور بحسبها . فليس تبدلها اعتباطاً ولا تطورها فوضى ، وقد أدرك ذلك علماء كل لغة فاستخرجوا بآديء ذي بدء قواعد لضبطها على الوجه الصحيح وتمييز الخطأ من الصواب . أو ليست هذه القواعد ( النحوية والصرفية ) دليلاً على ان اللغة تنظمها ضوابط عامة مطردة ، فصيغة الفاعل والمفعول وحالات الاعراب المختلفة وتصريف الافعال وغيرها أليست تسيير وفقاً لقاعدة عامة استتجها من اللغة نفسها اولئك الذين دونوا نحو اللغة العربية وصرفها ؟ واذا كان ذلك ينطبق على اللغة في عصر من عصورها وطور من اطوارها ، أفليست الحال كذلك لو نظرنا اليها خلال العصور في انتقالها من طور إلى أطوار اخرى ؟ أليس هذا التبدل يجري وفقاً لسنة تسيير عليها اللغة ؟ . لقد تبدلت معاني كثير من الالفاظ خلال العصور فقد كانت الالفاظ ( عقل ، وعى ، ادرك ، ورد ) تفيد معنى ( ربط ، استوعب ،

بلغ ، قصد الماء ) ولكنها انتقلت في عصر مبكر من هذه المعاني الحسية إلى معانيها المعروفة وكذلك انتقلت الألفاظ ( إنتاج ، استهلاك ، استيراد ، عاطفة ، منطق ) من معانيها السابقة التي هي ( ما تولد من الحيوان ، اتلاف الشيء ، طلب الماء ، اسم فاعل من عطف بمعنى لوى وثنى ، النطق والكلام ) إلى معانيها المعروفة في هذا العصر . ألسنا نلاحظ ان هذا التبدل في معاني الألفاظ إنما يكون بالاتقال من المعاني الحسية إلى المجردة ، ويكون بتعميم الخاص أو تخصيص العام .

ان التبدل قد لا يكون شاملاً لجميع عناصر اللغة فقد كانت بعض هذه العناصر أو الجزئيات ثابتة مدة طويلة ولكن ما يتبدل منها إنما يتبدل تبعاً لسنة مطردة قد تخفى أحياناً فتحتاج إلى بحث وتفتيش لاستخراجها .

لقد تطورت بعض الحروف العربية في بعض المناطق فتغيرت أصواتها فأصبحت القاف همزة في اللغة العامية في بعض البلاد وكذلك الشاء والذال والظاء فقد أصبحت تاء ودالاً وضاداً إلا في بعض الكلمات . وقد كان هذا التبدل عاماً في جميع الكلمات التي اشتملت على هذه الحروف وكانت كذا ، عامة لدى جميع أفراد المنطقة التي جرى فيها هذا التبدل كما هو واقع في مدن مصر والشام وبعض مدن الغرب .

ولو انتقلنا من اللغة الواحدة إلى اللغات المتقاربة التي يمتد أنها ترجع إلى أصل واحد والتي جمعت أبحاثها تحت عنوان واحد كاللغات السامية والهندية والأوربية والسلافية لوجدنا انفسنا كذلك أمام قواعد وضوابط تنطبق على أفراد المجموعة الواحدة وإن كانت هذه القوانين أقل من تلك التي تنطبق على لغة واحدة .

وأخيراً لا بد لنا من أن نتساءل عما إذا كان للغة بوجه عام قوانين تنطبق على جميع اللغات . وإذا كان بين البشر منطق مشترك وخصائص مشتركة ، وكانت حياتهم الاجتماعية كذلك تسير في تطورها على سنن واحدة أو ليس من المعقول أن تكون كذلك لغاتهم خاضعة لقوانين واحدة ؛ إننا نلاحظ صحة هذا القول في بعض عناصر اللغة فإن تطور معاني الألفاظ من الحسيات إلى المجردات وانتقالها بطريق التعميم أو التخصيص أو المجاورة ينطبق على ما يظهر على جميع اللغات . وإن الأمثلة التي أوردناها آنفاً يمكن أن تأتي بما يماثلها من اللغات الأخرى . ولكن الواقع اننا لانزال ببسدين في أبحاثنا اللغوية عن بلوغ المرحلة التي نرى فيها عدداً من القوانين التي تنطبق على اللغات عموماً . ولا تزال هذه القوانين محدودة قليلة ، وذلك لأن الأبحاث اللغوية بالنسبة إلى كل لغة وبالنسبة إلى كل مجموعة من اللغات المتقاربة لم تبلغ بعد حد

النضج ولا تزال تحتاج إلى استمرار ومتابعة وإن هذه الأبحاث المستمرة في مجموع اللغات ستؤدي في اعتقادنا إلى استنتاج قوانين عامة يبنى عليها علم اللغة العام .

إن الوسائل السابقة من استقراء الحوادث والشواهد ، ومقارنة بعضها ببعض ، والنظر إلى الأطوار التي تمر بها اللغة ، تعين كلها على استنتاج القوانين العامة أو على الأقل تثير الاتجاه الذي تتجه نحوه اللغة سواء في أداها وظيفتها في عصر معين أو تطورها خلال العصور المتعاقبة ، ولو لم نستطع ضبط هذا الاتجاه وحصره في قانون عام .

#### تسمية علم اللغة :

إن علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين ( علم اللغة ) أو ( فقه اللغة ) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللغة . أما اسم ( الفلسفة اللغوية ) الذي أطلقه عليه بعض المؤلفين في هذا الموضوع من أبناء العصر المنصرم كجرجي زيدان الذي ألف كتاباً عنونه بهذا الاسم فإنا نرى أنه لا يقابل المفهوم العلمي الحديث لادخاله في باب العلم مباحث هي إلى الفلسفة أقرب في حين أن سائر مباحث اللغة دخلت في طور البحث العلمي وأخرج

منها ما كان من قبيل البحث في فلسفة اللغة كالبحث في أصل نشوء اللغة . هذا  
واننا باستعمالنا هذه التسمية وإطلاقنا على هذا العلم أحد الاسمين نكون قد جارينا  
قدماءنا الذين استعملوا كليهما وأصابوا كل الإصابة في ذلك .

#### فوائد علم اللغة :

( ١ ) إن معرفة اللغة معرفة عميقة وتفهمها وتدوقها لا يكون بمعرفة  
جزئياتها ومفرداتها ولا بقواعدها المحدودة وإنما يكون بالنوص إلى  
أعمقها ومعرفة قوانينها وسنن تطورها . وإن فقه اللغة يكشف عن  
خصائص اللغة وينير تطورها وبذلك تفهم كثير من الجزئيات وتحل كثير  
من المشكلات .

( ٢ ) إن علم اللغة يكشف عن عقلية الأمة التي تتكلم تلك اللغة ، كما  
يكشف عن جوانب من تاريخها ومدنيتها . إن الخاصة الاشتقاقية في اللغة  
العربية تعبر عن حيوية اللغة كما أنها تعين على ارجاع كل كلمة إلى أصلها  
وردها إلى نسبها بحيث تعرف الألفاظ التي تزد إلى نسب واحد وتجمعها  
أمرّة واحدة أو مادة واحدة وهذه المادة هي الحروف الأصلية الثلاثة أ،  
الائتان فلا تضيع انساب الألفاظ في العربية بل تحفظ كما تحفظ انساب



الناس عند العرب خلافاً للغات الأخرى التي قد يطرأ فيها على الألفاظ من التنوير في أصواتها وفي صيغها وتأليفها ما يضع معه أصلها .

ويمكننا أن نورد مثلاً آخر من النحو العربي هو المفعول لأجله . إن علم اللغة يبحث في الصلة بين تركيب الكلام وقواعد النحو وعقلية الأمة فالمفعول لأجله في اللغة العربية يعبر عن الدوافع النفسية فتقول فعلت هذا رغبة أو رهبة أو حباً أو انتقاماً وتخصيص صيغة أو قرينة نحوية للدلالة على الدوافع النفسية من خصائص اللغة العربية .

وإن الرجوع إلى المعاني الأصلية القديمة للألفاظ في لغة من اللغات تمنينا صورة عن البيئة الأولى التي عاش فيها أصحاب تلك اللغة كما تفيدنا دراسة تطور هذه المعاني في تفهم عقليتهم والوقوف على مفاهيمهم ومجرى تفكيرهم .

ولذلك كان علم اللغة كاشفاً تاريخياً للمعادات والأخلاق والبيئات .

٣ ) إن معرفة خصائص اللغة وقوانينها وسنن تطورها يمكننا من اصلاحها ومراقبة تطورها والسير به في اتجاه صحيح يناسب خصائصها الأصلية ولا يمرضها للذوبان والانحلال . فاللغة العربية واقعة الآن بين نزعيتين : إحداهما لا تبالي بخصائص اللغة فتري دخول الألفاظ

والتعابير الأجنبية بلا قيد ولا شرط ، بل يصل الأمر ببعض الشمويين .  
إلى الرغبة في تثبيت اللغة العامية يرمون بذلك إلى القضاء على الفصحى .  
والنزعة الأخرى ترى الاحتفاظ باللغة كما رويت عن القدماء دون  
تبديل في الألفاظ أو المعاني أو التعابير . ولا يذم الموازنة بين النزعتين  
والإشراف على سير التطور ليكون حاضر اللغة استمراراً لماضيها مراعيًا  
لظروفها الحاضرة .

★ ★ ★

## الاصوات اللغوية

إن بحث الحروف التي تتركب منها الكلمات في كل لغة من الناحية الصوتية يؤلف البحث الأول من مباحث فقه اللغة . وقد أفرد هذا البحث بمؤلفات ومؤسسات خاصة حتى غدا علماً قائماً بذاته . والعرب هم أول من أفرد هذا الموضوع بالبحث وذلك لضبط القرآن وأطلقوا عليه اسم تجويد القرآن أو علم التجويد . كما أنهم تطرقوا لبحثه في بعض مباحث اللغة والصرف في تعليل بعض الصيغ والألفاظ كادغام التاء في بعض الأفعال وذلك مثل الاضطراب والادعاء والادخار والاصطراع و... ) . وقد ألف أبو الفتح عثمان بن جني كتاباً في الموضوع أسماه ( سر صناعة الإعراب ) بلغ فيه من الروعة والابداع حداً كبيراً . كما ألف ابن سينا رسالة عنوانها ( أسباب حدوث الحروف ) . وقد تعرض علماء البلاغة لبعض المباحث الصوتية في بحث فصاحة الكلمة .

### الجهاز الصوتي ومردود الصوت :

إن الجهاز الصوتي في الانسان جهاز رائع لما فيه من مرونة عجيبة تمكن الانسان من اخراج عدد لا يحصى من الأصوات ولا يمكن أن تشبهه من

هذه الناحية آلة من الآلات الصوتية . ويتألف هذا الجهاز من الرئتين ، وهما منفاخ الهواء ، ومن القصبة الهوائية ، التي هي كالأنبوب الصوتي ، والجبال الصوتية ، التي باهتزازها يحدث الصوت ، ثم من تجويف الحلق أو الحنجرة ، ومن تجويف الفم والحناشيم ، وهي كلها أشبه بانفخات أو أجواف تلي الأنبوب الصوتي تفصل بينها حواجز متحركة هي اللهاة واللسان ، وينتهي الجهاز بالشفقتين . وهذا الجهاز ليس جامداً على هيئة واحدة بل فيه مرونة تجعله يتغير تغيراً كبيراً من جهة سعة التجاويف أو ضيقها وشدة اهتزاز الجبال الصوتية أو ضعفه ( راجع سر صناعة الإعراب لابن جنى ج ١ ص ٩ ) .

يحدث الصوت باندفاع الهواء من الرئتين ومروره بالقصبتين وتحريكه الجبال التي يحدث الصوت باهتزازها . وتكسبه ، بحسب استمرار الاهتزاز وسمته وقوته ، صفات الاستمرار والارتفاع والشدة . ثم يمر الهواء بتجويف الحلق ثم بتجويف الفم وقد يمر من الحناشيم أو لا يمر . وإذا ما مر الهواء في هذه الأقسام فاما أن يترك له مجال المرور دون أن يعترضه شيء وإما أن يسد الطريق أمامه بأحد الحواجز التي هي اللهاة واللسان والشفقتان بأوضاع كثيرة تحدث أصواتاً مختلفة متنوعة وهذا هو السبب في اختلاف مخارج الحروف وإليك تفصيل ذلك :

### مخارج الحروف :

(١) فإذا مر الهواء دون أن يمترضه عائق حدثت مرور المد وهي كثيرة متنوعة . وينشأ هذا التنوع من الأوضاع المختلفة التي يمكن أن يكون عليها الجهاز الصوتي أثناء اخراج الهواء ، من تضيق التجاويف أو توسيعها ، ومن أوضاع الشفتين والعضلات المتصلة بها ، وحسب اطالة الصوت أو تقصيره . ففي اللغة العربية ستة مدود ثلاثة منها طويلة هي ال ( ا ، و ، ي ) وثلاثة قصيرة هي ال ( ، ، ، ) وفي اللهجات العربية القديمة أنواع أخرى كالألّف المائلة أو التي فيها اشماء بضم مما نلاحظه في القراءات التي لا تزال محفوظة عند قراء القرآن . وكذلك في اللهجات العامية أنواع أخرى وفي اللغات الأجنبية كالفرنسية والانكليزية أنواع مختلفة من حروف المد . وتسمى حروف المد كذلك الجوفية أو الهوائية .

---

(١) يرى ابن جنى ونحن على رأيه ان حروف المد والحركات في العربية من جنس واحد ولكنها تختلف في مقدار مد الصوت . قال في ( سر صناعة الاعراب ) : « اعلم ان الحركات ابعاض حروف المد واللين وهي الالف والياء والواو ... وقد كان متقدما والنحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة . ج ١ ص ١٩ و ٢٦ .

وأما إذا اعترض الهواء الخارج من الرئتين والصوت الحادث منه  
باهتزاز الحبال الصوتية عائق فانه تحدث أنواع اخرى من الأصوات  
(الحروف) .

وللصوت في هذه الحال مراحل ثلاث يمر بها أولها مرور الهواء وانحباسه  
في موضع الحاجز . وثانيها استمرار انغلاق الحاجز مدة من الزمن . وثالثها  
انطلاق الهواء . فاذا تصورنا نطق حرف الكاف مثلاً وتأملنا في حدوثه نرى  
أن الهواء يندفع من الجوف إلى أن يقف في موضع في أعلى الحنك وبعد انحباسه  
قليلاً ينطلق الهواء ويفتح أمامه الطريق .

فالوضع الذي يكون فيه انحباس الهواء وحجزه عن المرور كلياً أو جزئياً  
بأحد الحواجز الموجودة في الحلق أو الفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين يسمى  
مخرج الحرف .

(٢) وإذا وزعنا الحروف حسب مخرجها وجدنا أقربها إلى الجوف وأولها  
الحروف التي يكون مخرجها من الحلق وهي في اللغة العربية : ، هـ ومخرجها  
أقصى الحلق (Glottales) ويليه ع ، ح ومخرجها وسط الحلق (Pharyngales)  
وبمدها غ ، خ ومخرجها ادنى الحلق من الفم (Postvélaire) وتسمى هذه  
الحروف الستة الحروف الحلقية وهي مفقودة في بعض اللغات وبعضها موجود

في بعض اللغات كالحاء في الالمانية والهمزة في الفرنسية والانكليزية مع ملاحظة أنها مخففة لا شدة في الاعتماد على مخرجها .

ولي هذه الحروف بحسب ترتيب مخرجها ، ابتداء من الحلق حتى الشفتين :

٣) الحروف الالهوية وهي ال (ق ، ك) ، سميت بذلك لخروجها من تقرب اللهاة اي من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى .

٤) والحروف الشفوية (Palatales) وهي ال (ج ، ش ، ي) " سميت بذلك لخروجها من شجر الفم أي منفتحة ومخرجها من وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى (Latérale) .

٥) والحروف التي تخرج من مافة اللسان ال (ض) .

٦) والحروف الزلقية (Liquides) (ل ، ن ، ر) لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه .

والحروف النطعية (ط ، د ، ت) ، لمجاورة مخرجها من نطع الفم وهو غار

---

(١) هذه الياه هي الساكنة المسبوقة بفتح كالياء التي في بيت وعين وهي تختلف في مخرجها وصفاتها من ياء المد .

الحنك الأعلى ومخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .

٨) والحروف الـتـنـيـبـة ( ص ، ز ، س ) لخروجها من أسلة اللسان وهي مستدقة ومخرجها من طرف اللسان ومن بين الثنايا العليا قريباً من السفلى ولما كان مخرج الحروف النطمية والأسلية متصلاً بالاسنان العليا سميت بالفرنسية ( Dentales ) نسبة إلى الاسنان .

٩) والحروف التـنـبـة ( Interdentales ) ( ظ ، ذ ، ث ) لخروجها من قرب اللثة وفي هذه التسمية تجوز ومخرجها من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا .

١٠) والحروف التـفـوية ( Labiales ) ( ف ، و ، ب ، م ) .

وزاد بعضهم الخيشوم فجعله مخرجاً للميم والنون المشددين في حال الادغام والاختفاء . وأرى أن الخيشوم ليس مخرجاً من مخارج الحروف ولكن الهواء يخرج منه في الحروف التي تلحقها الغنة بدليل أنك إذا سددت أنفك في حال النطق بهذه الحروف التي تتصف بالغنة أفسدت جرس ذلك الحرف وليس معنى ذلك ان مخرج الحرف من الخياشيم "١) .

---

(١) انظر بحث مخارج الحروف عند ابن جني في سر صناعة الأعراب ص ٥٢



وقد زاد ابن جنى على الحروف التسعة والعشرين مرفوفاً فرهبه هني النون.  
الخفيفة أو الخفية والهمزة المخففة<sup>(١)</sup> وألف التفخيم (سلام، الصلاة، الحيوة)  
وألف الامالة (علم، خاتم) والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي (قصد،  
مصدر) وهذه الستة اعتبرها مستحسنة وألحق بها ثمانية غير مستحسنة<sup>(٢)</sup>.  
ونلاحظ ان في بعض اللهجات العربية القديمة حروفاً زائدة على الحروف  
المعروفة كالکاف المقاربة للشين في لغة ربيعة وغيرها كما ان في اللهجات العربية  
العامية في مختلف البلاد العربية حروفاً خاصة وأنواعاً من المدود والحركات  
تختلف عن الحروف والحركات المعروفة في الفصحى وقد حفظت القراءات  
الفرآنية التي دونت ورويت كثيراً من هذه الحروف والحركات المنثرة.

#### صفات الحروف وأقسامها :

(١) ان انجباس الهواء حين حدوث الحرف قد يكون تاماً بحيث يمتنع  
خروجه حين الاعتماد على مخرج الحرف ولا يكون النطق بالحرف تاماً إلا بإزالة  
هذا الاعتماد وترك الهواء ينطلق بعد انجباسه . وقد يكون هذا الانجباس

(١) كالمهمزة الثانية من قوله تعالى ( أعجمي وعربي ) كما بلفظها القراء .

(٢) ابن جنى ص : ٥١

ناقصاً بحيث يخرج الهواء منع وجود الاعتماد على مخرج الحرف ، ويسمى صوت الحرف مع خروج الهواء في آن واحد .

الحروف التي هي من النوع الاول تسمى الحروف المهموسة ، والتي هي من النوع الثاني الحروف المهموسة ، وأما حروف المد فلا يكون فيها اعتماد على مخرج مطلقاً .

وقد عرف قدمائنا الحروف المهموسة بأنها التي أشبع الاعتماد في موضعها ومنع النفس أن يجري معها حتى ينتضي الاعتماد ويجري الصوت وهي : أ ، ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ق ، ل ، م ، ن ، و ، ي<sup>(١)</sup> .

وأما المهموسة فهي التي ضعف الاعتماد على مخرجها حتى جرى النفس معها ، وقد جمعت في قولك ( فحنته شخص سكت ) .

---

(١) هذا ما ورد في تعريفه الجهر في كتاب سر صناعة الاعراب لابن جني وفي سائر كتب اللغويين من علماء المدرسة كالشيخ طاهر الجزائري في رسالته تدريب اللسان على مجيئ البيان وأرى ان تعريفهم هذا غير مطابق لجميع الحروف التي وصفوها بالجهر كما ان تعريفهم هذا منطبق على الكان والفاء إلا إذا نطقاها بكسر من الهمس فآخر جناهما من النطق بالمؤلف .

وهذا التقسيم موجود عند الفريسيين ممن ألفوا في هذا العصر، وهم  
يسمّون النوع الأول بالفرقيّة ( Occlusives ) ومنها المغلقة والثاني  
( Spirantes ) ومنها النافخة أو ذات النفس وقد يسمونها المسفرة  
( Continuantes ) والمصطفكة ( Fricatives ) وهي تقابل المجهورة والمهموسة  
لخصت التعاريف التي أوردتها مؤلفونا القديما .

٢ - وتقسّم الحروف كذلك إلى شديدة ورخوة ومتوسطة . فالشديدة  
هي التي يمنع الصوت أن يجري معها مثل القاف والطاء فلا يمكنك أن تمد  
صوتك فيها في قولك الحق والشظ مثلا . وهذه الحروف هي : أ ، ق ، ك ،  
ج ، ط ، د ، ت ، ب . ويجمعها قولك « أجذك طبقت » والرخوة هي التي  
يجري فيها الصوت كالسين والشين والحاء في المس والرش والشح . والمتوسطة  
بين الشديدة والرخوة ويجمعها قولك ( لم يروعا ) . ويبدو أن بين التقسيمين  
السابقين تداخلا والتباسا . وقد قالوا ان الفرق بينهما أن المجهورة تمنع النفس  
والشديدة تمنع الصوت ولكن هذا التفريق غير واضح وضوحا تاما (١) .

(١) انظر في موضوع الفرق بين الشديدة والرخوة وبين المهموسة والرخوة تعاريف ابن جنى  
من ٦٩ وما كتبه الشيخ طاهر الجزائري في رسالة تدريب اللسان من ١٥ . ولست نجد فيها  
هذا التقسيم التام .

وللغريين تقسيم آخر للحروف فالحروف التي تهتز ، حين اخراجها ،  
الجبال الصوتية تسمى حروفاً صائتة ( Sonores ) وعلامتها أن تشعر بهذا  
الاهتزاز إذا سددت اذنيك ونطقت بها . والحروف التي لا تهتز الجبال الصوتية  
حين اخراجها تسمى صامتة ( Sourdes ) ومثال الاولى الـ ( ب ، د ، ذ ، ج ،  
ف ، ق ) ومثال الثانية الـ ( ف ، ت ، س ، ك ، ش ، ب ) .

٣ ) ومن صفات بعض الحروف الاستملاء وهو التصمدد في الحنك  
الأعلى . والحروف المتصفة بالاستملاء هي : ( خ ، ص ، ض ، ط ،  
ظ ، غ ، ق ) .

٤ ) ومن صفات الحروف القلقة : ( ق ، ط ، ب ، ج ، د ) والذلاقة :  
( ب ، ر ، ف ، ل ، م ، ن ) والتكرار : ( ر ) ( Chuintante ) والتفشي Vibrante  
( ش ) والصفير : ( ص ، س ، ز ) Sifflantes .

٥ ) ومنها الغنة . وهي في العربية من صفات الميم والنون Nazales  
في أكثر أحوالهما ولكنها قد تمرى حروفاً أخرى في بعض اللغات فان  
جميع الحروف يمكن أن تلفظ بغنة وذلك إذا اخرج النفس من الأنف  
حين التلفظ بها .

٦) ومن صفات الحروف اللين وهي صفة الواو والياء الساكنتين  
( Diphtongues ) في نحو بيت وخوف وهما في هذه الحالة متوسطتان بين  
حروف المد الهوائية أعني الـ ( ا، و، ي ) والحروف الأخرى المعتمدة  
على مخارجها .

★ ★ ★

## التغيرات الصوتية

إن لكل لغة مجموعة صوتية تتألف من مجموع حروفها الصوتية التي تزيد غالباً على حروفها الهمجية وبين هذه الحروف التي تتألف منها المجموعة الصوتية في لغة من اللغات انسجام يقيم بينها توازناً يؤدي الاخلال ببعض أجزائه إلى التغيرات التي تعيد التوازن والانسجام .

ومما يلاحظ ان هذه الأصوات أو الحروف في كل لغة ليست ثابتة فقد تتغير بمرور الزمن أو لوقوعها في وضع خاص في حالة التركيب . فان بعض اللغات يتغير عدد حروفها ويتبدل لفظ الكثير من كلماتها . فالحروف اللثوية مثلاً في اللغة العربية ( ث ، ذ ، ظ ) انتهى بها الامر إلى الزوال في كثير من اللهجات العربية العامية وأبدلت غالباً بالتاء والذال والضاد أو الزاي المفضضة . وكذلك حال الجيم التي أصابها بعض التغيير في بعض اللهجات العربية ولو نظرنا إلى حرف السين في اللغة الفصحى لوجدناه أشبه بالصاد في بعض المواطن نحو ( أسطورة ، ومسيطر وسلطان ) .

وكذلك حال اللغات الأخرى ، ففي اللغة الفرنسية مثلاً كانت تلفظ

الشين في Cheval كافاً والشين في Chien سيناً وناه مدغمتين منموسقين والأصل

اللاتيني لكلمتي école و échelle هو Schola و Scala

إن هذه التبدلات جديرة بأن تبحث وأن يفحص عن عللها وأسبابها. وأنه  
يلاحظ ويستنتج القانون الذي ينظم جواردها إن كان لها قانون مطلق

ولهذا البحث فائدة كبيرة في علم اللغة فإن معرفة علل تبدل الحروف

وأصولها القديمة مفتاح من مفاتيح علم الاشتقاق فإنه هو الذي يكشف الصلة

بين كلمات تباعدت أشكالها وضاعت معالم قرباها، سواء أكانت في لغة واحدة.

أم في لغات مختلفة. فإن معرفة قوانين الابدال هي التي تكشف لنا الصلة بين

(ضرب واضطراب) و (غبين وحبين) و (غفر وكفر) و (أود ومناد) ويرينا

ما بين هذه الالفاظ الفرنسية من نسب وقربى (Autre, Altruisme) و

(Cavalier, Cheval) و (Scolastique, école, Scolaire) وما بين (Farine) و

الفرنسية و (Harina) الاسبانية.

عوامل التبدل وأسبابه :

ولنبداً بذكر أسباب هذا التبدل والعوامل المؤثرة فيه :

١) فن ذلك انتقال اللغة من جيل إلى جيل عن طريق التلقين والتعلم.

فإن الاطفال يتلقون اللغة عن آباءهم محاولين تقليد ما يسمعون خلال المدة التي

يكتسب فيها الطفل اللغة لكن هذه المحاولة كثيراً ما تكون غير ناجحة ويكون التقليد ناقصاً ولو قليلاً فإن أقل تغيير يحدث في تلفظ الحروف من تخفيف أو تشديد أو تقديم في المخرج أو تأخير يؤدي إلى تغيير هذه الحروف فإذا عم هذا التبديل في جيل من الأجيال وأضيف إلى ما يمكن أن يحدث بعده في الأجيال التالية من تبديل نَجَمَ عن ذلك تبدل في لفظ الحرف أو الجروف المتبدلة بمرور الزمن الطويل .

إن خطأ المؤلفين أنهم اعتبروا هذا النوع من التبديل حتمياً واستنتجوا من ذلك ان حصول التبديل في اللغة حتمي لا مناص منه والحقيقة تخالف هذه النتيجة فليس هذا الافتراض الذي اقتضوه محتملاً ولا ضرورياً بل قد يوجد من الأسباب ما يحول دون هذا التبديل أو يخفف تأثيره كالكتابة والتلقين في المدارس الذين عزا إليها الاستاذ فاندريس بقاء حرف الراء في اللغة الفرنسية ، وقد كان القرآن الكريم والحض على ضبط حروفه والدقة في تلفظها سبباً في بقاء الأصوات العربية في اللغة الفصحى ثابتة في حين انها نفسها قد تبدلت في لغة الكلام اي في اللهجة العامية في اللغة نفسها . وعلى هذا فان ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطوراً مطرداً مردود إذ لا برهان له عليه .



٢) ومن أسباب التبديل التآثر بأصوات لغة أخرى ، فقد تنصل لغة باخرى عن طريق الغزو الثقافي أو الاستيلاء فيتعلم أهل البلاد لغة الفآحين ولكنهم ينطقون بها محتفظين بخصائص لغتهم الصوتية . وهذا ما حدث للغة العربية حين دخولها العراق حيث تأثرت بالنطق الفارسي ، والشام حيث تأثرت بالسريانية . وكذلك شأن اللاتينية في فرنسا وأسبانيا . ومن هذا الباب دخول بعض الحروف العربية في لغة الاوردو وفي اللغة التركية . وهذا ما يحدث حين انتقال لفظ من لغة إلى أخرى كما وقع في الالفاظ العربية التي بدل العرب حروفها وأصواتها كالقليد ( Clede ) والفالوذج ( بالوده ) .

٣) ومن ذلك أسباب اجتماعية مختلفة من دينية وقومية فإن الرغبة في العودة إلى الفصحى في البلاد العربية في العصر الحاضر هي التي عادت ببعض الحروف من الشكل الذي آلت إليه ( كالمهزة بدل القاف في كثير من المدن العربية والشاء والذال والظاء في لفظها العامي ) إلى نطقها القديم الفصيح . وكذلك كان القرآن سبباً في بقاء اللفظ القديم للحروف في البيئات العلمية وأحياناً في البيئات العامة .

وبهذا يعلل دخول بعض الحروف العربية في اللغة التركية والاردية

بسبب ديني .

٤) ومن الأسباب ما هو صوتي لا يدخل للعلل الخارجية فيه وذلك كتفخيم بعض الحروف إذا وقعت في جال تركيبها موقفاً يستوجب ذلك كإخفاء النون وادغامها وتفخيم الراء ولفظ السين صاداً في بعض المواطن من الكلام .  
ومثل ذلك نطق الدال في الفرنسية مرقة في قولهم ( de la maisou ) ومفخمة في قولهم ( dans la maison ) .

ونضيف إلى ما ذكرناه من العلل والأسباب انه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة كأن يكون ناشئاً عن علة في نطق واحد من الناس أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الانتقاص ، وإنما العبرة للتبدل الذي يكون عاماً في مجموعة من الناس يسكنان بلد أو مدينة أو إقليم أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من عصور اللغة فيستدل من عمومته في جيل أو جماعة على أن له سبباً عاماً وان في الناس استمداداً لمثل هذا التبدل لسبب من الأسباب .

قوانين التبدل للصوتي :

اننا إذا نظرنا في الأصوات أو الحروف في كل لغة نجدها مبرزة

في اللغة العربية ، وأدغامها فيما بعدها إذا كانت ساكنة  
وكان ما بعدها أحد الحروف الستة ( يرملون ) ، أو للتبدل المستمر الذي  
أدى إلى تبدل صوت بصوت آخر كأبدال القاف العربية في اللهجة  
العامة في بعض المناطق همزة والياء تاء والذال دالاً ومثل هذا ما حدث  
في اللاتينية التي تبدل كثير من حروفها في تطورها في اللغة الفرنسية  
والإسبانية والإيطالية .

فهل تخضع هذه التبدلات في وقوعها إلى قوانين تنظيمها وهل هذه  
القوانين إذا كانت موجودة كالقوانين المعروفة في علم الطبيعة  
هي خاصة في كل لغة أم يمكن أن تعم مجموعة من اللغات وهل منها  
ما يعم اللغات جميعها ؟ ...

إننا إذا استقرينا حوادث التبدل الصوتي في لغة من اللغات نجدها في  
أجاء واضح ولو بعض الوضوح ونجدها تسير وفقاً لقانون عام ولو إن  
له استثناءات . أو ليس التبدل الذي طرأ على بعض حروف الفصحى في  
اللهجات العربية العامة عاماً بالنسبة إلى تلك الحروف شاملاً لقطر أو بلد أو  
لعدة أقطار ؟

أو ليس التبدل الذي يطرأ على بعض الحروف في بعض أحوالها التركيبية في اللغة المرية وكذلك في غيرها عاماً يقع كلما وقعت تلك الحالة المعينة كإقلاب النون الساكنة ميماً أو ادغامها أو تقخيم الراء وكتبدل الشين « Ch في الفرنسية في أوائل كثير من الالفاظ أصلها كاف في اللاتينية :

champ = cattuipum , chambre = camere , chair = carnom  
chataigne = castanea , chat = cattum , chant = cantum  
cheval = caballum , chemise = camisia , chaux = calcem

أو لم يطرأ على حرف الراء « r » في اللغة الانكليزية من التخفيف بل الحذف ما يكاد يجعل هذا التبدل عاماً في جميع ألفاظ اللغة الانكليزية ولا سيما حين تقع الراء في حشو الكلمة أو آخرها . ان أمثلة كثيرة في جميع اللغات تدل دلالة واضحة على أن ما يجري فيها من التبدلات الصوتية انما يجري تبعاً لنظام يمكن اكتشافه ومعرفة صيغته بمد الاستقراء والبحث .

وإن وجود هذا النظام أظهر للباحث في اللغة الواحدة وهو كذلك ظاهر ظهوراً دون ذلك في اللغات المتقاربة والتي ترجع إلى أصل واحد ولئن كان أخفى وأدق إذا انتقلت إلى دائرة اللغات بوجه عام فان تشابه بعض حوادث التبدلات الصوتية في كثير من اللغات المتباعدة التي لا يصل بينها أصل مشترك قرينة دالة ومثال ذلك ما رأيناه في اللغة الفرنسية من تبديل

الكاف شيئاً فإن مثل هذا التبدل قد حدث قديماً في اللغة العربية في بعض لهجاتها وكذلك نلاحظ أن إبدال الجيم ياء جرى في عدد من اللغات .

ولكن قوانين التبدل الصوتي حين نُجدها ونستخرجها ليست في عمومها واطرادها كالقوانين الطبيعية التي تنطبق على المادة . ذلك أنها ليست متولدة عن طبيعة الأشياء بالضرورة وإنما هي في أكثر أحوالها نتيجة اتفاقات ومصادفات ليس من الممكن التنبؤ عن وقوعها . فهجرة قبيلة من بلد إلى بلد ودخول لغة على أخرى في حوادث هجرة اقتصادية أو حرب تسبب تبديلاً في أصوات اللغة ولو أن تلك الهجرة لم تحدث أو أن التقاء تينك اللتين لم يقع أو وقع ولكن بالالتقاء بلغة أخرى لكانت النتائج مختلفة وهذه حوادث تاريخية لا يمكن ضبطها بقانون . إن المهم معرفة الملابسات والشروط التي تم فيها التبدلات الصوتية كتحديد الزمان والمكان فقد بحث التبدل في منطقة من مناطق اللغة لا فيها كلها فتبدل القاف في الفصحى همزة في بعض اللهجات العامية ليس عاماً بل خاصاً ببعض البلدان دون بعض ومثل ذلك لفظ الراء والنون في اللغة الفرنسية في مناطق فرنسا الشمالية والجنوبية<sup>(١)</sup> .

---

(١) يمكن رسم المخطط الجغرافي لكل بلد أو لكل لغة بحسب حروفها وأصواتها وتكون =

وقد يكون التبدل واقعا في عصر دون عصر وفي جبل دون جبل  
فإن كثيرا من الأخرق الغربية ولا شك في بعض التبدلات في هذا العصر  
عادت إلى لفظها القديم الفصيح كالتصريح وبمثل ذلك تطبق الحرف الأول  
من كلمة « Cheval » في الفرنسية فقد كانت تكتب في بعض لغات  
إن الرابطة بين الحرفين أو الضوئين المتبادل والمبدل منه ليست رابطة طبيعية  
طبيعة الأشياء حتى يكون هذا التبدل حتميا لا متناهي منه كما زعم بعض الباحثين  
وإنما هي رابطة ظروف لا بد من دراستها في جزئياتها وخصوصا فلا يمكن  
التنبؤ بها سلفا .

ومن الواجب التمييز بين التبدل للناسي عن أسباب صوتية خالصة  
والناسي عن تطور لتلفظ الحرف من عصر إلى آخر والتبدل الناجم عن سبب  
خارجي كالدين أو الاقتباس من لغة أخرى أو التقليد لبيئة غير بيئة المتكلم

---

= الجذور في هذا المخطط مختلفة عن الحدود السياسية والادارية فتجمل المناطق التي يكون لها  
لفظ واحد الحروف وحدة تفضلها حدود مرميومة عن المناطق التي يكون لها لفظ آخر  
وبعد هذا التحديد يمكن أن يبحث عن عوامل الوحدة أو الإختلاف كمرجعة الأصل حسب  
الهجرة أو غيرها أو اختلاف اللغة السابقة التي جلبت معها اللغة السابقة أو وحدتها أو غير  
ذلك من الأسباب .

كالتفصيح في بعض البيئات العامية الذي قد يؤدي إلى بعض التبدلات العربية  
المضحكة أحياناً.

ومما يلاحظ في قوانين تبدل الأصوات إنها لا تخلو من استثناءات خلافاً  
لقوانين الطبيعية فكل ذال في الفصحى قلبت ذالاً في عامية بعض المناطق  
العربية (كالذباب والذره والذراع والأذن) ولكنها قلبت زايماً في (ذئب وذم  
وإذن) وكل باء إلى تاء مجبوراً (توب وتلج وتوم وتور) ولكنها قلبت  
إلى سين في (تواب، تائم وتورق) <sup>(١)</sup> ومثل ذلك الكاف في اللغة اللاتينية  
فإنها قلبت في كثير من الكلمات في العربية إلى (Cb) ولكنها كفظت  
لم تقلب فيها جميعاً.

هذا وإن ما يحدث من تبدل صوتي في حروف لغة من اللغات يكون  
بطيئاً فتمضي القرون الطويلة حتى يحدث مثل هذا التبدل وقد يكون سريعاً  
فلا يمضي قرن أو أقل حتى تقع في أصوات اللغات بعض التبدلات وهذا  
يختلف من لغة إلى أخرى فالعربية الفصحى لم تبدل أصواتها منذ خمسة عشر

---

(١) إن هذا الاستثناء ناشئ عن أن الكلمات التي يتردد نطقها الفصحى على الألسنة كثيراً  
لسبب ما كتكررها في قراءة القرآن أو في المواضع أو المحاكم أو لكونها تستعمل في الطبقة  
المتعلمة لا يتشوه نطقها كثيراً ويبقى لفظها قريباً من اللفظ الفصحى.

قرناً أو تزيد في حين أن اللغة الفرنسية تبدلت أصواتها منذ القرن الثاني عشر حتى العصر الحاضر في عدة فترات .

وإن التطور الصوتي ليس متجهاً دوماً نحو اليسر والسهولة أو نحو الكمال كما قد يتوهم بعض الناس بل قد يحدث عكس ذلك .

وعلى هذا فإن كل لغة من اللغات تجتمع فيها عوامل مختلفة وظروف خاصة تسبب تبدل بعض أصواتها في بعض العصور والأمكنة والأحوال وتنشأ عنها آثار متنوعة في مجال الأصوات يحتاج البحث فيها وفي أسبابها وقوانينها إلى كثير من الدقة في البحث والتعميل . وإن من العسير حالياً الوصول إلى قوانين في التبدلات الصوتية تعم جميع اللغات وإن كان ذلك ليس مستحيلاً وهذا ناشئ عن عدم استكمال البحث في هذا الموضوع الذي يقتضي أولاً استقراء التبدلات الصوتية في كل لغة وحصرها في ضوابط أو قوانين عامة والانتقال بعدئذ لجمع هذه النتائج واستخراج الضوابط والقوانين العامة في كل اللغات .

انواع التبدل الصوتي ومظاهره وقوانينه :

لقد قسمنا حوادث التبدل الصوتي في أول البحث إلى نوعين : أحدهما ما ينشأ عن تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض أثناء التركيب وهو



أمر واقع في جميع اللغات . وثانيها ما ينشأ بنتيجة تطور زمني يؤدي إلى ابدال حرف بآخر .

وقد أحصى القدامى من مؤلفينا ضوابط للنوع الأول من التبدل في كتب الصرف وفي كتب التجويد ويمكننا أن نسردها البارز منها فيما يلي :

( ١ ) ابدال حرف بآخر كاتقلاب النون الساكنة ميماً إذا وليها باء وابدال تاء الافتعال إلى حرف من جنس فاء الكلمة إذا كان هذا الحرف دالاً أو طاءً ( ادعى ، اطرده ) أو قلبها إلى طاء مع الضاد والصاد ( الاضطراب ، الاضطراع ) .

( ٢ ) تغيير صفات الحروف كتفخيم الراء المفتوحة والمضمومة والساكنة الواقعة بمد ضم أو فتح وترقيق ما سواها وإعلاء السين حتى تصبح كالصاد نحو ( بسطة ومسيطر ) وما يمتري النون من ادغام إذا وقعت ساكنة وبعدها أحد حروف ( يرملون ) وانقلابها إلى ميم إذا وليها باء مثل ( من باع وينبع ومنبوذ ) واظهارها قبل حروف الحلق واخفائها قبل بقية الحروف .

( ٣ ) وقد يقع التبدل في حال انتقال كلمة من لغة فأنها لا بد أن تنسجم

مع المجموعة الصوتية للغة المنقول إليها فالكلمات التي عربت تبدلت أحياناً كالفرديوس ( Paradis ) والفالوذج من ( بالوده ) .

وأما التطور الصوتي فلم يحدث في اللغة العربية الفصحى منذ أمد طويل على الأقل . فإن القرآن حفظ لنا أصوات الحروف كما لفظها العرب ونقل إلينا ما كان قبل عصره من أصوات اللغة العربية وعن طريقه حفظت حتى يومنا هذا . ذلك أن القرآن إنما انتقل بالمشافهة وأخذ بالتلقي الدقيق جيلاً بعد جيل . وإنما طرأ التطور على لغة المحادثة التي تفرعت لهجات عديدة عن اللغة الفصحى ، فتبدلت بعض أصوات الفصحى من حروف ومنسودود وحركات ، كتبدل القاف والفاء والذال والظاء والجيم في مناطق مختلفة من البلاد العربية إلى أصوات تختلف باختلاف المناطق .

ويدخل في باب التبدلات الصوتية في اللغة العربية ظاهرتان لغويتان هما الإبدال والقلب وقد بحثنا قديماً في باب الاشتقاق وجعلنا نوعين من أنواعه . أما الإبدال فهو إقامة حرف مكان حرف في بعض الكلمات مع بقاء الحروف الأخرى فتكون هذه الكلمات مشتركة في حرفين مثلاً وأبدل الحرف الثالث في إحداها بحرف آخر قريب في المخرج وقد يكون بعيداً ومن أمثلة ذلك ( مت ومد ومط - وغبن وخبن - وقسم وقصم - ووسم

ووصم ووشم - وتاب وثاب وآب - وقد وقط - وأز وهز - وخرب  
وخرم). وأمثالها كثيرة .

وأصل هذا التعدد في الكلمة الواحدة قد يكون ناشئاً عن مراحل صوتية  
مرت بها الكلمة وتبدل الحرف المتغير خلال الزمن في هذه المراحل وقد  
يكون ناشئاً عن تعدد القبائل واختلافها في أصوات الحروف ثم اجتماعها كلها  
في اللغة بتداخل لغات القبائل واجتماعها في لغة واحدة .

قال أبو الطيب اللغوي : « ليس المراد بالإبدال أن العرب تنمذ تعويض حرف من  
حرف وإنما هي لغات مختلفة لمان متفقة تتقارب اللفظان في لئتين لمنى واحد حتى لا يختلف  
إلا في حرف » .

ولكن كلام أبي الطيب ليس حلاً للمشكلة ولا يمنع أن تكون  
إحدى اللغتين هي الأصل وأن الأخرى نشأت عنها بالإبدال أو أن تكونا  
متولدتين عن لغة مشتركة تفرعت بالإبدال الصوتي إلى لئتين .

إن اعتبار التبدل الصوتي يملل لنا كثيراً من حوادث الإبدال ويكشف  
لنا عن أصول كثير من الكلمات ويرفع الستار عما بينها من روابط قديمة  
ويوسع دائرة الاشتقاق إذ يجعلها تنسع لألفاظ تختلف في بعض حروفها بسبب  
ما وقع فيها من تبدل صوتي في تاريخ حياتها وهي في الأصل ترجع إلى لفظ

واحد. فيما لا شك فيه أن وسم ووسم ووسم في الأصل كلمة واحدة ثم تفرعت إلى ثلاث بابدال أحد حروفها وتنويعه، ومثلها في اللغة العربية كثير. كما أنه يربط كذلك بين الألفاظ المتشابهة في اللغات السامية المتفقة في بعض حروفها والمختلفة في بعضها الآخر بسبب ما وقع فيها من تبدل صوتي.

أما القلب فليس من باب التبدلات الصوتية التي تقع على الأصوات اللغوية أي الحروف وإنما هو تبدل صوتي يقع على الكلمة بابدال مواقع الأصوات أو الحروف فيها مثل يئس وأيس وجذب وجبذ وهو أقل من الابدال عدداً وأندر وقوعاً وأقل شأناً في مباحث اللغة.

### مراجع للبحث

- كتب التجويد .  
تدريب اللسان في تجويد البيان للشيخ طاهر الجزائري طبع بيروت ١٣٢١ هـ .  
سر صناعة الاعراب لآبي الفتح بن جنى . مصر ١٩٥٤ م .  
سر الليال في القلب والابدال لآحمد فارس الشدياق .  
المزهر للسيوطي .  
الابدال لآبي الطيب اللغوي ومقدمة المحقق الاستاذ عز الدين التنوخي من مطبوعات  
المجمع العلمي العربي بدمشق .

## الاشتقاق

لقد درسنا في الفصل السابق الحروف المفردة أو الأصوات التي تتألف منها ألفاظ اللغة ومنتقل في هذا الفصل إلى دراسة الأصوات المركبة في كلمات أو ألفاظ وهي الوحدات التي تتألف منها اللغة. فإن الأصوات المفردة ليست إلا العناصر التي تتألف منها الوحدات اللغوية وليس لها في ذاتها حياة مستقلة وإنما تدرس على أجزاء تلك المفردات اللغوية. أما تاريخ تكون هذه المفردات من الأصوات والطريق الذي سلكته الأصوات خلال عصور التاريخ حتى كانت كلمات ذات دلالة والبحث عن الأصل هل هو الأصوات المركبة أعني الكلمات أم الحروف والأصوات المفردة فموضوع نرجح إرجاءه إلى ما بعد البحث في الاشتقاق وأن نبحت المفردات اللغوية كما تقدمها لنا اللغة أولاً لتسير بعد ذلك صمداً في البحث عن منشئها وتاريخها ومراحل تطورها الذي أدى بها إلى الحالة التي نجدها عليها بعد أن استقر أمر اللغة. إننا لا نرى سلوك الطريق ابتداءً من الحروف المفردة فنحصي احتمالات تركيبها وإحصاء رياضياً كما فعل الخليل بن أحمد في معجمه (المين) لنبحث بعد ذلك في الكلمات المستعملة وتترك التي أهملتها اللغة فإن سلوك هذه الطريق مبني على قبول

سابق للنظرية القائلة بأن الحرف المفرد أسبق في الوجود من الكلمة المركبة وهي نظرية غير مسلم بها .

إن مجموع كلمات لغة من اللغات الحية ليس مجموع الاحتمالات الرياضية الممكنة التي تنشأ عن تركيب الأصوات المفردة أو الحروف وليست كلمات اللغة مفردات منفصلة مستقل بعضها عن بعض فإن اللغات الحية تقدم لنا مفرداتها مصففة في مجموعات يرتبط أفراد كل مجموعة منها ببعضها ببعض برباط من القربى والنسب سواء في مبناها أو في معناها وإن كان هذا القدر المشترك بين أفراد المجموعة الواحدة يختلف من لغة إلى لغة في مقداره ووضوحه وظهوره فيختلف بحسب ذلك الرباط الذي يكون بينها قوة وضعفاً .

فألفاظ اللغة العربية تتجمع في مجموعات كل مجموعة منها تشترك مفرداتها في حروف ثلاثة وتشترك في معنى عام تم تنفرد كل كلمة في المجموعة وتميز من قريباتها في النسب بصيغتها أو مبناها وتختلف في معنى خاص بها ناشئ عن صيغتها أو عنها وعن غيرها من الملابس التي أكسبتها حياة خاصة فلكل كلمة حياة وتاريخ وقد تبتمد قليلاً أو كثيراً عن المعنى الأصلي الذي يظل شبحه خيماً بظله عليها . ولكنها مهما اتمدت في معناها وفي حياتها وتاريخها تحمل طابع نسبها في الحروف الثلاثة التي تدور معها أنى دارت، وهذه مزية في اللغة

العربية ليست لغيرها من اللغات ذلك أن الألفاظ في اللغات الأخرى يعتمدها من التبدل ما يحو أصلها ويخفي معالته .

فلو نظرنا في مادة ( حدق ) وما تفرع عنها من كلمات ( أحدق - حديقة - حدقة العين ) لوجدناها تتضمن كلها معنى الاحاطة والألفاظ المشتقة من مادة ( ج ن ن ) تتضمن معنى الاستتار ومنها ( الجنب والجنبة والجنون والجن والجنبة ) والألفاظ المشتقة من مادة ( ش ر ك ) كالشرك والشركة والاشتراك تتضمن معنى التعدد والمشاركة .

ولو نظرنا الفرنسي إلى كلمتي Chien و Canine لما وجد ما يدل على أنهما من أصل واحد وكذلك Capilaine و Chef مع أنهما يرجعان إلى كلمة Caput اللاتينية ومعناها الرأس ومثل هذه الأمثلة كثير جداً في لغتهم .

ويمكننا أن نقول إن الألفاظ العربية كالعرب أنفسهم تتجمع في قبائل وأسر معروفة الأنساب وتحمل هذه الألفاظ دوماً دليل معناها وأصلها وميسم نسبها وذلك في الحروف الثلاثة الأصلية التي تدور مع ما يتولد عنها ويشق منها من ألفاظ وتختلف مفردات هذه المجموعات أو أسر الألفاظ كثرة وقلة فهي كلقبائل منها المنجب والمقيم والمكتر والمقل . إن الألفاظ العربية تكثر وتوالد بعضها من بعض باستمرار وتؤدي بهذه الطريقة الحية وظيفتها في الحياة .

إذ تقابل كل مولود جديد حسيًا كان أم معنويًا بمولود جديد مثله من اللفظ  
من الأصول الموجودة والارومات القائمة .

ولا يحتاج المرء إلى كبير عناء لمعرفة هذه الألفاظ الجديدة ومعرفة  
قراءة الألفاظ ونسبها وارتباط بعضها ببعض . ذلك أن الألفاظ التي ترجع إلى  
أصل واحد تشترك في عدد من الأصوات المميزة وهي على الغالب ثلاثة  
يعرف بها سامعها أصلها ويدرك بجرسها نسبها .

وقد يشبه الأصل لتغير صوتي طارئ قد يخفى ويدق ولكنه سرعان  
ما يظهر على قلة هذه المشتبهات ومثال ذلك ( التقوى فهي من الوقاية والنزاهة  
من ورث والنأر من الأود وتجاه من الوجه وسبان من سوى ) أما في اللغات  
الأخرى فإن المشتبهات هي الأصل والغالب الشائع . وقد يكون التشابه  
من باب آخر وذلك أن بعض الألفاظ تماثل حروفها وهي من مواد مختلفة  
وليست من أصل واحد وأكثر ما يقع هذا في اللغات الأجنبية فكلمة *louer*  
في اللغة الفرنسية تفيد معنى المدح والثناء ومعنى التأجير والحقيقة أن ثمة كلمتين  
لا كلمة واحدة أحدهما نتيجة تطور كلمة *Iocare* اللاتينية ومعناها التأجير  
والثانية متحولة عن *Iaudare* بمعنى المدح ويقع مثل هذا في العربية في الألفاظ  
الأعجمية التي تلحق بمادة عربية كالإقليد في مادة ( ق ل د ) كما يقع في بعض



الألفاظ المشتبهة الأصل وهي قليلة نادرة كلفظ ( الملائكة ) واختلافهم في أصلها هل هو ( أ ل ك ) أم ( م ل ك ) .

الاشتراك في الأصوات الأصلية :

إن القدر المشترك بين الألفاظ التي ترجع إلى أصل واحد هو في اللغة العربية ثلاثة حروف ويسمى مادة الكلمة وأصلها وهو الأساس الذي اتخذ في ترتيب المعاجم العربية فقد رتب الألفاظ وجمعها بحسب أنسابها وأصولها فجعلت الكلمات التي ترجع إلى مادة واحدة في مكان واحد فجعلت في مادة ( ض ر ب ) جميع مشتقاتها المتولدة عنها وكذلك في ( ق ط ع ) و ( ع ل م ) وغيرها وليست كذلك معاجم اللغات الأخرى لتعذر ذلك بسبب ضياع أصول الألفاظ واندراس معالم أنسابها ولذلك رتبها ترتيباً فردياً لا جمعياً راعوا فيه ظاهر اللفظ لا حقيقته وأصله فتباعدت الأقارب وتقاربت الأبعد اللهم إلا في معاجم تعرف بالمعاجم الاشتقاقية ( Etymologique ) ولكن هذه المعاجم لا يستعملها إلا الخاصة من المشتغلين باللغة .

إن هذه الحروف أو الأصوات الثلاثة هي المنصر الأساسي في تركيب الكلمة العربية وهي كذلك المنصر الثابت فيها وأما الحركات أو المدود القصيرة وحروف العلة فهي عنصر ثانوي وكذلك حروف الزيادة التي تزد على

الأصوات الثلاثة في مختلف تصاريف الكلمة . فالحرركات وهي في الحقيقة حروف مد قصيرة تبدل في اللفظ الواحد وتبدلها يولد ألفاظاً وتصاريف تفيد ألواناً من المعاني. فالحروف (ك ت ب) يمكن أن تقرأ: (كُتِب) و(كُتِب) و(كُتِب) ولكل منها معنى خاص ويجمعها معنى عام هو الكتابة ولعل هذا هو السبب في عدم اثباتها في الرسم لكثرة تبدلها . وأما حروف العلة أو المد فهي كذلك عرضة للتبدل والحذف فقد تقلب الياء واوا والواو ياء والألف واوا أو ياء إلى غير ذلك من التبدلات مثل قال وقيل وقول ومقال ومقول وقد تقلب إلى حرف صوتي آخر وذلك نحو : اتقى واتمد واتسم وقد تحذف في نحو (لم يقل ولم يرم وهادٍ وقل) ، وذلك دليل على صحة تسمية النحاة لها (حروف علة) فهي من الكلمة موطن الضعف ومحل الاعتلال ولعل هذا هو السبب كذلك في حذفها في الرسم العربي القديم .

أما الحروف الزائدة على الحروف الثلاثة الأصلية في الكلمات العربية فهي محدودة محصورة جمعها علماء الصرف في (سألتونيها) ولذلك كانت مشتقات الألفاظ جارية على نسق واحد في العربية . فالأصوات الثلاثة الأصلية تصب في قوالب معلومة وتصاغ في أشكال محدودة لآداء أنواع المعنى الواحد بإضافة حروف مخصوصة من حروف الزيادة المذكورة وذلك مثل ( كاتب

ومكتوب ومكتب وكتاب وكتب ويكتب واكتب ويكتبون ويكتبن...  
النخ) وهذه القوالب أو الأشكال هي المعروفة في اللغة بالأبنية أو الأوزان  
وهي موضوع بحث آخر يلي بحث الاشتقاق .

فلاشتقاق يحدد الكلمة أو (مادتها) الأساسية و (معناها) الأصلي وبحث  
الأبنية أو الصرف يحدد شكلها أو بناءها الذي يكسبها معنى زائداً يضاف  
إلى المعنى العام فيخصصه ويحدده .

#### الاشتراك في المعنى العام :

إن الألفاظ التي تشترك في الحروف أو الأصوات الثلاثة الأصلية  
تشارك كذلك في معنى أصلي عام ينظم مفرداتها ويسميه ابن فارس في مقاييسه  
الأصل ويصدر به الكلام في كل مادة فيقول مثلاً : « ( خص ) الخاء والصاد  
أصل مطرد منقاس وهو يدل على الفرجة والثلمة فالخصاص الفرج بين  
الأنثى ويقال للقمر بدا من خصاصة السحاب... والخصاصة الإملاق والثلمة  
في الحال<sup>(١)</sup> ومن الباب خصصت فلاناً بشيء خصوصية بفتح الخاء<sup>(٢)</sup> وهو

(١) هكذا في الأصل ولعلها في الحافظ .

(٢) وبضمها كما في اللسان والقاموس .

القياس لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره والموم بخلاف ذلك والخصيصة الخصوصية . وقد يرجع المادة إلى أصلين أو أكثر ولكن الباحث المتأمل يستطيع أن يرجع هذين الأصلين أو الثلاثة إلى أصل واحد بقليل من إمعان النظر من غير تنطع ولا تمسف مثال ذلك مادة ( خلف ) التي أرجعها إلى أصول ثلاثة : « أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه والثاني خلاف قدام والثالث التغير » . وكذلك مادة ( غور ) التي جعلها أصلين أحدهما خفوض في الشيء وانحطاط وتطامن والأصل الآخر اقدم على أخذ مال قهراً أو حرباً . وأما بقية المعاجم فإنها تلاحظ ذلك عرضاً في شرح المادة وكثيراً ما تشير إلى ما بين الفاظ المادة من صلة معنوية .

ويختلف هذا المعنى العام في كل واحدة من مفردات المادة بحسب الصيغة التي تصاغ بها مثل قطاع ومقطوع ويقطعون من قطع ، إذ تشترك كلها في المعنى العام للقطع ولا تدل الأولى على من يقوم به بشدة أو استمرار وكثرة والثانية تدل على ما وقع عليه القطع والثالثة على حدوث الفعل من جماعة غائبين . على أن هذا المعنى العام للمادة قد يصيبه مع مر الزمن وتداول العصور تبدل بالتخصيص أو التعميم أو بالانتقال إلى معنى مجاور وقد يجتمع المعنيان القديم والحديث في المادة وقد يهمل القديم فيصبح أصلاً تاريخياً

ويبقى المعنى الجديد، والافاضة في هذا البحث ليست من باب الاشتقاق وإنما هي موضوع بحث خاص في تطور معاني الألفاظ .

وقد يقع هذا التغير في بعض مفردات المادة دون شمولها جميعاً فتفرد بعض هذه المفردات المشتقة من المادة بمعنى خاص بها عن اخواتها في الأصل كالضريبة من ضرب والعقيلة من عقل والدقيقة للجزء من الساعة والراية للأرض المرتفعة والصفقة لمقد البيع .

وقد تفرد بعض الألفاظ من سائر مفردات المادة فتسير مسرعة تبديل معنى بعد معنى حتى يخيل للناظر أن لا صلة بينها وبين سائر المفردات وأن لا نسب يجمع بينها لولا تشابه الملامح البادي في الأصول الأصلية .  
ولذلك كان الاشتقاق كاشفاً عن الأصل القديم دالاً على الصلة والنسب وكان الاشتراك في المادة دليلاً على وحدة الأصل ولو تفرقت المعاني واختلفت الأشكال .

فتأمل في معاني المجموعات التالية من الألفاظ ( عَقَل ، عقال ، عقيلة ، اعتقال ، عَقْل ) ( سفر ، سافر ، سفير ، أسفر ) ( دار ، الدار ، استدار ، دائرة ، مدير ، ادارة ، دارة ، دوار ، مدار ) تجد الصلة ظاهرة بين مفرداتها وإن تباينت معانيها ولكنك إذا نظرت في كلمتي ( الجار ) بمعنى الساكن

الملاصق و ( الجور ) بمعنى الظلم لم تجد صلة ظاهرة بل احتجت إلى مزيد تأمل وإلى النظر في تاريخ اللفظتين في حياة العرب أصحاب هذه اللغة فإذا فعلت ذلك ظهر لك أن ( الجار ) هو من يدخل في حماية القبيلة فليسكن في (جوارها) أي بالقرب منها وفي حمايتها فيجبرونه من (أجار) إذا رفع عنه الجور وهو الظلم والتعدي والمهزلة فيه للسلب نظير أشكى وأعدى وأعتب . قال الزجاج : « الرجل من الرحيل والثور لأنه يثير الأرض والثوب لأنه ناب لباساً بعد أن كان غزلاً » .

آراء ومصطلحات :

١ - الاشتقاق كما تبين لنا من العرض السابق هو توليد الألفاظ بعضها من بعض ولا يكون ذلك إلا من بين الألفاظ التي يفترض أن بينها أصلاً واحداً ترجع إليه وتولد منه فهو في الألفاظ أشبه بالرابطة النسبية بين الناس فلا بد لصحة الاشتقاق بين لفظين أو أكثر من عناصر ثلاثة :

( ١ ) الاشتراك في عدد من الحروف وهي في اللغة العربية ثلاثة وأما

الاشتراك فيما دون ذلك فسيأتي بحته .

٢٢١ أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في هذه الألفاظ .

(٣) أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى ولو على تقدير الأصل .

ولذلك فقد عرف قداماؤنا الاشتقاق بأنه « أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر » (المزهر للسيوطي) .

٢ - ولا شك أن هذه الطريقة في توليد الألفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسماً حياً تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة وتغنى عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لا بد منها لو عدم الاشتقاق وإن هذا الارتباط بين ألفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهي الحروف أو الأصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء كان بادياً ظاهراً أو مختفياً مستسراً خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين ألفاظها من صلوات حية تسمح لنا بالقول : إن ارتباطها حيوي وإن طريقة ( مبهمة توليدية ) وليست آلية جامدة .

أما طريقة اللغات الأخرى ولا سيما ( الهندية الاوربية ) فهي طريقة آلية أكثر منها توليدية وإن كان للاشتقاق فيها نصيب ولكنه محدود فإن الطريقة الغالبة في هذه اللغات هي طريقة النحت وإصاق الكلمات بعضها

بعض ومثال ذلك هذه الألفاظ في اللغة الافرنسية 'anthropologie, misanthrope, automobile وفي الفارسية ( روزنامه ، شاهنامه ، نيروز ) .

٣ - ولهذا كان الاشتقاق في اللغة العربية وسيلة رائمة لتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني الجديدة ولم ينقطع سيل الألفاظ الجديدة في اللغة العربية . ففي صدر الاسلام وفي العصور التالية وفي العصر الحديث ظهر عدد كبير من الألفاظ لأداء المعاني الجديدة للدلالة على أفكار أو أشياء مادية وذلك بطريق اشتقاق لفظ جديد من مادة قديمة كالجهاد والزكاة والعامل وكالعرض (المقابل للجوهر) والتأليف والتصعيد والتجريح والتعديل والشعوية والتصدير والاذاعة والاشترافية ....

وكان الاشتقاق كذلك طريقاً للتجديد والتنويع الفني كما استعمل القرآن للفظ الواقعة والفاشية والطامة والقارعة بمعنى القيامة لتجديد اللفظ وإلباس المعنى حلة جديدة وربما ألقى اللفظ بظله على معنى آخر فأكد بذلك جمالاً وجدة . لاحظ مادة ( شجر ) في قول البحري :

شواجر أرماح تقطع بينهم شواجن أرحام ملوم قَطوعها  
٤ - وإذا كان الاشتقاق في اللغة العربية مظهرأ من مظاهر حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد فإنه كذلك مظهر من مظاهر منطقيتها



وموافقها للطبيعة في ارجاع الجزئيات إلى الكليات وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع وتجلى في ذلك مقدرة اللغة العربية في الربط والتصنيف سواء في الألفاظ أو في المعاني وتطبع بذلك عقلية أصحابها بهذا الطابع المنطقي العلمي وإن شئت عكست فقلت إن هذه الخاصة هي صدى ما في العقلية العربية من خصائص التفكير المنطقي والعلمي .

هـ - والاشتقاق يدلنا على أصول الألفاظ فيمكننا من ربط الكلمة بأخواتها وأفراد المجموعة التي تنسب إليها وذلك مما يثبت معناها أو يوضحه فان كلمة سماء من ( س م و ) وشتى جمع شتيت من ( ش ت ت ) والتلاد من ( و ل د ) وهو المال أو المجد الذي يملكه الانسان منذ ولادته لأنه موروث و ( الكفاءة ) معناها التعادل فانها من ( ك ف أ ) ومنها الكفو والأكفاء أي المتعادلون والكفاءة وأما ( الكفاية ) ومعناها الاكتفاء والاستغناء فهي من ( ك ف ي ) ومنها الكافي والكفاءة و ( استكان ) من سكن وهي من باب افتعل اشبعت حركة عينها ولفظها موم أنها من باب استفعل وليست كذلك . والاشتقاق هو الطريق إلى حسن فهم اللغة والتفقه فيها ومعرفة أسرارها والدخول في عالمها الخاص فانه يربط الألفاظ ويصل بين معانيها فان معرفة مادة

( ر ب و ) تظلمنا على حقيقة معاني ( الربا والربوة ) وصلتها بمادة ( ر ب ب )  
ومنها ( الترية والرب والربى ) وفيها جميعاً معنى الزيادة والنماء وكذلك فإن  
معرفة أن ( الشرف ) هو المرتفع من الأرض ومنها ( أشرف ) و ( الشرف )  
يعنى سمو الخلق والشعور بالكرامة وأن ( الاشتجار ) التشابك من ( الشجر )  
يدخلنا في صميم اللغة ويشعرنا بارتباط هذه المعاني ويجمع الصور المتماثلة والمعاني  
المتشابهة فيفسر بعضها بعضاً وينير الواضح منها الغامض والحسي المعنوي .

٦ - وإذا كان الاشتقاق قد جعل ألفاظ اللغة العربية بمجموعات ينظم كل  
واحدة منها سلك جامع مؤلف من مادة ومعنى فانه بذلك أصبح كاشفاً عن  
أصل الألفاظ وسبيلاً إلى معرفة الأصيل من الدخيل فإن الكلمة الدخيلة في  
العربية تبقى غالباً في معزل عن هذه المجموعات فلا تجد لها أصلاً لفظياً ذا معنى  
يدل على أصلها كالصراط والفرديوس والكوب فليس في العربية مادة  
( ص ر ط ) ولا ( فردس ) ولا ( كوب ) هذا وإن بعض الألفاظ الدخيلة  
قد يخفى أصلها لالتحاقها بأصل عربي لمشابهة لفظية ولا بد للألفاظ الدخيلة  
من الالتحاق بأصل عربي شأنها في ذلك شأن الغريباء عند العرب إذ لا بد من  
التحاقهم بالولاء بقبيلة عربية ، وقد يكون بين هذا اللفظ الدخيل والمادة التي  
ألحق بها تناسب وتقارب بحيث يمكن تخريجه على الأصل العربي ولكن

المبرة بالرجوع إلى الحقيقة التاريخية لمعرفة الأصل ومثال ذلك ( المقاليد ) بمعنى  
المفاتيح ومفردها ( إقليد ) وأصلها يوناني وهو ( Kleida ) وقد يظن الناظر  
من غير بحث أنها عربية من مادة ( ق ل د ) وهو ظن خاطئ . يكشف عنه  
البحث الاشتقاقي التاريخي .

على أن اللفظة العربية التي يدخلها العرب في لغتهم قد تلد ألفاظاً من جنسها  
على طريقة العرب في الاشتقاق ومن ذلك ترويض الدواوين والتضييع والتضييظ  
ومن ذلك قول الامام علي ( رض ) نورزونا كل يوم حينما قدمت له الحلوى  
في يوم ( نوروز ) . وقد بينا آنفاً كيف يكون الاشتقاق سبيلاً إلى كشف  
الصلة بين المعاني المتباعدة لألفاظ من مادة واحدة كالجار والجور وقد يكشف  
عن عادات وأحوال ماضية فالألفاظ ( الصفقة والعفرو الجيم ) تدل على عادات قديمة بل قد  
يكشف عن عقليات الأمم ومفاهيمها فالصريح في اللغة العربية مشتقة من  
الصدق وعليها يبنى مفهوم الصداقة عندهم وأما في اللغة الفرنسية المأخوذة من  
اللاتينية فان كلمة ( Ami ) مشتقة من ( Aimer ) ومعناها الحب فمفهوم  
الصداقة عندهم مبني على أساس المحبة وكذلك العرو في العربية فهو مأخوذ من  
عدا عدواً وعدواناً بمعنى التجاوز والاعتداء فالعداوة سببها عند العرب الاعتداء  
والظلم وأما في الفرنسية فان كلمة ( Ennemi ) عدو مأخوذ من البغض أو نقي  
الحب ( في اللاتينية Inimicum ) .

وبهذا يكون الاشتقاق هو الجسر الموصل بين اللغة والحياة الفكرية والاجتماعية والسبيل إلى البحث في الصلة بين التعبير والتفكير والعمل أو المادة عند الأمم ولم يمن به الباحثون المحدثون في اللغات الاجنبية عناية كافية كما أن قدماء الباحثين في اللغة العربية لم يبنوا من بحثه مبلغاً شافياً ولا سبروا أغواره واستخرجوا أسراره ولا يزال مجال القول فيه واسعاً رحباً .

إن الاشتقاق الذي بحثناه فيما تقدم والقائم على اشتراك الألفاظ في حروف ثلاثة أصلية هو الطريقة الأساسية التي لا تزال حية مستمرة في توليد الألفاظ في اللغة العربية منذ المهود التي اكتملت فيها اللغة ونقلت إلينا آثارها ونصوصها وهو المراد حين تطلق كلمة الاشتقاق تمييزاً له من أنواع أخرى من الاشتقاق سنستعرضها في البحث اللاحق .



## أنواع الاشتقاق

الاشتقاق الكبير والاشتقاق الأوسط - النظرية الثانية

القيمة التعبيرية للحرف الواحد في اللغة العربية

إن ألفاظ اللغة العربية كما دلنا البحث السابق وكما تبنت للناظرين والباحثين فيها قديماً وحديثاً تقوم على حروف ثلاثة أصلية هي ملاك أمرها والعنصر الأصلي الثابت فيها على اختلاف تقلباتها وتصاريحها وتآلف اللغة العربية من مجموعات ثلاثية قوام كل مجموعة منها ثلاثة حروف هي بالنسبة للألفاظ المدرجة في تلك المجموعة مادتها الأصلية وإطلاق كلمة ( المادة ) على هذا المعنى تسمية لقدامى اللغويين من أهل العربية وما سوى الثلاثي من الألفاظ المؤلفة من أربعة حروف أو أكثر ترد إلى هذه الثلاثة بطريق الاشتقاق أو النحت ويسمى أخذ الكلمة من هذه المادة الأصلية اشتقاقاً .

وقد سمى اللغويون الاشتقاق المبني على هذا الأساس الثلاثي أي على الاشتراك في ثلاثة حروف مرتبة ترتيباً ثابتاً دون تبديل في مواقعها بين الكلمة

المشتقة والمادة الأصلية الاشتقاق الصغير وإذا أطلقوا كلمة الاشتقاق فاعنا يريدون هذا النوع منه .

وزيد الآن أن تتقدم خطوة أخرى في تحليل عناصر الكلمة العربية ومعرفة أسرار تركيبها وخصائص تكوينها والبحث من وراء ذلك عن وجود صلات بين المجموعات الثلاثية تمكننا من رد هذه المجموعات إلى مجموعات أوسع منها وأجمع تكون هي منها كالأفخاذ من القبائل .

ولننظر أولاً في المادة الثلاثية للألفاظ العربية ولنحاول حل عناصرها وتحطيم ذرتها ومعرفة الطريقة التي بها ركبت والعمل الوظيفي لحروفها وطريقنا إلى هذا الهدف هو استعراض الألفاظ المشتركة في حرفين من أصل الثلاثة أولاً والبحث عن وجود صلة معنوية بين هذه الألفاظ وعن الصلة كذلك بين الألفاظ التي تشترك في حرف واحد وعن الرابطة بين الألفاظ التي تتشابه حروفها المتقابلة في مخرجها سواء أكان ذلك في الحروف الثلاثة أو في بعضها .

ولقد أبدى عدد من قدماء اللغويين كالتليل وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني ملاحظات كثيرة حول هذا الموضوع وكان ابن جني أئنيهم وأوسعهم نظراً وأوضحهم بحثاً فقد بسط ما لاحظته من صلات بين الألفاظ المشتركة في حرفين أو في حرف واحد مع التشابه في الحروف الأخرى مثل (اروهز)

و ( فرم وقلم ) و ( جرف و جلف و جنف ) و ( القرب و القرف ) و ( السر و الصر )  
و ( القصر و القصر ) و ( القصر و القصر ) و ( النفع و النفع ) و ( القرو القرو )  
وغير هذا من الأمثلة والملاحظات التي أوردتها في أبواب متفرقة من كتاب  
الخصائص وسار على أثره عدد من الباحثين القدماء والمحدثين كجرجي زيدان  
والكرملي والعلابي<sup>(١)</sup> في المتأخرين وخرجوا من ذلك بنظرات متقاربة في  
أصل الألفاظ العربية وتاريخ نشوئها وتكونها .

#### الاشتراك في حرفين - المجموعات الثنائية - النظرية الثنائية

لنستعرض قبل البحث عدداً من الأمثلة التي يلاحظ فيها الاشتراك  
في معنى كلي بين ألفاظ تشترك في حرفين من أصولها لنستطيع أن  
نبني عليها بعدئذ بحثنا ويلاحظ أن كل واحدة من هذه المجموعات  
الثنائية أي المشتركة في حرفين اثنين تضم عدداً كبيراً أو صغيراً من  
المجموعات الثلاثية :

(١) النون والفاء وما يثلثها ( ... ) :

---

(١) الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ٥٦ . نشوء اللفظة العربية ونموها واكتسابها  
الأب أنستاس الكرملي ص ١ و ٢ و ١٠٧ مقدمة لدراسة لغة العرب للشيخ عبد الله العلابي  
ص ١٩٩ - ٢٠٠ .





(٣) غمر ، غمس ، غمص ، <sup>(١)</sup> غمض ، غمط ، غمر

وتتضمن معنى الاختفاء وإذا كان بدل الميم باء وكلاهما شفوي المخرج وجدنا الألفاظ التالية : غير ، غبى ، <sup>(٢)</sup> غبط ، غبو ، غبن وتتضمن المعنى نفسه .

(٤) غا ...

غاب ، غار ، غاص ، غام ، وتتضمن كذلك معنى الاختفاء

(٥) فل ..

فلج ، فليح ، فلع ، فلق ، فلّ وتتضمن معنى الشق ولو أبدلنا اللام راء وكلاهما من مخرج واحد لوجدنا المجموعة التالية وهي كذلك تدل على الفصل والتفريق :

(٦) فرت ، فرج ، فرد ، فر ، فرز ، فرس ، فرض <sup>(٣)</sup> فرض ، فرط ،

فرع ، فرغ ، فرو ، فرك ، فرم ، فره ، فرى .

(٧) قط ..

---

(١) غمصه احتقره وعابه وتهاون بحقه والتممة لم يشكرها .

(٢) الغبسة الظلمة آخر الليل والناشب الناش الخادع .

(٣) فرسه قطه وخرقه وشقه والمفراص الحديد يقطع به الحديد .

قط ، قطع ، قطف ، قطن ، قنن<sup>(١)</sup> وتفيد كلها معنى التقطع والفصل ولو أبدلت  
الطاء دالا أو تاء لوجدنا قد وقطن .

(٨) حج ...

حجب ، حجر ، حمز مجهم ، ( او مجام ) ، حبل ، الحجب وتفيد المنع .

(٩) خر ...

خرب ، خر ، خرز ، خرس ، خرط ، خرف ، خرم وفيها معنى التقصان .

(١٠) قص ...

قصر ، قصف ، قصم ، قصى ، اقصى وتتضمن معنى الانتقاص والفصل .

(١١) خس ...

خسى ، خس ، خسى ، قف وإذا أبدلت السين صاداً وجدنا الأصول .

التالية خسى ( الخصاص الحاجة ) خسر خسى وقريب منها ( كسر وكسح

وكسف ) وتفيد كلها معنى الانتقاص والتجزئة وصلتها بالمجموعة

السابقة ظاهرة .

(١٢) ماج ، مار ، مار ، ماس ، مال وكلها تفيد الحركة والاضطراب .

---

(١) قطله قطله وعنقه ضربها ونخلة قطيل قطمت من أصلها وككنسة جديدة يقطع بها .

(١٣) جهر : جمع ، جمل ، جهه ، جهم ، جهمر ، جهمر .

ومن هذا القبيل : (ضم وضمن وضمم) و(كد وكدم) و(رنا وربنا)  
و(رمي ورمى) و(سار) للتحرك في المكان (وصار) للتحرك في الزمان  
و(مت ومرت وط وطل) و(وسم ووشم ووصم) و(جنن وكنن) و(غفر  
وكفر) و(غبن وغبين) و(آب وناب وناب) و(نقد ونقض ونقص) و(وطم  
وطمس وطم وطعا) و(سار وسال وسام وسام) و(مفظ ومفل ومف) وتتضمن  
معنى الجمع والاحاطة و(برأ وبرر وبرع وبره وبرأ) وتتضمن معنى الظهور  
و(نكر ونكس ونكس ونكل) وتتضمن معنى الرجوع .

ويمكن أن نستعرض أمثلة كثيرة جداً من هذا النوع أي من الألفاظ  
التي تشترك في حرفين دون الثالث وفي معنى عام يجمعها وينظم مفرداتها  
وبذلك نكون قد اكتشفنا صلة جديدة بين المجموعات الثلاثية التي  
تشارك في حرفين من أصولها وفي فكرة كلية تجمعها وتتكون بذلك  
مجموعات ثنائية كبيرة ، ولتعليل هذه الصلة نجد أنفسنا أمام عدد من  
الاحتمالات والآراء :

---

(١) جهره تجميراً جمه وتجمير القوم تجموا كجمر واوجاؤوا جارياً أي بأجمعهم  
والجبر مجتمع القوم .

أولاً - يمكن أن نقول ان الأصل في اللغة هو المجموعات الثلاثية  
الملادة الأصلية في الكلمات العربية تتألف من حروف ثلاثة ولكن قد يعتري  
أحد هذه الحروف تبدل صوتي بتوالي الأزمان أو باختلاف القبائل والبيئات  
ومن ذلك تتكون هذه المجموعات الثنائية ويكون هذا الاشتراك بين  
المجموعات الثلاثية في حرفين دون الثالث ولكن هذا القول لا يمكن تعميمه  
فان في الأمثلة التي قدمناها وفي غيرها حالات ليس فيها أي تقارب بين  
الحروف الثوالت في الألفاظ ولم يجر التبدل الصوتي في اللغات على هذا السنن  
ولم يقع تبادل بين حروف متباعدة كالفاء والعين في قطع وقطف والراء والضاد  
في غار وغاز ، على أن هذا الرأي يمكن أن يقبل بالنسبة لبعض الألفاظ  
مثل ( قدوقط ) و ( وشم ووشم ووصم ) و ( مت ومد ومط ) ولكن من  
المسير تعميمه على جميع الأمثلة فلا يمكن أن نقيم من هذا التعليل نظرية عامة  
في أصول الألفاظ العربية (١).

ثانياً - ويرى عدد من فقهاء اللغة قديماً وحديثاً أن الألفاظ العربية  
ترجع في منشئها التاريخي القديم إلى أصول ثنائية زيدت حرفاً ثالثاً في مراحل

---

(١) انظر بحث الابدال في المزهج ج ١ ص ٤٦٠ ( طبعة دار احياء الكتب العربية )  
وكتاب سر اللبان لاحمد فارس الشدياق .

تطورها التاريخي وقد جاء هذا الحرف الثالث منوعاً للمعنى العام الذي تدل عليه تلك الأصول الثنائية ومثال ذلك قط ، قطع ، قطف ، قفل ، قطر ، فالأصل فيه على رأي القائلين بالثنائية هو (قط) والحروف الثلاثة الأخرى وهي (ط ، ع ، ف ، ل ، م) منوعة لمعنى القطع ومخصصة له وكذلك (غم ، غمس ، غمسي ، غمسي ، غمط ، غمق<sup>(١)</sup> غم<sup>(٢)</sup> ، غمعا<sup>(٣)</sup> ، غمى) الأصل فيها (غم) ويفيد التغطية والاختفاء والحرف الثالث مخصص تفيد الكلمة باضافته معنى خاصاً من معاني التغطية ويمكن القول بمثل هذا في المواد أو المجموعات التي تشترك في النون والفاء أو النون والباء (نب) أو القاف والصاد (فص) أو الفاء والراء (فر) وأمثالها .

وأكثر الذين يقولون بالأصل الثنائي للالفاظ العربية يقولون كذلك إن هذه الأصول الثنائية نشأت عن حكاية الأصوات الطبيعية المقارنة للفعل أو الحدث الذي تدل عليه تلك الأصول فال (قط) حكاية للصوت المقترن

---

(١) غمقت الارض مثلكة ركبها الندى فهي غمقة .

(٢) غم الشيء غطاه وامر غمة مبهم وغمّ الهلال حال دونه غيم رقيق وغم عليه الخير استعجم والغمامة السحابة .

(٣) غما البيت بضمه غطاه بالطين والخشب واغمي عليه غشي عليه .

بالقطع والد (فص) للصوت الذي ترجع إليه معاني (فص، فصر، فصر،  
قصي، فص، فصر، فسي، فصف، كسر، كسف، قسر ... ) ويتفرع عن  
هذا الرأي القول بتقارب معاني الألفاظ لتقارب أصواتها وقد عقد ابن جني  
المبصري اللغوي في كتابه الخصائص فصلاً خاصاً عنوانه (باب في تصاقب  
الألفاظ لتصاقب المعاني) وجاء فيه بكثير من الأمثلة الشاهدة لرأيه مثل  
(از) بمعنى ازعج واقلق و (هز) و (غرب) ومنها الغرب بمعنى الدلو  
و (غرف) و (جرف، جلف، جنف) إلى أن أتى بشواهد من ألفاظ تتشابه  
حروفها في مخارجها دون أي اشتراك بينها مثل (غمر، غمل) وختم الباب  
بقوله « وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة وإنما  
بقي من يثوره ويبحث عن مكنونه؛ ثم يتبع هذا الباب باب آخر عنوانه (باب  
في أساس الألفاظ أشباه المعاني) .

ويستطرد ابن جني من ذلك إلى شرح نظريته الصوتية في اللغة بوجه  
عام دون أن يخرج منها إلى نظرية واضحة في تركيب الألفاظ ومنشئها  
التاريخي، وإن كان أشار إلى ذلك بقوله في معرض دلالة أصوات حروف  
الكلمة على أجزاء الحدث الذي تدل عليه: « فان أنت رأيت شيئاً من هذا النحو  
لا يتقاد لك فيما رسمناه ولا يتابعك على ما أوردناه فأحد أمرين إما أن تكون

لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه أو لان لهذه اللغة أصولاً وأوائل فهم  
تحقى عنا وتقصر أسبابها دوننا» (١).

وإذا صح أن الأصل من الحروف الثلاثة حرفان والثالث منوع للمعنى  
العام ومخصص له فأين يقع الحرفان من الثلاثة وأين يقع الحرف المضاف؟  
إن أكثر الأمثلة التي أوردتها الباحثون تدل على أن الحرف المضاف هو  
الأخير ولكنهم كذلك أوردوا أمثلة يقع فيها الحرف الثالث في وسط الكلمة  
الثلاثية أو في أولها.

قال زيدان في الفلسفة اللغوية (٢): «فترى مما تقدم أن الحرف المزيد  
واقع في آخر الكلمة وهذا هو الأغلب إلا أنه قد يكون في الوسط أي بين  
الحرفين الأصليين كشلق من شق وفرق من فق وقرط من قط وقرص من  
قص وقرض من قض وشرق من شق ولحس ولسع ولهس من لس... وقد  
يكون في أول الكلمة نحو رففت من فت ولهب من هب ورفض من فض  
ولس من مس وفتح وفتح من طح ونزل من ذل وغلف من لف وقس  
عليها». وقال الكرمل في كتابه نشوء اللغة العربية: «إن الكلم وضعت في

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) ص: ٥٧.

أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة لاصوات الطبيعة ثم  
فتمت أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القاب أو الطرف فتصرف  
بها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات  
والاهوية « (ص ١) .

وقال تحت عنوان ( أصول الكلم وتراكيب حروفها ) : « ان أول  
ما وضعت عليه اصول هذه اللغة كان يتقوم من حرفين ثم كسع بحرف ثالث  
للتثبت من تحقيق لفظ الحرف الثاني من الكلمة ومنذ ذلك الحين بنيت كل  
لفظة عربية على ثلاثة أحرف وأصبحت لها كالأثافي وعليها أحكم وضع أصولها  
وما زيد على ذلك القدر من الأحرف ألحق بها لغايات شتى يذكرها علماء  
العربية في مطاوي مباحثهم » (ص ١٠٧) .

وقد أورد الكرملي للتصدير أي زيادة الحرف في أول الكلمة هذه  
الأمثلة ( نرم ، بررم ، مرم ، فرم ، شرم ، صرم ، عرم ، فرم ) وجعل  
الأصل فيها كلها (رم) . وهذه الأمثلة الأخرى للحشو أي زيادة الحرف  
في قلب الكلمة : ( رنم ، رنم ، رجم ، روم ، رسم ، رشم ، رضم ، رطم ،  
رغم ، رقم ، ركم ) والأصل فيها كذلك ( الرم ) ، وقال الاستاذ العلايلي  
في مقدمته لدراسة لغة العرب . « الثلاثي وحدة كالم العربية وعليه استقرت



في الثروة البالغة عظماً واساعاً وعلى ملاحظة الثلاثي بنى اللغويون أبحاثهم» (ص ١٩٩) وهو يوافق اللغويين القدماء في رأيهم هذا ثم يحصر خلافه معهم في وجهين :

(١) كيف نشأ الثلاثي .. (٢) ليست كل مادة من الثلاثي وحدة على حدة بل طرف من وحدة تستوي في دائرة الثلاثي . ويرى أن القدماء لم يعتبروا التثني مرحلة تاريخية سبقت الثلاثي وأنه به تمل نشأة الثلاثي ويقول بعد هذا : « وكيفما كان الأمر فحديثنا الآن عن تأكيد ان للثلاثي نشأ عن التثني وان كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً وهي التثنيات التي نظنها هي المملات وهذه المملات المحفوظة في شتى المعاجم يجب أن نتخذها عدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجه لانها الأصل الذي انفصل عنه ولم يكن عمل التصحيح إلا ضرباً من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية فالواوي منها ينظر إلى الضمة المدودة واليائي إلى الكسرة كذلك ومن ثم يتأيد ما ذهبنا إليه من أن هذه الحركات تراد لمان بينهما في العهد الصوتي ثم تصححت كل حركة بحرف مع جنسها بعد أن اتخذت العربية وحدتها في الثلاثي ... ونستطيع أن نقول بعد هذا ان مطلق

الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورة التي عليها المملات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان ان عمله "الوسط" ومن الأمثلة التي أوردتها: (عبل) ويفتش عليها في (عل - علا). فلا يجمعها مع (عبت وعبد) جامع فان (عبت) مثلاً مأخوذة من (عبت) التي منها (عتل وعتل) ويختم مناقشة هذه القضية بقول هو الحق كل الحق: «وكيفما كان فانه لا يمتدنا في العمل اللغوي أبداً لأن العربية لم تمد على شيء سوى الثلاثي وانما هو يمت إلى التاريخ اللغوي في التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة» ص (٢٠٠ - ٢٠٣).

ولكن جرجي زيدان يرى احتمالاً آخر هو ان الثلاثي يمكن أن يكون مأخوذاً من أصلين ثنائيين على طريق النحت: «نحو قطف ويفيد القطع والجمع والأصل فيه على ما أرى قط لف الأولى قطع والثانية جمع والاستعمال

---

(١) ويقول اللابلي في الحاشية في هذا الموضوع: «لا انكر ان الاخذ الاحتمالي في ان يكون للزيد على الثنائي الفاء أو السين أو اللام الذي قرره دارسو اللغة من قبل قد يبدو على بعض الكلمات ضرورياً حين لا يظهر تمام الجامع في الحشو ولكن مع ذلك لا أرى في هذا ما يهدم النظرية كشيء يشمل اللغة في أكبر عدد من المواد المحفوظة... وطريقة تطبيق النظرية ان تتناول المادة بعد تجريد حرف الوسط وتتناول معها المملات التي وقع فيها هذان الحرفان على ترتيبها».

هملت اللام ونقلت حركتها إلى ما قبلها فصارت قطف . وقس أي جمع  
ما على الأرض من فئات فانها ترد إلى أصلين قم وقش الأول بمعنى كنس  
والثاني جمع فكانوا إذا أرادوا كنس شيء ما وجمه قالوا ( قم قش ) وبالتخفيف  
النيت القاف الوسطى فقيل قش . . . . وان استبعد بعضهم هذا التعليل فهو  
غير مستبعد عند من له شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها  
للابدال والنحت » ثم قال : « وإذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه  
فلا يخلو أن يكون لاحدهما أولاً فان كان الأول كان أحد اللفظين فعلاً  
والآخر حرفاً زيداً اعتباطاً . وهو في الغالب أحد هذه ( ل م ن ر ) وربما  
توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة أو تنويع الفعل بما يطابق قصده  
نحو قش ورفض وهب ولهب وشق وشنق وكن وسكن . . . . وإذا لم يكن  
لاحدهما معنى في نفسه أي لا يكون اسماً ولا فعلاً فلا يخلو أن يكون حرفاً  
وربما كان اسماً أو فعلاً في الأصل ولم يمد بميزاً الآن . ولدينا من هذا النوع  
بعض الكلمات العربية تقدمها مثلاً : من ينظر في لفظه ( مال ) بمعنى مقتنيات  
لا يخطر له إلا أنها أصل مستقل ولكنها في الواقع من كبة من ( ما ) الموصولة  
ولام الاضافة فكانوا يريدون بقولهم ( مالك ) الذي لك أي مالك  
ومقتنياتك » وبطل زيدان بهذه الطريقة كلمة نار ونور فيجعلها من ( اور )

وهي في العبرانية بمعنى النار ويقابلها بالعربية ( اوار ) والنون إما أن تكرر بقية كلمة ذات معنى أو أنها لا معنى لها المحقت اعتباطاً ومن هذا القبيل كلمة ( ويل ) فإن أصلها وي مع اللام وي + لي أوله وبهذا علل بعضهم ليس من لا النافية وايس الدالة على الكون المطلق في بعض اللغات السامية .

ونوافق الاستاذ الملايبي في رأيه السديد الذي يتلخص باستقرار العربية على الأساس الثلاثي واعتبار الأصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يمد البحث فيها مجدداً إلا ضمن هذا الاعتبار التاريخي ولكنني أرى مع ذلك أن النظرية الثنائية عدا صفها التاريخية لا تزال في بداية البحث والذين قالوا بها لم يبنوا أبحاثهم على أساس استقرار واسع ولا يكفي لاثبات صحة هذه النظرية في لغة عدد موادها لا ألفاظها تزيد على ثمانين ألفاً - وهو عدد مواد لسان العرب لابن منظور - صدقها في عشرات الأمثلة بل في مئات منها كما أن البحث يجب أن يتناول اللغات السامية التي يفرض أنها تلتقي مع العربية في تلك المرحلة التاريخية البعيدة . ومثل هذا الاستقرار والبحث الواسع لم يحصل حتى الآن ولكننا نسجلها على أنها ظاهرة تلفت النظر في اللغة العربية وتستدعي البحث ولا يقل أن تكون هذه الأمثلة التي أوردها اللغويون حتى الآن

والتي يتزايد عدد المكتشف منها كل يوم من قبيل المصادفة ولا شك أنها تدل على ما في العربية من أسرار في تركيب ألفاظها ومن روابط خفية بين موادها وأصولها ومجموعات ألفاظها وهي جديرة بمتابعة البحث والامعان في التحري والاستقراء .

#### الفجوة التعبيرية للمعرف الواحد في العربية

إن مباحث ابن جنى ورأيه في المقابلة بين الخاصة الصوتية للحروف التي تتألف منها الألفاظ ودلالاتها تشير إلى وظيفة الحرف المعنوية وإن كان ابن جنى لم يخرج من مباحثه وشواهد هذه النتيجة الصريحة الواضحة .

يقول اللغوي البقري في كتابه الخصائص : « نعم ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى واضع »<sup>(١)</sup> وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المبرع عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحرف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب « ويستشهد لذلك بلفظ ( بحث ) « قالوا لفظها تشبه خفقة الكف على الأرض والحاء لصحطها »<sup>(٢)</sup> تشبه غزال الأسد وبرائن الذئب

(١) هكذا وردت في طبعة دار الكتب المصرية ولعلنا اجل والصح .

(٢) الصحل البحث في الصوت .

ونحوهما إذا غارت في الأرض والشاء للنفث والنبث للتراب » « ومن ذلك قولهم ( سر ) الجبل ونحوه فالشين بما فيها من النفسية تشبه بالصوت أول انجذاب الجبل قبل استحكام المقدم ثم يليه إحكام الشد والجنذب وتأريب العقد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى لصلمتها وأدل على المعنى الذي أريد بها ... ومن ذلك أيضاً ( مر ) الشيء يجره قدموا الجيم لأنها حرف شديد وأول الجر عشقة على الجار والمجرور جميعاً ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر وكرروها مع ذلك في نفسها وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعداً عنها ونازلاً إليها وتكرر ذلك منه على ما فيه من التثمة والقلق فكانت الراء - لما فيها من التكرير ولأنها أيضاً قد كررت في نفسها في ( مر ) و ( مررت ) أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها » (١).

وقال أيضاً في هذا الموضوع . « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع .. وذلك أنهم كثيراً ما يحملون أصوات الحروف على سمات الأحداث المعبر بها عنها فيمدلون بها ويحتدون بها عليها وذلك أكثر مما قدره وأضعاف ما نستشعره من ذلك قولهم فضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب والقضم

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٣٦ و ١٥٧ أوج ١ ص ٥٥٥ .

للصلب اليابس .. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس  
حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث « ثم يأتي بأمثلة مشابهة نحو  
(الفتح والنضح) و(الفر والفظ) و(الوسبذ والوصبذ) و(السر والصر)  
و(الفسم والفصر) <sup>(١)</sup> .

إن هذه الفكرة التي تجلت عند ابن جني أوحت إلى بعض الباحثين في  
العصر الحديث بنظرية ( القيمة التعبيرية أو البيانية للحرف في الألفاظ  
العربية ) ولتقدم بعض ما جمعناه من الأمثلة على ذلك قبل البحث وإبداء  
الرأي فيها :

(١) حرف الغين (غ) في المواد التالية وما يتبعها ويشق منها يدل على  
الاستتار والغيبة والخفاء :

غاب ، غار ، غاضى ، غال ، غاصم .

غمر ، غمر ، غمز ، غمص ، غمض ، غمط .

غرب ، غرز ، غرس ، غرف ، غرق ، غرم ، غلق ، غلف ، غل .

غفر ، غفا ، غبى ، غبر ، غبن ، غسى .

غسى ، غطى ، غطى .





تركيب الكلمة العربية قيمة تعبيرية وأن الكلمة الثلاثية تعبر عن معنى هو ملتقى معاني حروفها الثلاثة ونتيجة تمازجها وتداخلها كأن نقول مثلاً أن ( غ ر ق ) يحصل معناها من تلاقي معاني حروفها فالغين تدل على غيبة الجسم في الماء والراء تدل على التكرار والاستمرار في سقوطه والقاف تدل على اصطدام الجسم في قعر الماء والمعنى الإجمالي الحاصل من اجتماع المعاني الجزئية للحروف هو مفهوم مادة ( غرق ) .

لا شك أن في اللغة العربية خصيصة تبهـر الناظرين وتلفت نظر الباحثين وهي تقابل الأصوات والمعاني في تركيب الألفاظ وأثر الحروف في تقوية المعنى أو إضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الألفاظ ودلالاتها وهذا مما يدعوننا إلى استقراء هذا البحث وتحري دلالات الحروف ولكننا نرى أن الأمثلة التي قدمناها والتي قدمها الباحثون في هذا الباب لا تكفي لاستنتاج قانون عام يشمل ألفاظ العربية كلها ولكنه طريق ينبغي أن يشق وباب يجب أن يفتح ولا ريب عندي أن متابعة التحري والبحث في هذا الاتجاه سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي ونظرات عميقة في تركيبها وأن من تعجل الأمور قبل الاستقراء والتحري تقديم قائمة كاملة بمعاني حروف العربية كما فعل الأستاذ العلابي في كتابه ( مقدمة لدرس لغة العرب ) ص ٢١٠ .

## الاشتقاق الكبير

ويتصل بهذه النظرة إلى الحرف العربي وقدرته في الدلالة وأثره في تكوين معنى الكلمة نوع من الاشتقاق سماه القدماء ( الاشتقاق الكبير ) تجمع فيه في قرن واحد جميع المواد المؤلفة من ثلاث حروف بينها مها اختلف ترتيبها فاذا أخذت الحروف الثلاثة ر ك ب استطعت ان تؤلف منها بتنوع الترتيب هذه المواد الست ( ركب . ركب . كبر . كرب . برك . بكر ) وقد ذكر المتقدمون بضع أمثلة من الترا كيب الستة للكلمة الواحدة وزعموا أن للمقاليب الستة كما سموها معنى جامعا كقولهم إن ( ق و ل ) وسائر ترا كيبها تفيد الخفوق والحركة ومقاليب ( ك ل م ) تفيد القوة والشدة وكذلك ( ج ب ر ) ومقاليب ( س ل م ) تفيد الضعف واللين وهذا الموضوع هو أول ما افتتح به ابن جنى كتابه الخصائص ورأى أن اللغويين تسفوا في هذا الباب تسفا كبيرا وتكلفوا شططا هذا مع أنهم لم يوردوا إلا أمثلة قليلة نادرة وخاتهم التوفيق حتى في هذه الأمثلة القليلة وليس ما اتفق في اللغة من هذا القليل في رأيي إلا من باب القلب أي تبديل مواقع الحروف وذلك مثل

( حمد ومدح ) و ( جذب وجذب ) و ( يئس وأيس )<sup>(١)</sup> ومثل هذا يقع في سائر اللغات . وقد ميز البصريون تمييزاً يدل على نظرة لغوية عميقة بين تعدد اللفظ الناشئ عن تبدل مواقع الحروف في الكلمة فتكون إحدى الكلمتين هي الأصل والثانية متولدة عنها وهذه هي حالة القلب وبين التعدد الناشئ عن اختلاف اللغات من الأصل وعلى هذا يكون رأي البصريين أن الاشتقاق الكبير موجود في اللغة وهو غير القلب « قال النحاس في شرح المعلقات القلب الصحيح عند البصريين مثل شاكي السلاح وشائك وجرف هار وهائر وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جذب وجذب فليس هذا بقلب عند البصريين وإنما هما لفتان<sup>(٢)</sup> وقد ذهب ابن دستويه إلى انكار القلب من أساسه وألف في ذلك كتاباً سماه إبطال القلب وفي رأينا أن اعتبار البصريين لتعدد اللغات ناشئ عن أن حادثة القلب الصوتية قد ترجع في بعض الألفاظ إلى عهد بعيد جداً في تاريخ اللغة بحيث تأصلت كل واحدة من اللفظتين كمدح وحمد وجذب وجذب في قبيلة من القبائل أو في معنى مختلف بمض الاختلاف عن معنى اللفظة الأخرى حتى بدت للباحث أنها لغات متعددة ونوسيت الحادثة الصوتية التي

(١) ومن هذا القبيل ( غرب وغبر ) و ( أعرب وعبر ) .

(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٤٨١ .

هي قلب مواقع الحروف ولذلك فإن اللغويين كما نقل السيوطي يرون أن ذلك كله مقلوب ولا يفرقون كما يفرق نحاة البصريين بين القلب واختلاف اللغات .

وعلى كل حال فإن محاولة فقهاء اللغة قديماً تفكيك الكلمة وحلها إلى أجزائها الصوتية التي هي الحروف فكرة بارعة ونظرة عميقة ثاقبة تدل على تفكير لغوي عميق عندهم بقدر ما تدل على ما في اللغة العربية من استعداد عظيم لهذه العمليات المخبرية وخصائص كامنة عريقة تذكّر نادوماً بمشابهتها للطبيعة التي أمكن ارجاع معادنها المختلفة إلى نوع واحد لا يختلف إلا في طريقة تركيبه الذري ولذلك فإني وإن كنت أرى أن الاشتقاق الكبير في اللغة العربية في عهدها الأخير الذي يمتد إلى ما قبل بضعة عشر قرناً هو أضعف أنواع الاشتقاق وأقلها فائدة وجدوى من الوجهة العملية وأبعدها عن الوضوح والظهور للناظرين في اللغة فإني مع هذا أرى ضرورة ولوج هذا الباب واستشراف آفاق العربية البعيدة من هذا المرتفع ولكن الطريق وعرة لم تعبد وهي تتطلب رواداً يشقون الطريق بفكر ثاقب وبصر نافذ وقديماً قال ابن جنى بمد أن سرد معاني مادة (ق و ل) بتركيبتها الستة فهذه الطرائق التي نحن فيها حزنة المذاهب والتوردد لها وعسر المسلك ولا يجب مع هذا أن تستنكر ولا

تستبعد فقد كان أبو علي رحمه الله يراها ويأخذ بها . . . وشاهدته غير مرة إذا أشكل عليه الحرف الفاء أو العين أو اللام استعان على علمه ومعرفته بتقليب أصول المثال الذي ذلك الحرف فيه فهذا أغرب مأخذاً مما تقتضيه صناعة الاشتقاق . . . على أن هذا وإن لم يطرد وينقد في كل أصل فالمذر على كل حال فيه أبين منه في الأصل الواحد من غير تقليب لشيء من حروفه فإذا جاز أن يخرج بعض الأصل الواحد من أن تنظمه قضية الاشتقاق كان فيما تقلبت أصوله فآؤه وعينه ولامه أسهل والمذرة فيه أوضح<sup>(١)</sup> .

وقد خص ابن جني هذا النوع من الاشتقاق باب خاص جعل عنوانه « الاشتقاق الأكبر » فقال في أوله : « هذا موضع لم يسه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد إليه مع أعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسهه وإنما كان يتقاده عند الضرورة ويستروح إليه ويتعطل به وإنما هذا التلقيب لنا نحن وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه وذلك كتركيب اسم لم فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى

(١) الخصائص ج ١ ص ١١٠ و ١١١

والسلامة والسليم . . . وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته . . . فهذا هو الاشتقاق الأصغر وقد قدم أبو بكر رحمه الله رسالته فيه بما أغنى عن إعادته . . . وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتمقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما تصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد .<sup>(١)</sup>

وأول من فكر فيما نعلم في حل الكلمة إلى حروفها الأصلية الثلاثة ثم قلب مواقع هذه الحروف هو الخليل<sup>(٢)</sup> وعلى هذا الأساس رتب المعجم المنسوب إليه المشهور بكتاب العين في اللغة ولكن مبث الفكرة عنده في رأينا ليس أنه يرى أن المقاليب الستة للكلمة الواحدة تدخل في باب اشتقاق واحد وترجع إلى أصل واحد يجمعها بسبب اشتراكها في الحروف الثلاثة مها يكن موقعها وترتيبها وأنا الباعث له على هذا الترتيب فكرة احصائية رياضية وهي فكرة ميسطرة في رأينا على تفكير الخليل فالبة عليه وليس هذا الموضوع محلاً لشرح رأينا هذا في الخليل .

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٢٥

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ - ٢٠٤ هـ) .

على أن اللغويين بعد ابن جنى ميزوا بين أنواع الاشتقاق وأطلقوا اسم  
(الاشتقاق الكبير) على ما سماه ابن جنى بالأكبر أي الذي يعتمد على  
الحروف الثلاثة دون تبديل فيها ولكن في مواقعها وترتيبها وأطلقوا اسم  
(الاشتقاق الأكبر) على ما يكون فيه اشتراك في بعض الحروف الثلاثة  
سواء أكان بين الحروف المتغايرة تشابه أو تقارب في المخرج أم لم يكن على  
القول الأرجح مع وجود تناسب وتوافق في المعنى مثل (نفت ونفس ونفر)  
و (نعم ونهى) مما بحثناه مفصلاً في موضعه ونحن نرى أن يتفق علماء  
اللغة في هذا المصر على متابعة ابن جنى في تسميته لأنها أصح في نظرنا  
وذلك أن الاشتقاق القائم على المقاليب الستة قليل نادر بعيد عن واقع  
اللغة فنسميته بالأكبر أولى وأما الكبير فهو الأقرب إلى واقع اللغة  
والأكثر أمثلة وشيوعاً في العربية والأدنى إلى القبول ولكننا نؤثر السير  
على مصطلح اللغويين حتى يتم اتفاق الباحثين أو المجامع العلمية على هذا التبديل  
وذلك منماً للاتباس .

## الأُبنية أو الأوزان

تشتمل الكلمة العربية على ثلاثة عناصر كل واحد منها موضوع بحث خاص ودراسة مطولة في فقه اللغة .

الأول : المادة الأصلية التي ترجع إليها الكلمة أو الحروف الأصلية التي تتكون منها وهي أصل اشتقاقها ومادة بنائها ، وذلك مثل ( ش ر ي . ق ط ع . ك ت ب ) بالنسبة إلى الألفاظ ( المشتري ، الاقنطاع ، اللاتب ) والبحث في رد الكلمة إلى أصلها ومعرفة الصلة بين الكلمة ومادتها هو موضوع علم الاشتقاق الذي تقدم الكلام عنه .

والثاني : هو الهيئة التي وُكبت فيها حروف الكلمة الأصلية والزائدة والبناء الذي جمعت فيه أو القالب الذي صبت فيه هذه الحروف وهو الذي يعطي الكلمة صورتها وشكلها ويجعل لها جرساً ووزناً معيناً ويسمى البناء أو الوزن أو الصيغة .

والثالث : معنى الكلمة المتحصل من مادتها الأصلية وهيئة تركيبها واستعمالها العملي خلال البيئات والعصور التي عاشت فيها .



وبحثنا هذا يتناول المنصر الثاني من عناصر الكلمة وهو الوزن أو البناء أو الصيغة .

وإذا كان الاشتقاق في العربية جعل ألفاظها تجتمع في مجموعات تشترك ألفاظ كل واحدة منها في حروف أصلية ثلاثة و صنفها بحسب مادتها الأصلية فاننا نستطيع أن نصنف هذه الألفاظ تصنيفاً آخر تبعاً لوزنها و صيغتها بحيث نجعل هذه الألفاظ مثلاً ( سماع ، ثارب ، ضارب ، قائل ، نائب ، قارى ، جامع ، نافع ، نائر . . . . . الفع . . . ) في صنف واحد وكذلك ( مسموع ، مشروب ، مضروب ، مفعول ، مفروء ، مجموع . . . الفع ) في صنف آخر و ( فغير ، وعلير ، وعزير ، ورفير ، وعلير ، ووبرير ، وجرير ، ورسيع ، وقيسي . . . الفع ) في صنف ثالث والجامع بين ألفاظ الصنف الواحد هنا هو شكل البناء أو الصيغة والوزن الموسيقي ويجمع بينها كذلك جزء من المعنى أو صفة من صفاته كالفاعلية في الأمثلة الأولى والمفعولية في الثانية والاتصاف بالخبرة والعلم والحزن والرفق . . . الفع في الثالثة . ولو تأملت قول الرسول الكريم صلوات الله عليه ( الولد مجهلة مجينة مبخلة ) لوجدت أن الألفاظ الثلاثة التي وصف بها الولد مشتقة من مواد مختلفة هي الجهل والجبن والبخل ولكنها على وزن واحد

وفي شكل واحد من التركيب والمعنى الذي تفيدُه هو أن الولد يكون بالنسبة لوالده سبباً للجهل والجن والبخل لما يسببه من انصراف أبيه إليه وخوفه عليه وتوفيره المال له . فإداءة الألفاظ هنا مختلفة ولكن الصيغة واحدة ووجهة المعنى التي بها تخصص المعنى الأصلي للمادة وتحدد واحدة أيضاً وذلك على عكس المثال الثاني في قوله عليه السلام ( من تطب ولم يعرف طب فهو ضامن ) أي أن من مارس الطب ولم يعرف عنه أنه طيب فهو ضامن لما يحصل للمريض من ضرر فكلمتا تطب وطب تشتركان في المادة الأصلية ( ط ب ب ) ولكنها تختلفان في الصيغة وفي وجه المعنى فكلمة ( تطب ) تفيد هنا ممارسة الطب وكلمة ( الطب ) تفيد المهنة . وكذلك قول الشاعر :

( أنا الليث معدياً عليه وعادياً ) قال كلمتان ( معدى عليه وعادى ) مشتقتان من مادة ( ع د و ) المفيدة لمعنى التجاوز والمدوان ولكن الصيغة فصلت بينهما وخصت كل واحدة بمعنى من معاني الاعتداء فالأولى وهي صيغة المفعول ( معدى ) عليه تدل على من وقع عليه المدوان والثانية ( عادى ) تدل على من وقع منه ويكون معنى قول الشاعر إنني أشبه الأسد في حالتيه حينما يعتدى عليه فيرد الاعتداء ويقابله وحينما يكون هو البادى بالاعتداء فلا يأخذ إلا القوي المقتدر ويترك الضعيف الذليل .

وعلى هذا فإن الألفاظ العربية يمكن أن تصنف على وجهين أحدهما أن تصنف بحسب موادها وأصولها فتجتمع الألفاظ التي ترجع إلى أصل واحد وتشارك في حروفها الأصلية في زمرة واحدة منها تختلف أشكالها وأبنيئها وهذا ما فعله أصحاب المعاجم العربية إذ جمعوا الألفاظ و صنفوها على حسب حروفها الأصلية . والوجه الآخر يكون بجمع الألفاظ التي تتساوى أوزانها وتمائل صيغها وأبنيئها منها تختلف أصولها وموادها كجمع الألفاظ الدالة على الآلة مثلاً والمتشابهة في هيئتها وبنائها أو الدالة على الفاعل والتي هي على وزن فاعل من الثلاثيات والرابط بين الألفاظ في التصنيف الأول والمنصر المشترك بينها هو المادة الأصلية أو الحروف الثلاثة والمعنى العام الذي تؤديه هذه الحروف وأما في التصنيف الثاني فالرابط بين الألفاظ المجتمعة في زمرة واحدة والمنصر المشترك بينها هو شكل البناء والتركيب والوزن الموسيقي من جهة والمعنى الذي يتحصل من هذا البناء أو الوزن من جهة أخرى .

إن بناء الكلمة أو صيغتها أحد العناصر الأساسية في تكوينها فإذا تكسب الكلمة من بنائها أو صيغتها وماذا يقدم البناء أو الوزن للكلمة ؛ ذلك ما نريد أن نبينه ونوضحه .

دولة الويفية أو معاني الصبغ ؛

إن صيغة الكلمة أو وزنها عنصر من العناصر الأساسية التي تحدد معناها

ولولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة فالصينة هي التي تقيم الفروق بين ( كاتب ومكتوب وكتابة ) وبين ( شريك واشتراك وشركة ) فهي التي تخصص المعنى وتحدده كتحديد معنى الفاعلية فيما كان على وزن فاعل من الثلاثي أو مُفْعِلٍ من أفعلٍ أو مُفْتَعِلٍ من افتعل الخ . . . ومعنى المفعولية في أوزان اسم المفعول أو معنى الطلب في استفعل كاستنفر واسترحم .

إن للابنية أو الصيغ في العربية دلالات وللأوزان معاني وقد حاول فقهاء اللغة استخراج المعاني واستنباطها عن طريق التحري والاستقصاء فوفقوا في كثير منها ومن ذلك ما هو معروف مشهور كالأسماء المشتقة المذكورة في كتب الصرف ( اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفصيل واسم الزمان والمكان واسم الآلة ) وكأوزان الأفعال وتصاريحها المختلفة وبعض أنواع الجوع القياسية السالبة منها وغير السالبة ومنها ما عني به فقهاء اللغة مما لم يذكره علماء الصرف . وإليك بعض أنواع من الابنية مع دلالاتها ومعناها :

فَاعِلٌ وَتَدَلَّ عَلَى تَعَلُّقِ الْفِعْلِ بِمُتَعَدِّدٍ عَلَى الْمُنَافَسَةِ . ( قَاتِلٌ ضَارِبٌ زَائِمٌ نَافِسٌ طَائِلٌ فَائِزٌ صَارِعٌ صَالِحٌ سَالِمٌ شَارِكٌ أَكَلٌ ضَامِكٌ جَالِسٌ خَائِلٌ ) .

تفاعل وتدلل على المشاركة وتمدد الفاعلين : ( تشارك تقاتل تضارب تزامم  
تعالم تعارف تعاون تراعى ) .

وقد تدلل على التظاهر بالشيء مثل : نجاهل ونجابي ونحامي ونمارض  
ونفائل وتدلل على مطاوع فاعل كنباعد ونفاعد وعلى التدرج  
كتافص وتزابد .

تفعل وتدلل على مطاوع فعمل نحو كسرتة فتكسر وقطمته فنقطع .  
وتدلل على أخذ الشيء بعد الشيء بتمهل مثل تبصر وقهرهم وتجرع  
ونمسي وتأمل وعلى تكلف الشيء أو ممارسته ( نصبر . نفق . نرتق .  
تغلسف . تدين . تطيب ) .

فُعَال تدلل على الأصوات مثل : دعاء رغاء نغاء عواء مطاء صراء صراخ  
ويستثنى من ذلك النداء والفاء .

فُعَالَة وتدلل على البقايا أو على ما تحصل بسبب القيام بالفعل :  
لأحانة والبرابة والنخاعة والنخاعة والنافضة والقمامة والنفاعة والنفاعة والنفاعة  
والصبابة والحصارة والسموفز والجراثة والسمانة والسمونة والجزارة والحناينة والنفاعة .  
فِعَالَة وتدلل على الحرفة كالصناعة والزراعة والتجارة والنجارة  
والحدادة والنجارة .

فَسَالٌ وتدل على مبالغة اسم الفاعل كشرابٍ وقنالٍ وعلى الحرفة كحمارٍ  
ونجارٍ وعلى النسبة إلى الشيء، وملازمته كعطارٍ ولبانٍ وسمانٍ وفنانه .  
مَفْعَلَةٌ تدل على المكان الذي يكثر فيه الشيء (مَكْمُولَةٌ مَقْتَاةٌ مَأْسِرَةٌ مَفْصِيَةٌ)  
وعلى ما يكون سبباً له (مَجِيئَةٌ مَجْرَهَةٌ مَبْنِيَةٌ مَبْنِيَةٌ مَبْنِيَةٌ مَبْنِيَةٌ مَبْنِيَةٌ مَبْنِيَةٌ)  
فِعَالٌ، وتدل على الأدوات والمرافق (لباسٌ بساطٌ زمامٌ نظامٌ مزامٌ  
لجامٌ فراسٌ اناءٌ وعاءٌ سقاءٌ ...).

وقد ذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب كثيراً من معاني الأبنية ونقل عنه  
وعن غيره من المؤلفين السيوطي في مزهره فجمع من ذلك ما لم يجتمع لغيره  
من أمثلة الأبنية وأورد معاني بعض هذه الأبنية فأرجع إليه إن أردت التوسع  
في هذا الباب .

إن الصيغ والأوزان بالنسبة للمفاهيم العامة المبر عنها في العربية بالمواد  
بكتابة قوالب تصاغ فيها الألفاظ وتحدد بها المعاني الكلية أو المفاهيم العامة  
فاذا وضعت مادة (ق ط ع) في قالب من قوالب الأبنية وصنفتها على مقداره  
كأن جعلتها على بناء مِفْعَلٍ فقلت مِقْطَعٌ فقد أخرجت منها لفظاً يدل على آلة  
القطع وإن قلت (مِقْطَعٌ) على وزن (مِفْعَلٍ) فقد دللت على مكان القطع وإن

قلت (مقاطعة) على وزن (مفاعلة) فقد دللت على قطع الصبلة بين اثنين أو جماعتين .

إن وجود هذه القوالب الفكرية العامة في اللغة العربية توفر على المتكلم والمتعلم كثيراً من الجهد ذلك أن في عالم الفكر معاني عامة كلية كالفاعلية والمفعولية والمكانية والزمانية والسببية والحديث أو الفعل والآلية ويمكن أن تزداد هذه المعاني الكلية أو القوالب الفكرية وأن ترد إليها جميع المعاني الجزئية والتفصيلية فاذا جملت للسكان من أي فعل من الأفعال قلباً يعرف به سواء أكان الفعل كتابة أو قطعاً أو لمساً أو جمعاً أو قتلاً فقد سهل عليك أن تختصر القول وتفصح عن المراد وتفهم السامع فتقول (مكتب ، مقطع ، ملمس ، منظر ، مجمع ، مقتل ) لتدل على مكان الفعل من هذه الأفعال كلها وهذه هي وظيفة الصيغة الفكرية وقيمتها المنطقية في اللغة وهي تدل على ما في العقلية العربية من نظرة منطقية تحليلية إلى الأشياء .

تتركب الكلمة العربية : (١) من حروف أصلية هي في الغالب ثلاثة وقد تكون أربعة تحدد مادتها الأصلية التي ترجع إليها ونشتق منها و (٢) من حروف زائدة تقع في أول الكلمة أو حشوها أو آخرها أو في مواضع متفرقة منها سواء أكانت هذه الحروف الزائدة صوتية أو هوائية أي حروف

مدو (٣) من حركات أو مدود قصيرة تتصل بحروفها الصوتية ولا فرق بين هذا النوع الثالث أعني الحركات والنوع الثاني أعني حروف الزيادة إلا في أن تلك تسجل في الكتابة العربية وهذه لا تسجل عادة وقد استقصى علماء اللغة الحروف الزائدة وأحصوها فوجدوا أنها لا تخرج عن عشرة حروف جمعها في قولهم (سألتونيها) وإذا أضفنا إليها الحركات الثلاث واعتبرناها حروف مد قصيرة كان مجموعها ثلاثة عشر هي سبب تنوع الألفاظ المشتقة من مادة واحدة<sup>(١)</sup>.

وهذه الطريقة في تركيب الألفاظ واشتقاقها من موادها الأصلية وتصريفها في أشكال متنوعة تختلف عن طريقة التركيب اللاحقي المعروفة في لغات أخرى كثيرة والتي تقوم على زيادة أحرف مخصوصة في أول الكلمة أو في آخرها للدلالة على معنى خاص يحصل بهذه الاضافة كاضافة ( ant ) في الفرنسية و ( er ) في الانكليزية للدلالة على اسم الفاعل واطضافة ( in ) في أول

---

(١) إن الألفاظ : ( عَلم . يعلم . علم . أعلم . تعلم . استعلم . عالم . معلوم . معلم . علام . عالين .. الخ ) تشترك في مادة ع . ل . م ومرد اختلافها وسبب تنوع أشكالها الحروف الزائدة والحركات المتنوعة في كل منها وهي لا تخرج عن الحروف المجموعة في سألته مع الحركات الثلاث .



الكلمة للسلب و ( re ) للتكرار و ( tion ) في آخرها للحدث و ( ment ) للحال في الفرنسية وقد تتركب الألفاظ وتكون الكلمات في تلك اللغات بطريقة النحت من كلمتين بادغام أو دون ادغام ومثال ذلك في الفرنسية أسماء كثير من العلوم فهي منحوتة من موضوع العلم وكلمة ( logie ) وهي من اليونانية ( logos ) ومعناها الكلام أو كلمة ( graphie ) ومعناها الكتابة ( psychologie , sociologie ) و ( géographie ) وكالكلمات المبدوءة بهذه الإضافات ( super, para, auto, trans ) ومنها ما يكون دون ادغام مثل ( grand - père الجد وأخاف faire peur ). وتختلف هذه الطريقة عن طريقة العربية وذلك أن الكلمة العربية تبدو كأنها اذيت ثم صيغت وتوزعت أجزاءها وحشيت أطرافها وأوساطها مع الاحتفاظ دوماً بمادتها الأصلية فخرجت في قالب معين ووزن محدود لا يختلف من مادة إلى أخرى فاسم الفاعل من المواد ( فتح ، علم ، سمع ، كتب ، سلم ... الخ ) لا يختلف أبداً وكذلك من ( أكرم ، أقدم ، أعلم ، أسمع ) ومثل ذلك اسم المفعول وأفعال التفضيل وغيرها وليست الحال كذلك في الفرنسية أو الانكليزية مثلاً فالألفاظ الدالة على الفاعل أو المفعول ليست من وزن واحد ولا من هيئة واحدة إذا نظر إليها بمجموعها فلا تشابه بينها في الزيادة المضافة في أولها أو آخرها وهذه الزيادة مع ذلك ليست دوماً متشابهة ولا مطردة

ومثال ذلك أسماء المفعول في الفرنسية والانكليزية فكثير منها سماعي ليس بقياسي .

وقد تنأصل الاضافات في الكلمة في هذه اللغات حتى تتوهم اصالتها ثم يشتق من الكلمة كلمة أخرى باضافة زوائد جديدة حتى يضيع أصل الكلمة وتفرق الزوائد أصل المادة ومثال ذلك في الفرنسية فعل ( émouvoir ) بمعنى حرك وهيج فقد اشتق منه اسم ( émotion ) بمعنى هياج النفس ثم اعتبروا هذا اللفظ أصلاً واشتقوا منه فعلاً بمعنى هيج ( émouvoir ) زاحم الفعل الأصلي وهذه الظاهرة كثيرة الحدوث في الفرنسية ولا يحدث مثل هذا في العربية فالمادة الأصلية تبقى هي الغالبة والأوزان أو الأبنية باطرادها تظهر الأصل من الزائد ولا يقع الالتباس لان طريقة التوليد بالصياغة والوزن على أوزان معبودة معروفة غير طريقة التوليد بالاضافات والزوائد التي لا حد تقف عنده .

وان الطريقة التي سلكها المتقدمون من علمائنا لمعرفة ابنية الالفاظ ومقابلتها باوزانها المعادلة لها هي في تحري حروف الكلمات الأصلية ومقابلتها بحروف ( ف ع ل ) ان كانت ثلاثية وبتكرار حرف ( ل ) لمقابلة الحروف الأصلية التي تزيد على الثلاثة وأما الحروف الزائدة في الكلمة فتؤخذ

كما هي لتوضع في ميزان الكلمة مع المحافظة على حركات الحروف وإليك  
بعض الأمثلة الموضحة :

الكلمة : يكتب - كاتب - مكاتب - كتائب - استكتب - كُتِّب  
الميزان : يفعل - فاعل - مفاعل - فعاثل - استفعل - فُعِّعَال  
الكلمة : دحرج - ايض - مناظر - نواظر - نظائر - مرید (من مرد)  
الميزان : قعلل - افعل - مفاعل - فواعل - فعاثل - فَعِيل

وإذا كان في الكلمة اعلال أو ابدال أو ادغام وجب رد الحرف المثل أو  
المبدل إلى أصله وفك الادغام حتى يمكن معرفة وزن الكلمة وتركيب بنيتها  
كما تلاحظ ذلك في الالفاظ التالية :

الكلمة : مَدَّ (مَدَدَ) - اتقد (أصلها او تقدمن وقد) -

الميزان : فمَل - افتمَل

الكلمة : مختار (أصلها مختير ان كانت اسم فاعل ومختير اسم مفعول)

الميزان : مفتعل - مفتعل

الكلمة : مُرِيد (من أراد) مُرَاد

الميزان : مُفَعِّل - مُفَعَّل

ولذلك فقد يحصل اختلاف بين علماء اللغة على وزن الكلمة تبعاً لاختلافهم في تحليل الكلمة وردها إلى أصلها كاختلافهم في سيّد هل هي فمیل أو فيمیل وكالقول في حستان فمن ردها إلى الحسّ قال وزنها فعلان ومن ردها إلى الحسن قال فمعال .

ولحركات الحروف في الميزان منزلة كمنزلة الزوائد وكثيراً ما يتغير معنى الكلمة وصيغتها بتغيير الحركات من غير زيادة ولا نقصان في الحروف<sup>(١)</sup> .

الكلمة : أُسَد . أَسَد . الجَدَّ الجِدَّة . عِلْم . عِلْم . عِلْم .

الميزان : فَعَلَ . فَعَلَ . الفَعَلَ . الفَعَلَ . فَعَلَ . فَعَلَ . فَعَلَ .

وذلك لأن الحركات ليست إلا حروف مد قصيرة فحكما في تصريف الكلام وبناء الألفاظ حكم حروف المد الزائدة ولكن العرب أنبتوا في الكتابة الحروف الأصلية الثلاثة مجردة من الحركات لثبوتها مها تبدل شكل الكلمة بخلاف الحركات فانها كثيرة التحول والتبدل .

---

(١) وقد جمع المتقدمون الألفاظ المتماثلة في الحروف والمختلفة في بعض الحركات في فصول أو مؤلفات خاصة وبينوا ما بينها من فروق في المعنى كالملاقة والملاقة والجِد والجِد والمؤخر والمقدم بالفتح مع التشديد أو بالكسر مع التخفيف والسداد والسداد والحمل والحمل والخلف بالسكون والفتح انظر المزهر . ج ٢ ص ٢٨٨ طبعة دار احياء الكتب المريية بعنوان ( ذكر جملة من الفروق ) وذكر جملة من الفروق .

### أوزان الأبنية ووظيفتها الفنية :

إن صيغ الألفاظ يمكن أن ننظر إليها على أنها أبنية مركبة على هيئة مخصوصة تتألف على مثالها حروف الكلمة الأصلية والزائدة ويمكن أن ننظر إليها من جهة أخرى على أنها أوزان موسيقية خاصة فإن جميع الألفاظ المبنية على هيئة ( فاعل ) مثلاً هي من وزن موسيقي واحد وكذلك ما كان منها على وزن مفعول أو مفعول أو فاعل أو فاعل أو غيرها من الأبنية . إن الكلمات التي تكون على بنية واحدة تجمعها رابطة الجرس والنغمة وتميزها في الكلام المسموع من غيرها من الألفاظ كما تجمعها أو تكاد رابطة التناظر للتريني في الكلام المكتوب وإن كانت الأولى أوضح وأقوى . وهذه النغمة المشتركة بين الألفاظ التي تكون على وزن واحد تعين على استخراج المعنى المشترك بينها وتعين الطفل والمتعلم الغريب عن اللغة على معرفة جزء من معنى الكلمة وهو الجزء الذي يتأدى بالصيغة فإذا سمع الطفل أو الغريب كلمة على وزن ( فاعل ) عرف أنها تدل على من يقوم بالفعل ( معنى الفاعلية ) ولو لم يعرف مادة الكلمة إذا سبق له معرفة هذا الوزن أو معرفة عدد من الألفاظ على هذا النسق .

ولذلك كانت أبنية الألفاظ وأوزان الكلام العربي وحدات موسيقية

ترجع إليها جميع ألفاظ اللغة العربية وكان الكلام في حال تركيبه سواء أكان شعراً أم نثراً مجموعة من التراكيب والوحدات الموسيقية إذا أحكم تركيبها وتولتها يد صناع وحس مرهف وفكر نافذ كانت إلى جانب أدائها للمعنى قطعة فنية موسيقية تسابق المعنى إلى القلب عن طريق الحس والسمع حتى إن الكلام العربي ليبدو كأنه زخارف الفن العربي في صورته المتناظرة والمتكررة والمتشابهة والمختلفة وهذا هو سر موسيقية اللغة العربية وجمال إيقاعاتها وحلاوة نغماتها ولا سيما إذا وقع صائغ الكلام على أنواع موقفة من التأليف والمزاوجة بين الألفاظ ولا عجب إذا بلغت هذه الموسيقى ذروة الكمال في الكتاب العربي المبين الذي صاغه من صنع الطبيعة وجمالها .

وهذه الخصائص الموسيقية التي تتجلى في أوزان الألفاظ في اللغة العربية من الخصائص التي تميزت بها ولا نظير لها في اللغات الأخرى المشهورة فليس للألفاظ الدالة على اسم الفاعل أو على اسم المفعول من الأفعال في الفرنسية أو الانكليزية وزن موسيقي مشترك أو نغمة واحدة لأن طريقة هذه اللغات في تصريف ألفاظها هي طريقة الالتصاق واللاحاق وذلك بإضافة بعض الحروف إلى الكلمة في أولها أو آخرها فتنشأ من ذلك ألفاظ لا يجمعها وزن ولا تركيب متشابه وليس بينها من مشترك إلا وجود أصوات متماثلة في أولها أو آخرها

أضف إلى هذا أن كثيراً من القوالب المنوية أو الصيغ في اللغة العربية لا يقابلها شيء مطلقاً في تلك اللغات كأفعل التفضيل وأسماء الزمان والمكان والآلة فانهم يتوصلون إلى الابانة عنها بجمل أو تعابير تتألف من أكثر من كلمة واحدة .

وقد حاول بعض المتقدمين من فقهاءنا كابن جنى كشف الصلة بين معاني الصيغ وأوزانها فبدت لهم في هذا الباب خواطر طريفة وملاحظات مفيدة ولكنها لا تصلح لأن تكون تمليلاً شافياً . فمن ذلك ما وجدوه من مناسبة بين تشديد العين في فعال - مبالغة اسم الفاعل - وفي فعمل وما تضمنه معناهما من المبالغة والتشديد أو التكثير وكذلك ما بين وزن فَعْلان في حر كاته المتوالية الكثيرة ومعنى الحركة والاضطراب الذي تدل عليه ألفاظ ( غلبانه وهيجان ) وما في تشديد العين في تفعل من افادة التمهل والتسدرج في مثل ( تَجْرِع وتبصر ونحسى ) .

### الصيغ والأوزان في اللغة العربية

عدها - تصنيفها

لقد سبق القول أنه يمكن تصنيف ألفاظ العربية إلى زمر وأنواع حسب أوزانها ولا يشذ عن هذه القاعدة من ألفاظ العربية إلا الحروف والظروف

الجامدة ولذلك لم تذكر لها صيغ وأوزان حين ذكرت للأفعال والأسماء التي  
حصرت فيها . والحق هو أن الحروف وبعض الظروف كلمات جمدت على  
شكل من الأشكال ويعتقد أكثر الباحثين أنها في الأصل مشتقة من ألفاظ  
حية انقطعت صلتها بها بعد تطورها إلى هذه الأشكال الجامدة وما حاجتها إلى  
الصيغ ما دامت منفردة بنفسها بانقطاع صلتها بأصولها الأولى وبمقما وانقطاع  
نسلها وإنما الحاجة إلى الصيغ للتوليد والتصرف في أشكال شتى على أن هذه  
الحروف والظروف الجامدة لا تدم أن تكون ذات أوزان من الناحية الصوتية  
والموسيقية أو أن تكون هي نفسها صلات موسيقية بين الألفاظ إذ هي  
لا تمدو أن تكون حرفاً واحداً كالواو والفاء واللام والباء وهذه الحروف  
حين تتصل بالأفعال أو الأسماء لا تفسد موسيقاها بل تكون صلة بين الأوزان  
أو تتصل بالوزن فتكون معه وزناً جديداً وتوزع في أي كلام عربي توزعاً  
لا يفسد الانسجام ولا ينقصه أو أن تكون حرفين مثل (تمد، لم، لا، لن،  
من، في، أم) وهذه تؤلف فاصلة موسيقية صغيرة تدخل في حشو الكلام  
وفي تضاعيف أوزان الألفاظ أو أن تكون ثلاثة أحرف وتكون في هذه الحالة  
ذات وزن موسيقي كامل مشابه لأوزان الأسماء أو الأفعال وذلك مثل  
(على وألاً = فعَل وإلى = فعَل) ومثلها ثم ورب وعند .



والعربية في توزيع حروفها ومدودها وحركاتها وسكونها في تأليف مفرداتها وتركيبها نظم خفية وقوانين مستسرة جديرة بالعبارة والبحث .

عدد الأبنية في العربية :

أخذ علماء اللغة والنحو منذ بدء تدوينها بإحصاء الأبنية في اللغة العربية فعدّ سيويوه ( ٣٠٨ ) مثلاً عدداً لأوزان الأفعال وما زال البحث عنها يزيد في عددها حتى بلغ بها ابن القطاع المتوفي ( ٥١٥ ) هـ في كتاب الأبنية الذي ألفه ( ١٢١٠ ) من أنواع الأبنية وقد نقل عنه السيوطي في كتابه الجامع ( الزهر ) كما نقل عن غيره في القسم الذي خصه للأبنية بحثاً واسعاً مفصلاً ولكنه يحتاج إلى تصنيف وتنسيق لما فيه من المكررات بسبب تعدد المصادر التي نقل عنها السيوطي .

وأرى أن عدد الأبنية المستعملة في اللغة العربية أقل من هذا العدد بكثير فإن كثيراً من الأبنية التي ذكرها السيوطي لم يرد على وزنها إلا كلمة أو بضع كلمات وحبذا لو تقدم بعض الباحثين إلى هذا الركام الذي قدمه السيوطي كما جمعه ونقله ، وقام بدراسته دراسة احصائية تحليلية .

ونرى أن الأبنية التي أحصاها للسيوطي يمكن أن تقسم إلى  
ثلاثة أقسام:

الأول: الأبنية الكثيرة الاستعمال كأبنية الأفعال المعروفة وتصاريفها  
والمشتقات السبعة والجموع القياسية السالمة منها وغير السالمة وهذه الأبنية  
مطردة قياسية ويمكن أن نقول عنها أنها (صبيغ مية).

الثاني: الأبنية القليلة الاستعمال وهي التي ورد على وزنها عدد من  
الألفاظ يمكن عدده واحصاؤه ولكنها وقفت عند هذا الحد المنقول عن العرب  
دون زيادة فيها وذلك مثل (فعالية: رفاهية . علانية . سواسية .... الخ)  
و (فمّيل: سكير . صديق . غريد . شرير ... الخ) و (أفعولة: أعجوبة .  
أسطورة . احدوثة الخ) . ورأينا في هذا النوع من الأبنية أنه يحتمل وجهين  
أحدهما أن هذه الأبنية كانت حية ثم جمدت ووقفت فيها الحياة وبقيت الكلمات  
التي ولدتها مستمرة الاستعمال ولكن الصيغة التي ولدتها عمقت . وثاني الاحتمالين  
أنها صبيغ جديدة حديثة المولد ولكنها لم تر النور حتى هاجمها النحاة واللغويون  
حين تدوين اللغة والنحو وضبطوها على تلك الحال فحالوا بينها وبين المسير  
ووقفوا دون نموها على اعتبار أنهم وجدوها عند أصحابها العرب هكذا محدودة  
المدد ولم يراعوا أنها كانت في بدء نموها وأول نشأتها وأن اللغة لو استمرت

في حزن أهلها ولم تنتقل إلى أهل الصنعة من النحاة واللغويين لنت وتعرعت .  
وفي هذا النوع من الأبنية يقع الخلاف بين القائلين بالقياس والقائلين  
بالسمع وكأن الحجة القائمة في نفوس القائلين بالقياس هي أن العدد الوارد  
على وزن من الأوزان كاف لا اعتبار هذه الصيغة حية وإن كان ما نقل عن  
العرب من الأمثلة من وزنها محدود .

ومن ذلك اختلافهم في فعال للحرفة فقد قالوا أنها سماعية وقال المبرد  
قياسية وقالوا إن مفعلة كأسدة سماعية ورأى بعضهم قياسها لكثرتها ورأى  
سيبويه أن مصادر الثلاثي سماعية ورأى الزمخشري أنها قياسية لكثرتها<sup>(١)</sup> .

وإن خرق الناس لبعض قواعد النحاة واللغويين وأقدام  
الكتاب في عصور المربية الزاهرة على استعمال ما منعوا قياسه من  
الصيغ دليل على حيوية تلك الصيغ كاستعمال الكتاب حتى اللغويين  
منهم صيغة مفاعيل جمعاً لمفعول من ذلك قولهم مشاهير - وقد  
استعملها صاحب القاموس في مقدمته - ومواضيع ومجاميع ومشاريع . وإن

---

(١) راجع السماع والقياس لآحمد تيمور حيث تجد مصادر كثيرة للموضوع وفي  
الخصائص لابن جنى فصل في تناقض السماع والقياس . انظر كذلك كتاب الاقتراح في  
اصول النحو للسيوطي .

البت على كل حال في قياسية بعض الصيغ المختلف عليها أمر يحتاج إلى درس وتمحيص .

الثالث : من أنواع الأبنية والصيغ هو النادر الاستعمال كالصيغ التي جاء على وزنها كلمة أو بضع كلمات وهو ما أسماه المتقدمون نواذر الأبنية وأفرد له ابن قتيبة في أدب الكاتب والسيوطي في المزهرة فصلاً خاصة . ومثال ذلك وزن ( فَعَلُّوت ) وجاء منها ملكوت وجبروت ورحموت ورهبوت و( فَعْمُول ) منها سبح و قدوس و ( فاعيل ) ومنها قاييل وهايل وآمين و ( فِعْمِيل ) ومنها غير وغيرين و ( فعِل ) ولم يرد منها إلا إبل وإطل وهو الخصر وإبد لغة في الأبد وهما متروكتان و ( فِعْمِيلِي ) ومنها خصيصي وبضع ألفاظ أخرى .

ورأينا في هذا النوع من الأبنية التي لم يرد على وزنها إلا كلمة أو كلمات قليلة جداً أنها بقية باقية لصيغ كانت حية ولكنها ماتت من عهد بعيد وقد ترجع إلى العهد الذي كانت فيه اللغات السامية لغة واحدة أو لهجات متقاربة إذا صح أن اللغات السامية كانت لغة واحدة . والرجوع على كل حال إلى اللغات السامية الأخرى والبحث في صيغها وأبنيتها ولا سيما في العصور القديمة يعين الباحث في هذا الموضوع وينير السبيل . وثمة احتمالات أخرى منها أن بعض هذه الألفاظ غريب الأصل دخل اللغة العربية من عهد بعيد واحتفظ بصيغته

الأجنبية ومنها أن بعض الكلمات دخل عليها تغيير في لفظها وتبديل في بعض حروفها أو حركاتها أو بعد المهد بأصلها حتى نسي وجهل وظنت أنها أصلية وأخذ اللغويون يبحثون عن وزنها وبنيتها .

وبالجملة فإن الأبنية التي من هذا النوع يمكن أن نسميها أبنية ميتة وأن نعتبر الألفاظ الباقية على وزنها من رواسب الماضي البعيد .

#### أوزان الأسماء والأفعال

قسم اللغويون الأبنية إلى قسمين أحدهما للأسماء والآخر للأفعال ولا شك أن أبنية الأفعال محدودة واضحة المعالم تبلغ بضماً وعشرين بناء وقد زاد بعضهم فيها أوزاناً ردها آخرون إلى الأوزان المعروفة وذلك مثل ( تفعل ) تجورب و ( تفيعل ) تشيطن و ( تمفعل ) تمسكن و ( تفعلي ) تقلسى و ( تفعلل ) تقلنس وجمهور الصرفيين جروا على اعتبارها جميعاً من باب تفعلل وإن كانت الدقة تستوجب التفصيل (راجع المزهرة للسيوطي ج ٢ أبنية الأفعال) .

وأما أبنية الأسماء فعددها كبير جداً وقد قدمنا القول في ذلك ولكن ما نحب ان نلفت النظر اليه هنا هو البحث عن وجود أوزان خاصة لكل من الأسماء أو الأفعال أو اتقاء هذا الاختصاص .

إن بين أوزان الأفعال والأسماء كما تبدو لنا في حالتها الحاضرة في لغتنا أوزاناً مشتركة وإن كان استعمالها في حشو الكلام يميز كلاً منها بحركة الأعراب في آخره . وإليك بعضها :

الأوزان :	فَعَلَ	فَعِلَ	أَفْعَلُ	فَعِلَ	فَاعَلَ
الأسماء :	جمل	حذر	أسود - أعلم	جعفر	خاتم
الأفعال :	كتب	علم	أقدم - أعلم	دحرج	سابق

وانما أردنا من ابداء هذه الملاحظة فتح باب البحث والتساؤل عن تليل هذا الاشتراك وهل يرجع إلى عهد من عهود اللغة لم يكن التمييز فيه بين الأسماء والأفعال واضحاً . لا شك أن تخصيص كل من الأسماء والأفعال بأوزان خاصة دليل على ارتقاء اللغة ودقتها في التعبير فاللغة التي لا تميز بين الأسماء - ومنها الصفات - والأفعال تقع في التباسات كثيرة ولا سيما إذا خلقت من الأعراب . واللغة العربية منذ عهد بعيد ميزت في صيغها وأبنياتها بين الأفعال والأسماء . ونذكر بهذه المناسبة قصة أبي الأسود مع ابنته حين قالت ما أحسنُ السماء إذ خلطت بين أحسن التي هي اسم تفضيل وأحسن التي هي فعل استعمل للتعجب .

ويمكن أن نصنف الأبنية من جهة دلالتها على المفرد أو الجمع إلى أبنية

خاصة بالجموع وذلك مثل فواعل وفمائل وفمالي وفماعل ومفاعيل وأبنية خاصة بالمفرد وهي أكثر الأبنية المسرودة في كتب اللغة مما سوى الأبنية التي نص على كونها جموعاً<sup>(١)</sup> وأبنية مشتركة بين الجمع والمفرد مثل (فِعال) فقد تدل على المفرد ككتاب ولباس وجهاد وقد تدل على الجمع كرجال وكرام ومثل فُعل (أسد - قُفل) وفِعة (جلسة - صبية) .

وقد أورد علماء الصرف وفقهاء اللغة أبنية الجموع وجملوها أقساماً (سائلة وغير سائلة وجموع قلة وجموع كثرة) كما أورد علماء اللغة الألفاظ التي شذت عن القاعدة كأن يكون البناء للمفرد وتأتي منه ألفاظ تدل على الجمع وذلك كبناء فَمَلَّ فقد ورد منها ألفاظ مخصوصة جماً لفاعل مثل (حرس ، خول ، سَلَف ، عسس ، خدم ، همل) <sup>(٢)</sup> أو ان يكون البناء للجمع وتأتي منه الفاظ تدل على المفرد كوزن فُعَلَّ فقد جاءت منه الفاظ معدودة ليست جماً مثل (حول ، قلب ، خلب ، دمل ، صلب ، سلم . .) <sup>(٣)</sup> قال ابن فارس ولم يوجد في كلام العرب أفْعَلَّ غير هذا الحرف (آ نك بمعنى الرصاص وحكي عن الخليل أنه لم يجد أفْعَلَّ إلا جماً غير أشد <sup>(٤)</sup> .

(١) مثال أبنية المفرد فُعال واستثنوا من ذلك عشر كلمات انظر الزهر ٢٤ ص ٧٢

(٢) الزهر ٢ ج ص ١١٥ (٣) المزهر ج ٢ ص ١١٦ (٤) المزهر ٢ - ١١٧ وقال

بأن فلاء صفة للواحد الا قضاء وعشراء .

ونبه علماء اللغة كذلك إلى ما كان خاصاً من الأبنية بالاسماء وما كان خاصاً بالصفات وما استثنى من ذلك فوزن فعِل مثلاً لم يأت إلا صفة كحذر ودرد<sup>(١)</sup> ووزن فُعَال للاسم كغراب والصفة كشجاع ووزن مفعِل للاسم كسجد وهو قليل في الصفات وفي الصحاح ليس في كلام العرب فِعَلَى صفة وإنما هو من بناء الأسماء كالشمرى<sup>(٢)</sup>.

الفاظ الأعجمية:

إن العرب إذا أدخلت لفظاً أعجمياً في لغتها فالتألب أنها تنقله إلى وزن من أوزانها (صراط = فعال، قرطاس = فملا، إقليد = إفمیل). وقد يبقى على وزن خارج عن أوزان العربية وهذا هو الأقل والاندركلفظ آجُر.

---

(١) الزهر ٢ ج ٥ ص ٥ (٢) المزهج ٢ ص ٥٣ و ص ٦٧



## حياة الابنية

نشورها . نظورها . بنائها

إن ما قدمناه من دراسة لابنية الألفاظ وأوزانها في اللغة العربية يعطينا صورة واضحة عن هذا الجانب منها كما تبدو لنا في عصورها المعروفة ونصوصها المتداولة القديمة منها والحديثة وتبدو لنا من هذه الدراسة الملاحظات التالية :

(١) إن في اللغة العربية عدداً كبيراً من الصيغ أو الأوزان المتنوعة في أشكالها وهيئات تركيبها وفي دلالاتها ومما فيها منها التقارب المتشابه والمتباعد المختلف وعلى مثالها وهيئتها وردت جميع ألفاظ العربية الدالة على المعاني أي كل ما سوى الأدوات النحوية والروابط اللفظية .

(٢) تعدد معاني الابنية :

قد يدل الوزن الواحد في العربية على معانٍ متعددة فوزن ( فمیل ) يدل على الصفة الثابتة في نحو ( كريم وشريف وخبير ) وعلى الصوت في نحو ( صهيل وعويل وزئير ) . ويدل وزن ( فعال ) على مصدر فاعل يفاعل ( كقتال ومسابق ) وعلى أدوات وآلات في مثل ( إناء وحزام ) وعلى جمع فمیل أحياناً ( ككرام ولثام وطوال ) . ويدل وزن ( أفعل ) من الافعال على متعدي فَعَلَ

اللازم كأخرج وعلى وجدان الشيء على صفة كأحمده وجده حميداً وعلى بلوغ الشيء كأحصد الزرع بلغ أوان حصاده وغير ذلك من المعاني الكثيرة التي عددها ابن قتيبة في أدب الكاتب وغيره .

(٣) تعدد الصيغ للمعنى الواحد :

قد يدل على المعنى الواحد أوزان متعددة فبالغة اسم الفاعل تدل عليها صيغة ( فَعَالٌ ومفعالٌ وفِعُولٌ وفعلٌ وفِعِيلٌ ) وعلى الأصوات ( فُعَالٌ وفَعِيلٌ ) والألفاظ الدالة على الآلات والأدوات وردت على أوزان متعددة منها ( فاعولٌ ) وقد وردت على وزنها عدد من الكلمات كالمخاطوف والساطور والقارورة والكاون والماعون والناقوس ووردت كلها أخرى على وزن ( فِعَالٌ ) كالعنان والشمار والذئار والرداء والازار والغطاء وأنت غيرها على وزن ( مِفْعَلٌ ) كمبرد ومسن وأخرى على وزن ( مِفْعَالٌ ) كفتح ولم يذكر النحاة إلا هذين الوزنين الأخيرين ولعل ماورد منها أقل مما ورد على وزن فِعَالٌ .

(٤) تفاوت الصيغ في مبرئتها :

وما يلاحظ أن الصيغ والأوزان التي استخرجها واستقصاها علماء اللغة ليست متساوية في استعمالها فبعضها بادي النشاط ظاهر الحياة وبعضها راكداً جامد العروق ثابت في مكانه وبعضها الآخر ميت بعيد العهد بالحياة .

٥) تولد صيغ جبرية :

وإلى جانب ملاحظتنا من عارض الجمود وركود الموت في بعض الأوزان نلمح نشوء صيغ جديدة في عصور العربية بعد الإسلام وبعد العهد الذي بدى فيه بتدوين العربية كالصيغة الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسب نحو روحاني وجسماني ومن إضافة ياء النسب مع التاء للدلالة على المذهب كالصوفية والسلفية والمادية والاشتراكية .

وإذا التفتنا قليلاً إلى اللهجات العامية في البلاد العربية للاستئارة وتبع بعض الظواهر لاحظنا ميل هذه اللهجات إلى ابتداء بعض الصيغ القريبة من القديمة والمشابهة لها أو إبدال الصيغة الدالة على معنى بصيغة أخرى وذلك كصيغة ( تفعلن ) في اللهجة الشامية ( تكسلن . تحمرن ) و ( اتفعل ) في اللهجة المصرية للأفعال المطاوعة و وزن ( فعَّال ) مع تاء التأنيت وبدونها لتسمية الآلات والأدوات الحديثة في كثير من اللهجات العربية وذلك نحو ( سخانة ويزاد وسماعة وغسالة ولقطة ومساحة )<sup>(١)</sup> وكاستعمال وزن ( فمیل ) في اللهجة الشامية كذلك لمبالغة اسم الفاعل بدلاً

---

(١) أهملنا في التمثيل الألفاظ العامية التي لا تتصل بالفصحى وهي كثيرة في اللهجة الشامية وذلك نحو ( كاشة ونكاشة وفواشة ) .

من ( فعال )<sup>(١)</sup> وقد دخلت بمض هذه الألفاظ في اللغة الفصحى ولم ينكر استعمالها أحد لا مكان تخريبها على قواعدها وأصولها وذلك مثل ( سيارة وبرآد ودراجة ... )

★ ★ ★

تطور الوبنية :

ان ما تقدم من هذه الملاحظات والظواهر التي تبدو في أبنية العربية وأوزانها تدعونا لطرح السؤال التالي على بساط البحث والتأمل في الاجابة عليه :

الا تدل هذه الظواهر من تعدد الصيغ وتشابه بعضها وتعدد معانيها أحياناً واجتماعها أحياناً أخرى على معنى واحد وتناوبها عليه واختلافها حياة وجموداً وظهور صيغ جديدة ألا تدل على تبدل وتطور في الأوزان العربية وإن كان بطيئاً خلال العصور الطويلة سواء في شكلها ومبناها أو في دلالتها ومعناها ؟

إن الفكرة التي تبدو للتأمل بادي الرأي في أمر الصيغ والأوزان

---

(١) فيقولون فلان أكيد وشريب وشفتيل وسبتيح مع الإبقاء على الفصحى الموروثة كسراق وكذاب .

في اللغة العربية هي أن هذه الأوزان كانت وما تزال منذ عهد الشنفرى  
وامرى القيس هي لم تتبدل ولم تتغير. فالفاعل من كل مادة يدل على من فعل  
الفعل والمفعول يدل على من وقع عليه الفعل وهكذا الصيغ الأخرى. فهي  
عنصر من عناصر الثبات والاستمرار والاتصال في اللغة العربية نقلت في  
قوالها الرائعة الأفكار والمعاني من جيل إلى جيل خلال عصور طويلة وذلك  
ما عجزت عنه كثير من اللغات إن لم تقل اللغات كلها وهذه الفكرة صحيحة  
سديدة ولكنها لا تمنع أن يكون ثمة تطور بطيء جداً نكاد لا نشعر به وهو  
لا يحول دون أداء الصيغ لهذه الوظيفة الرائعة ولا يشابه ما في اللغات الأخرى  
من تبدل سريع لا تفرضه الحاجة ولا تتطلبه الحياة يجعل اللغة لغات مختلفة  
ويقطع ما بين الأجيال.

إن دراسة الصيغ والأوزان في العربية لا تزال في مرحلة لا تسمح  
للباحث أن يرسم خط تطورها ويستخرج قوانين تبدلها خلال العصور. ذلك  
أن بلوغ هذه النتائج يستوجب دراسة شاملة واستقراء تاماً للأوزان في  
جميع عصور العربية كما يستوجب الرجوع إلى دراسة الموضوع نفسه في  
اللغات السامية منذ عهودها الأولى التي كانت فيها على اتصال واشتراك ولم  
يقم أحد فيما نعلم بمثل هذه الدراسة وعلى هذا فكل ما يقال وما يمكن أن

نقوله في هذا البحث لا يبدو كونه خواطر واقتراحات قد يصدقها البحث  
أخيراً أو ينفىها .

ويمكن القول أن التغير الطارىء على الأوزان في أطوارها المتعاقبة واقع  
على بنائها أو على معناها ومدلولها .

أما تطور بناء الأوزان وشكلها فهو الأقل وقوعاً والباطأ حدوثاً لما  
نلاحظه من ثبات أوزان العربية خلال عصور متطاولة ويرى بعض الباحثين<sup>(١)</sup>  
ان وزن ( فاعيل و فاعول و فاعال ) من أقدم الأوزان وان فاعيل بتطورها  
ولدت ( فاعِل و فاعيل ) ومنها تولد وزن ( فَعِل ) وان ( فاعول ) ولدت  
( فعول ) وان ( فاعال ) ولدت ( فاعَل و فَعَال ) ومنها تولد ( فَعَل )  
وليس لي ما أقوله نفيًا أو اثباتًا في هذا الرأي الذي يحتاج في نظري إلى  
تحقيق واسع .

أما تطور معاني الأوزان ودلالات الصيغ فهو أظهر وأوضح لما له من  
شواهد في عصور العربية المعروفة المدونة وهو أكثر وقوعاً وأسرع حدوثاً  
ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من تطور الأوزان ما ورد للدلالة على

---

(١) مقدمة لدرس لغة العرب لعبد الله اللايلي ص ١٧٠ .

الآلات والأدوات فإن أقدم الألفاظ التي تدل على ذلك وردت على وزن ( فاعول ) وهي محدودة قليلة ولكن العدد الأكبر منها جاء على لفظ ( فعال ) كالألفاظ الدالة على الألبسة ( ازار ورداء وخمار ونطاق وحزام وتقاب ولباس وغيرها ) وكالألفاظ الدالة على مرافق وأدوات أخرى متنوعة ( كاللجام والعنان والوماء والسقاء والغطاء والفراش والكتاب والوقاء والقرباب ) وهي ألفاظ كثيرة وقديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام ، ثم نجد ألفاظاً على وزن ( مفعّل أو مفعال ) كمجنّ ومبرد ومفتاح . وإذا انتقلنا إلى المصور الحديثة وجدنا اتجاهها في اللهجات العامية العربية إلى استعمال وزن ( فَعْمَال ) للدلالة على الآلة المستحدثة . فهل يعني هذا ان الدلالة على الآلة تبدلت الصيغة الدالة عليها خلال المصور من فاعول إلى فعال إلى مفعّل ومفعال إلى فَعْمَال ( في العامية مع تخريجها في الفصحى ) ، وإذا كانت هذه الصيغ موجودة كلها فقد جرى التبدل في الانتقال من واحدة إلى أخرى وأدى ذلك طبعاً إلى ان الصيغ تنغير دلالتها وتتطور معانيها . ولكن الصيغة التي يتبدل معناها تبقى محتفظة بالمعنى القديم فتصبح ذات دلالتين أو تنتقل إلى المعنى الجديد وتبقى الألفاظ التي صيغت على مثالها في الطور الأول على حالها ولكن عددها يبقى محدوداً فلا يزيد .

ولا شك أن تجاوز المعاني وتداعيا سبب لانتقال الوزن أو البناء من معنى إلى آخر من ذلك أن المبالغة في الفعل في صيغة (فعال) تقتضي شدة التلازم بين الفاعل والفعل ولهذا استعملت للدلالة على النسب والحرفة ولولم يكن منها فعل كالمطار من المطر والسمان من السمن والزيات من الزيت والفنان من الفن ومن هذا القبيل نشوء معنى السبيبة في صيغة (مفعلة) وهي في الأصل تدل على المكان فنقلت من الدلالة على المكان إلى الدلالة على السبب وأضيفت إليها التاء للتفريق .

وعلى هذه النسق من التأويل يمكن أن نقول إن الآلة التي تؤدي عملاً أو يؤدي بها عمل من الأعمال تحدث ذلك النوع من العمل بكثرة ويكون بينها وبينه تلازم وبذلك يمكن أن يطلق عليها لفظ (فعال) مشتقاً من نوع العمل الذي تقوم به كفسالة وكسارة لكثرة ما تنسل أو تكسرو براد ملازمته للبرد أو لتبريده وإحداثه للبرد .

إن دراسة أبنية الألفاظ في أطوارها الماضية وأشكالها الحاضرة في تاريخها وحاضرها تنير أمامنا السبيل للنظر في حل مشكلاتنا الحاضرة المتعلقة بهذه الناحية من لغتنا وتجمعنا نشرف على المستقبل ونحدد اتجاه السير في هذا التطور المقبل .



ان الأسئلة التي تعرض اليوم للباحثين في موضوع أوزان الألفاظ وصيغها والتي عرضت من قبل للسابقين هي هذه :

(١) هل لنا أن نأتي بصيغ جديدة ونبتدع أوزاناً مستحدثة لاداء حاجاتنا الفكرية الجديدة وما هي الطريقة إذا كان ذلك جائزاً وكيف تصاغ هذه الأوزان ؟

(٢) هل لنا أن نحیی صیغاً حکم المتقدمون بجمودها أو موتها أو قالوا إنها سماعية لا يقاس على مثالها وإنما يكتب بما ورد عن العرب من ألفاظ على وزنها كجمع مفعول على مفاعيل أو جمل ( مفعله ) للسكان الذي يكثر فيه الشيء و ( فُعال ) للأمراض فهل لنا أن نجعلها قياسية ؟

(٣) هل لنا أن تتوسع في معاني الصيغ والأوزان المعروفة فننقلها إلى معان أخرى أو نضيف إلى معناها معنى جديداً ؟

إنني سأقف هنا دون الإجابة على هذه الأسئلة لأنني أعتقد أن الجواب العلمي عليها سابق لاؤوانه لأنه يفترض انتهاء البحث في أصول الأبنية وتطورها والحصول على معرفة واضحة كاملة لحاضرها وماضيها أما استبدال الجواب بالاستناد إلى ما اتضح لدينا من معرفة وما اقتح أمامنا من آفاق وتجمع لدينا

من آراء فذلك ما لا يستطيع التأمل في هذا البحث أن يجازف بالقائه وإن كان الخروج من هذا الموقف أمراً لا بد منه لأننا أمام مشكلة لغوية لا نستطيع إلا أن نحلها على وجه وإن سكتنا عنها لم تسكت الألسنة التي تقول والأقلام التي تكتب لتبر عن هذه الحيلة التي أصبحت غنية بالمعاني خصبة كثيفة ممقدة<sup>(١)</sup> وهذا ما حمل جمع اللغة العربية إلى اتخاذ عدد من القرارات في قياسية بعض الصيغ وتعميمها .

---

(١) ممن تقدموا في ميدان هذه المجازفة العلمية مع إقراره بأنها مجازفة الاستاذ عبد الله الملايلي فقد أعطى رأيه الاجمالي في الموضوع ثم سرد رأيه مفصلاً في معاني الصيغ وفي الصيغ التي يرى استحداثها ضرورياً . انظر كتابه مقدمة لدرس لغة العرب ص ٦٣ - ٩٦ .

## تأمل

رأينا بعد الانتهاء من بحني الاشتقاق والأبنية إضافة بعض الآراء والملاحظات مما هو مشترك بين الباحثين أو مما فاتنا ذكره في أحدهما :

١ - كان بحثنا في الاشتقاق دائراً على الثلاثي دون التعرض للرباعي والخماسي المجردين أي المؤلفين من حروف أصلية لا زيادة فيها وذلك لأن عددهما في العربية بالنسبة إلى الثلاثي ضئيل جداً وقد ورد في العربية عدد محدود من الأفعال المؤلفة من أربعة حروف أصلية كدحرج ولم يرد منها ذوات الخمسة إلا مزيدة وأما الأسماء فقد جاء منها الرباعي المجرد والخماسي كذلك . وقد أفرد ابن فارس الألفاظ الرباعية والخماسية المجردة في معجمه مقاييس اللغة ووضعها في مكان مستقل في آخر كل مادة ورأي كثير من اللغويين أنها ترجع إلى الثلاثي فيرى الكوفيون ان الحروف الأصلية لا تزيد على ثلاثة وما زاد منها فليس بأصلي فيها<sup>(١)</sup> وقد حاول ابن فارس أن يعيد أكثرها إلى الثلاثي عن طريق النحت قال في معجمه مقاييس اللغة<sup>(٢)</sup> « اعلم ان للرباعي والخماسي

(١) معجم اللغوات ج ٢ ص ٢١٣ .

(٢) ج ١ ص ٣٢٨ .

مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك ان أكثر ما تراه منه منحوت  
ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منها جميعاً  
بحظ . . . . . فعلى هذا الأصل بينما ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول ان  
ذلك على ضربين أحدهما المنحوت الذي ذكرناه والضرب الآخر الموضوع  
وضماً لا مجال له في طرق القياس « ثم . يزيد نوعاً آخر فيقول : « ومن هذا  
الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه لكنهم يزيدون فيه  
حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة كما يفعلون ذلك في زُرُقُمَ وخَلَبِنَ » .

وعلى هذا فان ابن فارس يرى أن الرباعي والخماسي إما أن يكون منحوتاً  
من كلمتين ومثال ذلك ( بَحَثَ ) الشيء إذا بدده فهي منحوتة من ( بَحَثَ ) إذا  
طلب شيئاً في التراب و ( البَثَرُ ) الذي يظهر على البدن و ( تَخَطَفَ ) الشيء إذا  
جاوزه منحوتة من خطر وخطف أو أن يكون فيه حرف زائد كاليم في  
( بلعوم ) وهي من بلع و ( العرمرم ) من عرم والراء والميم زائدتان أو أن  
يكون وضع من الأصل على أربعة أحرف أو خمسة كالزخرف ولكنه يشير  
في بعض المواضع من معجمه إلى أن هذا القسم الأخير قد يكون له أصل لم يهتد  
إليه كالمخضرم أو أن يكون لفظاً أعجيباً معرباً كالخندريس .

النتج :

٢ - ان النحت طريقة من طرائق توليد الألفاظ وهو قليل الاستعمال في

اللغة العربية شائع في غيرها من اللغات الهندية الأوربية على عكس الاشتقاق الذي هو القاعدة الأساسية في توليد الألفاظ في اللغة العربية وإن ما رواه العلماء من الكلمات المنحوتة في العربية محدود العدد جداً كالبسطة والمجدلة وعبشمي في النسبة إلى عبد شمس وكثير من هذه الكلمات حادت بعد الإسلام. وقد يكون النحت طريقة كانت مستعملة في عصور العربية القديمة ومن تلك العصور بقيت هذه الألفاظ الرباعية والخماسية المنحوتة ولكن العربية فيما بعد أهملت هذه الطريقة في توليد الألفاظ الجديدة وسلكت طريق الاشتقاق وهي طريقة أدل على الحيوية وأشبه بطريقة توالد الأحياء في زيادتها ونموها بخلاف النحت فطريقته أشبه بطريقة الجوامد في زيادتها ونموها عن طريق اللصق والاضافة .

#### الاشتقاق المركب ونوهم الواصلات :

٣ - ان من المشتقات نوعاً لم يسمه القدماء ولم يفردها له بحثاً خاصاً وإن كانوا قد تعرضوا له في ثنايا أبحاثهم وهو الاشتقاق من المشتق كقولك نمسكن وتمزهب وتمنطق وهي مشتقة من مسكن ومزهب ومنطق وهذه مشتقة من سكن وزهب ونطق ونرى أن تسمي هذا النوع الاشتقاق المركب . ومن هذا النوع ما يكون الأصل فيه ظاهراً مثل تمزهب من ذهب ومنه ما يكون خفياً فيخفى أصله الأول القديم ويبدو للناظر أصله الجديد المشتق كأنه أصل

ومن هذا القبيل مكين وتمكن ففي مشتقة من المكان والمكان مشتق من كان والكون ولكن لكثرة استعمال لفظ المكان توهموا أصالة الميم فيها وأجروها كما لو كانت من مادة (م ك ن) لا من (ك و ن) ولذلك فقد ذكرها صاحب لسان العرب في مادة (مكن) كما ذكرها في (كون) قال في مادة (كون): « والطن الموضوع توهموا الميم أصلاً حتى قالوا تمكن في المكان وهذا يقويه ما ذكرناه من تكسيره على أمكنة » ونقل عن الليث قوله: « الطن اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية » وقوله « طن في أصل تقدير الفعل (مفعل) لأنه موضع لكيثونة الشيء فيه غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعمال فقالوا مكنأله وقد تمكن وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن » (١).

ومثل هذا يمكن أن يقال في مادة (مهن) ومنها المهنة وهي الحرفة فقد يكون الأصل القديم لها مادة (ه و ن) ومنها هان يهون إذا صفروا وحقروا المهانة الحقارة والحرف عند العرب محتقرة مع أن مادة همن أصبحت مستقلة عن هان وأفردتها أصحاب المعجم في مادة خاصة .

---

(١) راجع لسان العرب في مادة (ك و ن) و (م ك ن) والكاقي في اللغة للشيخ طاهر الجزائري ص ٣٧ .

٤ - ان المادة الاشتقاقية والبناء أو الصيغة تشتركان معاً في توليد معنى الكلمة وتحديدده فالمادة الأصلية التي يكون منها الاشتقاق تعطي المعنى الأصلي العام للكلمة والصيغة أو البناء تحددده وتخصصه .

#### اشتقاق والتصريف :

٥ - لكل كلمة أصل أو مادة اشتقاقية ووزن أو بناء ، وتوليد الكلمة من أصلها وأخذها من مادتها يسمى اشتقاقاً ، وتقليبها في أوزان مختلفة يسمى تصريفاً ، وبين الاشتقاق والتصريف تشابك وتلازم وترايط . قال ابن جني في كتابه المنصف : « وهذا القليل من العلم أعني التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية لأنه ميزان العربية وبه تعرف الأصول من كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به » وقال : « وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسباً قريباً واتصالاً شديداً »<sup>(١)</sup> وأحدهما طريق إلى معرفة الآخر فقد تكون معرفة وزن الكلمة طريقاً إلى معرفة أصل مادتها الاشتقاقية إذا كان الوزن فيها أظهر من مادة الاشتقاق وأقرب مناصلاً فالاضطراب والاصطفاء والوسنمراء فهي ظاهرة الوزن بادية الصيغة . فالاضطراب والاصطفاء من باب الافتعال والاستعداد من

---

(١) المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني ج ١ ص ٣٥٢

الاستعمال وعلى هذا فأصولها (ضرب وصفا وهدر). وقد تكون معرفة الأصل  
الاشتقائي طريقاً لمعرفة الوزن والبناء وسبيلاً للتفريق بين الأوزان المتشابهة  
مع أنها في الحقيقة مختلفة ومثال ذلك (الناعمة والجماعة) فهما من (منع وجماع)  
فوزنها اذن (فعاثة ومفعنة) و (الدائح والمطائب) من (مدح وصوب)  
فوزنها (فاعائل ومفاعل) و (مَشِيد ومَسِيد) من (سَاد ومرد) فوزنها  
(مفعول وفعل).



## معاني الألفاظ

سبق القول أن الكلمة تتكون من مبنى ومعنى وأن مبناها يتألف من المادة الأصلية التي ترجع إليها تلك الكلمة ، وذلك ما يبحث في علم الاشتقاق ، ومن صيغة أو قالب تصاغ فيه ، وذلك ما ينظر فيه علم الأبنية أو الأوزان . وأما معنى الكلمة وما تدل عليه وترمز إليه بلفظها فهو موضوع بحث خاص لم يعن به قدماء اللغويين كما عنوا يبحثي الاشتقاق والأبنية المتعلقين بشكل الكلمة ومادتها . على أن من العسير الفصل التام بين المبنى والمعنى وإفراد كل منهما بالبحث دون ملاحظة الوجه الآخر ؛ فبحث الاشتقاق ورد الألفاظ إلى أصولها وجذورها لا بد أن يعتبر فيه المعنى ، وهو الذي يعين على معرفة الأصل ويدل عليه ؛ ومع هذا فإن المعاني الألفاظ آفاقاً خاصة ومجالات واسعة للبحث . ولذلك أفرد علماء اللغة من أهل هذا العصر بحثاً خاصاً للمعاني الألفاظ بل إن اتساع هذه المباحث وتفرعها دمام إلى تخصيصها بعلم مستقل من علوم اللغة عرف في اللغات الأوربية باسم خاص وهو ( Sémantique ) أي علم معاني الألفاظ أو علم الدلالة اللفظية .

والواقع أن علماء اللغة قديماً في كل الأسم عنوا أكثر ما عنوا بمباني  
الألفاظ وتركيبها كالبحت في أصولها واشتقاقها وصيغها الصرفية وأبنيها ولم  
يولوا معانيها ما تستحق من العناية مع أن القصد من اللغة وألفاظها التعبير عن  
المعاني والأفكار؛ ولكنهم لم يعنوا إلا بما يكون للعناية به أثر في تصحيح  
اللفظ وتقويم اللسان وصحة الإعراب وصواب الاستعمال وما إلى ذلك من  
أهداف عملية؛ فمنوا بالبحث في المعنى بمقدار ما يكون له من أثر في هذه  
التائج العملية .

على أن علماء العربية من أسلافنا حلجوا كثيراً من المسائل المتعلقة بمعاني  
الألفاظ وبلغوا من بحث مشكلاتها وقضاياها ما لم يبلغه علماء اللغات الأخرى  
في العصور السالفة .

إن أول ما ألف في العربية في باب اللغة تلك الرسائل التي جمع فيها رواة  
اللغة الألفاظ التي ترجع إلى موضوع واحد كالإبل والخيل والشجر والنبات  
والأنواء؛ وليس هذا العمل إلا تصنيفاً للغة بحسب الموضوعات والمعاني .  
وكان ذلك بداية انتهت إلى المعاجم الكبرى الجامعة التي رتبت على أساس  
معاني الألفاظ لا على أساس الأصول والمواد كالنخوص لابن سيده الأندلسي،  
وهو يقع في سبعة عشر جزءاً صنّف فيه مؤلفه اللغة تصنيفاً راعي فيه

الموضوعات فوضع ما يتعلق بالسماء والنجوم مثلاً في فصل ، وكذلك الأرض وأجزائها ، والانسان وما يتعلق به من أسماء أعضائه إلى أخلاقه وصفاته . ولا شك أن هذا العمل الضخم يضع بين أيدينا صورة شاملة للغة العربية ومصوراً مفصلاً لأجزائها نعرف منه مقدار عنايتها بكل جانب من جوانب الوجود ، سواء في النواحي المادية أو المعنوية ، ومبلغ توسعها أو اختصارها في كل ناحية منها<sup>(١)</sup> .

والمعاجم الأخرى المرتبة على المواد ملامى كذلك بما يتعلق بمعاني الألفاظ في شرح المفردات الواردة في كل مادة من مواد المعجم . ولكنها لا تراعي في ذلك أي ترتيب ، فلا ترتبها بحسب زمن ظهورها ومراحل تطورها وتفرعها ، ولا تذكر العهد الذي استعملت فيه الكلمة بمعنى من معانيها وتحده ، وهي لا تورد إلا نادراً المعاني التي حدثت للألفاظ من بعد القرن الأول للهجرة بما جد في العصر العباسي وما بعده في كتابات الكتاب ومصطلحات الدواوين والاستعمالات الخاصة ، ولا تطل غالباً تعدد معاني الكلمة الواحدة أو تحاول الربط بينها ، إذا استثنينا مفاييس اللغة لابن فارس وهو في نوعه مثل

---

(١) ومن هذا القبيل كتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي التوفي سنة ٤٣٠ هـ

ولكنه مختصر .

رائع للمعاجم التي تعنى بمعاني الألفاظ ومحاولة الربط بينها واعادتها إلى أصول قليلة تفرعت عنها وقد وفق في ذلك إلى حد بعيد .

ويمكن أن نعتبر جميع المعاجم التي جمع فيها أصحابها ألفاظاً اصطلاحية خاصة، كالتعريفات للسيد الجرجاني ، أو نوعاً خاصاً من الألفاظ كألفاظ القرآن أو الحديث ، من المواد الأساسية لدراسة معاني الألفاظ . ومن هذا الباب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

هذا وإن في كتب علمائنا الأقدمين مباحث متفرقة هي في الصميم من مباحث دلالة الألفاظ ومعانيها ، كالمترادف والمشارك والأضداد والخاص والعام والحقيقة والمجاز والمولد والألفاظ الإسلامية . وقد خصص السيوطي في الزهر فصلاً لهذه الأبحاث . وعني المؤلفون في أصول الفقه بهذه الأبحاث عناية خاصة وأفردوا لها فصولاً في كتبهم وذلك لأن دلالة الألفاظ من أم موضوعات علم الأصول . ومن هذا الباب أيضاً الفروق التي أفردها أبو هلال العسكري بمؤلف خاص طبع مختصره . ولكن العجيب الطريف أن كاتباً توفي في ( ٣٢٢ هـ ) ألف كتاباً في تطور معاني الألفاظ في جزئين جمع فيه عدداً من الألفاظ الإسلامية ودرسه دراسة تطورية تاريخية ، وتبع معانيها من العصر الجاهلي حتى العهد الإسلامي ، وهو الشيخ أبو حاتم أحمد بن محمد بن الرازي في كتابه الذي سماه الرزينة وقد طبع حديثاً في القاهرة في جزئين .

أما في العصر الحديث فقد ارتقت مباحث معاني الألفاظ ؛ ذلك أن علوماً عديدة تظاهرت على هذا الارتقاء وأعانت عليه ؛ فلم الأصوات اللغوية ككشف عن وظيفة الأصوات التعبيرية ، وعلم النفس أوضح الصلة الواقعة بين التفكير والشعور من جهة واللغة من جهة أخرى ، واتسع البحث في المجاز والحقيقة ، وانتهى ذلك كله إلى نشوء علم خاص باسم علم دلالة الألفاظ في أواخر القرن التاسع عشر وظهر اسم هذا العلم ( Sémantique ) في مقال كتبه ميشيل بريال M . Bréal في سنة ١٨٨٣ ؛ ثم ظهر كتاب ذاعت شهرته بعنوان ( حياة الألفاظ ) لدارمستتر Darmesteter في سنة ١٨٨٧ . وبعد عشر سنين نشر بريال كتاباً في دلالة الألفاظ ثم توالى الكتابات في هذا الموضوع وتحت هذا الاسم حتى بلغ علم الدلالة درجة الرشد على تعبير ( اولمان ) الاستاذ في جامعة كلاسكو بظهور كتاب ( نيروب Nyrop ) في عام ١٩١٣ بعنوان : نحو اللغة التاريخي Grammaire Historique وقد خصص الجزء الرابع منه لدلالة الألفاظ وطبع في كوبنهاج . وظهرت كتب كثيرة في هذا الموضوع في هذه الأعوام العشرة الأخيرة في مختلف اللغات ؛ ومن أحدثها كتاب الاستاذ اولمان Ulmann الذي أخرجته بالانكليزية في عام ١٩٥١ بعنوان ( المبادئ الأساسية في دلالة الألفاظ Principles of semantics ) ثم أوجزه في

كتابه الآخر الذي كتبه باللغة الفرنسية بعنوان ( موجز في دلالة الألفاظ في اللغة الفرنسية Précis de sémantique française ) وأخرجه في سنة ١٩٥٢ وقد وجدته من أجمع ما كتب في الموضوع ، وأحسنها ترتيباً ؛ وقد اشتمل على نظرة للمؤلف في معاني الألفاظ مستخلصة ومستنتجة من مختلف الآراء والنظرات التي أخذ بها الذين ألفوا وكتبوا في هذا الميدان الجديد .

وقد أخرج الدكتور إبراهيم أنيس أول كتاب وضع في اللغة العربية في علم الدلالة في سنة ١٩٥٨ بعنوان ( دلالة الألفاظ ) وهو كتاب جيد جامع متنوع المباحث ، ألم بما كتب قديماً في اللغة العربية وما كتب حديثاً في اللغات الأجنبية وخاصة في الانكليزية .

فبما البحث في دلالة الألفاظ ومعانيها :

تتوقف كثير من قضايا الحياة على فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً ؛ ففي ميدان الحقوق والقانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الألفاظ ، في المعاهدات الدولية والاتفاقات التجارية والمعاملات الاقتصادية ؛ وفي ميدان الدين وخاصة في الفقه الإسلامي تحتل النصوص موقفاً خاصاً ، ويتعلق على فهمها تحديد الأفكار في العقائد والأحكام في قضايا المعاملات والعبادات ، ويقع لذلك الاختلاف في فهم مراد الشارع وتحديد معاني الألفاظ في القرآن والحديث .

ولذلك عني علماء اصول الفقه بكثير من مسائل الالفاظ ودلالاتها وبحوثها في العام والخاص والحقيقة والمجاز والمشارك والترادف مع أنها من مسائل علم اللغة لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط في كثير من الأحيان بتحديد الرأي في فهم هذه المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها .

ولابن جنى في هذا الباب كلام يدل على نفاذ فكر ودقة فهم ، وذلك قوله : « إن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة إليها ، فاعما استهواه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطبت الكافة بها ؛ وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بحلقه منها ، وذلك أنهم لما سمعوا قول الله سبحانه وعلا عما يقول الجاهلون علواً كبيراً ( يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ) وقوله عز اسمه ( فأينما ثُوبوا فثمَّ وجهُ الله ) وقوله ( لِمَا خَلَقْتَ يَدَيْ ) وقوله تعالى ( مما عملت أيدينا ) وقوله ( ويبقى وجه ربك ) وقوله ( ولتصنع على عيني ) وقوله ( والسماوات مطويات بيمينه ) ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى ، وقوله في الحديث ( خلق الله آدم على صورته ) حتى ذهب بعض الجهال في قوله تعالى : ( يوم يكشف عن ساق ) أنها ساق ربهم ، ونموذ بالله من ضعف النظر وفساد المعتبر ، ولم يشكروا أن هذه أعضاء له وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسماً معصياً ، على ما يشاهدون من خلقه عز وجهه

وعلا قدره وأنحطت سواي الأقدار والأفكار دونه . ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها أو مزاوله لحتمهم السعادة بها ما أصرتهم الشقوة إليه بالبعد عنها . وطريق ذلك أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة . وقد قدمنا ذكر ذلك في كتابنا هذا وفي غيره . فلما كانت كذلك وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسمة مذاهبها وانتشار أنحاءها جرى خطابهم بها مجرى ما يلقونه ويعتادونه منها وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعاداتهم في استعمالها وذلك أنهم يقولون : هذا الأمر يصغر في جنب هذا ، أي بالاضافة إليه ، فكذلك قوله تعالى : ( يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ) أي فيما بيني وبين الله إذا أضفت تقرىطي إلى أمره لي ونهيه إياي ... « ١١ » .

ونضيف إلى ما تقدم من تعلق فهم النصوص ببحث دلالة الألفاظ أن تذوق النصوص تذوقاً سليماً ، ومعرفة مواقع الألفاظ ، ومعرفة مواطن الجمال ومواضع الدقة ، وبراعة القول فيها ، يمكن أن يبين على حصول ملكته وتنميتها الاطلاع على هذه المباحث اللطيفة من علم اللغة ، مباحث دلالة الألفاظ ، وما يكون للفظ من معان متعددة تتناوب في الظهور بحسب سياق الكلام ،



وما يلقيه الاستعمال على اللفظ من ظلال وأوان، وما يتعاقب عليه خلال المصوّر من معان؛ وبذلك يمين هذا الفرع من علوم اللغة النقد الأدبي على أداء وظيفته بما يمدّه به من نظرات وخبرة في قوانين الألفاظ .

على أن البحث في معاني الألفاظ لا تقتصر فائدته على مثل هذه الفوائد العملية والثمرات الأدبية ، فإن له مع ذلك نتائج علمية وقيمة نظرية . ذلك أنه طريق لكشف بعض الحقائق المتعلقة باللغة وصلتها بأهلها ، بمقليتهم وبيئتهم وعاداتهم . فإن لفة من اللغات يتوقف بداهة على معرفة مفرداتها وتراكيبها ، وليس من اليسير فهم مفردات الألفاظ ومعرفة ما تنطبق عليه وما يدخل في مدلولها وما لا يدخل فيه ؛ وما أكثر ما ينخدع المرء بظاهر اللفظ في لفة من اللغات حتى يُدخل تحت هذا اللفظ ما لا يدخله فيه أهل تلك اللغة أو أهل عصر بعينه وقد ينخدع باستعمال عصره للفظ من الألفاظ فيحمل هذا اللفظ ، حين يرد في نص قيل في عصر آخر ، المعنى نفسه ؛ مع أنه قد يختلف اختلافاً كبيراً<sup>(١)</sup> . ولهذا كان من العسير أن يقابل لفظ في لفة اللفظ المقابل له في لفة

---

(١) كخطأ بعضهم في لفظ ترجمة ، في مثل قول المحدثين تراجم البخاري بمعنى عناوين أبواب كتابه الجامع الصحيح ، وظنه أنها بمعنى النقل من لفة إلى أخرى مما نشأ =

أخرى في جميع المعاني بحيث يتطابقان في جميع مشتملاتها وجزئياتها؛ "ومن هنا تأتي استحالة الترجمة .

عقلية الشعوب في مفردات لغتها :

إن البحث في دلالة الألفاظ ومعرفة قوانين اللغات وسننها في قرن الألفاظ بزمانها ، وتبدلها وتطورها وأسباب ذلك ، يعين على فهم اللغة فهماً عميقاً ؛ كما أنه ، من جهة أخرى ، يكشف عن مدى الارتباط بين اللغة وأصحابها بوجه عام ويعين على تحديد مفاهيم عصر بعينه وبذلك يستطيع ابن اللغة أن يتعرف إلى عقلية أسلافه ونفسياتهم كما يستطيع بمثل هذه الدراسة أن يتعرف إلى عقلية الشعوب الأخرى بدراسة لغاتهم دراسة تحليلية تعتمد على الخصوص على مفاهيم الألفاظ ، بالاستعانة بما يقدمه علم الدلالة من قوانين وما يفتح من آفاق . ومن الشواهد على ذلك لفظ الصديق في العربية وهو مشتق من الصدق والعرو وهو مأخوذ من العدوان في حين أن كلمة ami = صديق في

---

= عنه آراء مضحكة ؛ و كاختلاف معنى diner و déjeuner في اللغة الفرنسية في الحاضر عن معناها القديم .

(١) كتنابل لفظ ( عم ) العربية لفظ ( Oncle ) في الفرنسية وهي تفيد ( العم والخال ) وكلمة Société وهي تفيد معنى كلمتي ( شركة ) و ( مجتمع ) في العربية .

الفرنسية مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة و ennemi = عدو لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي البغض . ويدل ذلك على أن مفهوم العرب للصديق مبني على فكرة الصدق في المعاملة ومفهومهم للعدو مستند إلى فكرة العدوان والظلم ؛ بخلاف مفهوم الفرنسيين في بنائها على أساس الحب والبغض . ولفظ عقل في العربية مأخوذ من العقل بمعنى الربط والتقييد ؛ ويدل ذلك على أن في معنى العقل عند العرب مفهوماً خلقياً بالإضافة إلى العنصر الفكري فهو يعقل عن المنكر أو الشر . ولا يدل لفظ raison الفرنسي على مثل ذلك ؛ فإن أصل معناه العد والاحصاء . ولفظ اليونان والناس - على رأي أكثر اللغويين وهو الصحيح - مشتق من الأنس وهو ضد الوحشة ؛ وبذلك يكون العرب قد جملوا المميز الفاصل بين جنس الإنسان وغيره أنه ألوف مستأنس أي اجتماعي . ولفظ (الجار) والمجاورة مأخوذ من أجاره إذا رفع عنه الجور وهو الظلم ، ودخل في جواره أي في حمايته ؛ فليس العنصر الاساسي في المجاورة المصاحبة في المسكن ، وهي علاقة مادية ، بل في علاقة معنوية خلقية هي الحماية ومنع الظلم .

وإن طريقة كل قوم في تسمية الأشياء ~~تدل~~ على نظرهم إليها ، وتكشف أحياناً عن بيئتهم التي يعيشون فيها ، أو عن عاداتهم التي ألفوها ؛ كقول العرب:

سقى الله غلبه - والغليل العطش - وأقر لله عينه - والقُرّ البرد - وسقى  
الله مهره ؛ وكلها تدل على التطلع إلى الماء والبرد ؛ وذلك سمعة عند العرب  
يسمى إليها .

وعلى هذا يكون علم الدلالة العام *Sémantique générale* طريقاً إلى معرفة  
قوانين اللغات ، من تطور معاني الألفاظ وأسباب تبدلها ، والصلة بين اللفظ  
ومدلوله ، وصلة اللغة بأصحابها بوجه عام . وعلم الدلالة في لغة من اللغات طريق  
إلى معرفة أسرار تلك اللغة وطرائقها الخاصة في تسمية الأشياء وتطور ألفاظها  
ومعانيها ، ووسيلة لمعرفة عقلية الشعب الذي يتكلم بها وبيئته وعاداته  
ومراحل تفكيره .

### ملاحظات حول دراسة معاني الألفاظ

#### ١ - دراسة الألفاظ معية في نصوصها :

إن الألفاظ لا تعيش منعزلة بل في متون النصوص بجمعة مركبة مع  
غيرها من الألفاظ ؛ ولذلك كانت دراستها مجردة منفردة دراسة عقيمة غير  
منتجة ، فيجب أن يستنتج معناها أو معانيها المتعددة من مجموع النصوص التي  
تحدد استعمالها وتمكننا من ضبط معناها ضبطاً دقيقاً .

## ٢ - الدراسة التاريخية التطورية :

يمكننا أن ندرس كلمة من الكلمات في عصرنا ونحصي استعمالاتها ونحدد معناها أو معانيها ، وذلك بجمع نصوص كافية من كلام هذا العصر الذي نعيش فيه ، فتكون دراستنا هذه دراسة لواقع اللغة في عصرنا . ولكن الكلمات التي نستعملها اليوم لها تاريخ سابق وحياة قد تكون طويلة ، وقد يكون معناها الحالي مغايراً لمعانيها القديمة ؛ لذلك وجب الأخذ بطريقة الدراسة التاريخية التطورية التي تدرس الألفاظ على تعاقب المصور وفي مختلف الأطوار التي مرت بها .

## ٣ - النظرة السامدة للمفردات :

إن الاكتفاء بدراسة عدد من الألفاظ لا يعني كثيراً في معرفة خصائص لغة من اللغات ؛ فقد يكون معنى من المعاني موزعاً بين ألفاظ كثيرة في تلك اللغة . ولو اكتفينا بدراسة بعضها لحيل إلينا أن هذه اللغة قاصرة عن أداء ذلك المعنى . إن دراسة مفردات اللغة بجملة ومجموعها هي التي تعطي صورة صحيحة عنها ، وفكرة عن غناها أو فقرها ، وعن ميلها إلى الحسيات أو المعنويات ، وغلبة الدقة والتفصيل أو التعميم في تسمياتها ومعاني ألفاظها ، وتوسعها في ميدان من ميادين الطبيعة أو الفكر أو العاطفة أو اقتصارها

وفقرها . وإن في كثرة الألفاظ الدالة مثلاً على الحرب أو الحب أو الخيل أو الإبل أو العلاقات الاقتصادية أو على نظام الدولة أو على العواطف الانسانية أو الفضائل الخلقية مجالاً واسعاً للاستنتاج وتحديد اتجاهات الشعب الذي يتكلم تلك اللغة وعقليته ونفسيته وتاريخه وبيئته الأصلية وصلاته بغيره من الشعوب .

#### دلالة اللفظ على المعنى

استعمل البشر من القديم اشارات ورموزاً تدل على معانٍ في أذهانهم أو تشير وترمز إلى أشياء مادية ؛ ولا تخرج ألفاظ اللغة عن أن تكون رموزاً يشير بها كل جماعة إلى معاني الأشياء التي يقصدونها . ولو حللنا عملية الكلام أي اتصال إنسان بآخر عن طريق اللغة لوجدنا ثلاثة عناصر أساسية :

أولها: اللفظ أو الصورة الصوتية وهو ما أحدثه التكلم وألقاه من الألفاظ بدافع خارج عن اللغة دفعه إلى ذلك .

وثانيها: المعنى أو الصورة الذهنية التي أثارها الكلام في ذهن السامع وهو صورة متكونة في ذهنه ومنتزعة من تجاربه الحسية وبمجردة من مجموع الأمثلة والحقائق الخارجية التي صادفها في حياته سواء بالنسبة للأشياء المادية كالشجرة والكتاب أو المعنوية كالعدل والحق .

وثالثها: الشيء المعنى أو الصورة الخارجية المقصودة .

فاللفظ الدال والمعنى المدلول ( عليه ) والشيء الخارجي المقصود الذي ينطبق عليه المعنى هي العناصر الثلاثة التي تتألف منها عملية الكلام أو الاتصال اللغوي .

والفرق بين اللفظ والكلمة أن اللفظ يشير بوجه خاص إلى الناحية الصوتية من الكلمة وأن الكلمة تشير إليها وإلى المفهوم المعنوي للفظ معاً . وقد لاحظ هذا المعنى نحائنا القديما حين عرفوا الكلمة بأنها لفظ مفيد لمعنى . على أن العرف جرى على استعمالها في معنى واحد واعتبارها مترادفين والاعضاء عما بينهما في الأصل من فرق دقيق .

ويتبين من شرحنا هذا أن اللفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه . ويكون الانتقال إلى الأشياء الحسية عن طريق هذه الصور الذهنية أو المفاهيم أو المعاني القائمة في أذهان الناس والمتكونة فيها بنتيجة تجاربهم . إن هذه المعاني هي الجسر الموصل بين عالم الأسماء ( اللغة ) وعالم الأشياء وما أكثر ما تحمل المعاني التي اصطنعها الإنسان وجردتها عن الأشياء محل الأشياء الحقيقية نفسها !

وعلى هذا فالدراسة هي إثارة اللفظ للمعنى الذهني أي لمدلوله ، وبين اللفظ والمعنى في كل لغة إثارة متبادلة وتداعٍ مستمر ؛ وعلم اللغة يبحث في هذه الصلة بين اللفظ والمعنى في أحد فروعها المخصص لهذا المبحث والمعروف باسم *Sémantique* أي مبحث الدلالة أو علم دلالة الألفاظ . وعلى هذا فالدلالة ليست مرادفة للمعنى ففي الاتصال اللغوي أي نقل الأفكار عن طريق اللغة رمز واللفظ ومرتول هو المعنى ودراسة وهي الارتباط بينها والعلم الباحث في صلات الألفاظ بعضها ببعض هو النحو والباحث في ما بين المعاني من صلات هو الفسفة وخاصة المنطق والعلم الباحث في ما بين الألفاظ والمعاني من صلات هو مبحث الدراسة من علم اللغة .

#### ألفاظ المعاني وألفاظ الارتباط

وقبل البحث في معنى اللفظ لا بد من بيان أن الألفاظ التي هي موضوع بحثنا هنا هي ألفاظ المعاني ( *Sémantème* ) وهي الألفاظ التي تدل على معنى بذاتها أي على مفهوم مستقل . وفي اللغة ألفاظ من نوع آخر لا تستقل بذاتها ولا تدل على مفهوم مستقل وإنما هي أدوات تربط بين ألفاظ المعاني أو تحددها وتخصص معناها نوعاً من التخصيص كالحروف وبعض الظروف والضمائر فهي ألفاظ ارتباط أو أدوات ( *Morphème* ) ؛ على أنها في



الأصل ألفاظ معان جردت من معانيها وفرغت من محتواها ونقلت من ألفاظ معان إلى أدوات ؛ وقد يكون هذا الانتقال واضحاً والصلة بين الأداة وأصلها واضحة لقرب العهد بهذا الانتقال أو لبقاء المادة الأصلية ووضوح الصلة في المعنى ؛ وقد تكون الصلة بالأصل غامضة لبعد العهد أو تغير معنى الأصل أو طرؤه تبدل كبير في لفظ أحدهما ؛ ومن أمثلة ذلك على وصلتها بمادة عمل و واضحة بخلاف من وإلى ولبس ولبت . ووصف علماء اللغة في هذا العصر ألفاظ المعاني بأنها معرّية وألفاظ الارتباط بأنها فارغة ؛ ذلك أنها فرغت من محتواها الأصلي الذي هو معناها الأصلي ، وبذلك أصبحت تدل على نوع علاقة بين لفظين أي بين معنييهما كالنفي في قولنا ( ليس الرجل حاضراً ) أو الملو في ( المفتاح على الأرض ) أو مجرد المضي في الزمن في ( كان النهر قائضاً ) .

ومن هذا القبيل تسمية قدماء نحاة العربية لبعض الأفعال الأفعال الناقصة وكأنهم يشيرون إلى هذا المعنى الذي عبر عنه المحدثون بالفراغ وهو أرجح عندي من تفسير المتأخرين من النحاة بأن المقصود بذلك أنه لا يتم بها وعرفوها الكلام .

## عناصر المعنى

يتألف معنى الكلمة من اجتماع عدة عناصر يضاف بعضها إلى بعض ويحدده :

١ - الأصل الاشتقاقي أو المادة الأصلية التي ترجع إليها الكلمة وهي تتألف من مجموعة أصوات أو حروف .

٢ - البناء الصرفي أو الصيغة .

٣ - صفة الظنم والتاريخ الذي تقلبت فيه فحدد استعمالها الكثيرة ووجوه معناها أو معانيها المتعددة ويحدد سياق الكلام أو الاستعمال في نص خاص أحد هذه الوجوه أو المعاني .

أما الاعراب والحركات وموقع الكلمة بين الكلمات الأخرى فلا تدخل في رأينا في تحديد معناها ومفهومها ، وإنما تحدد صلتها بالألفاظ المجاورة لها أو على الأصح تحدد صلة معناها بمعانيها ككونها فاعلاً بالنسبة للفعل أو خبراً بالنسبة للبتداء . هذا يدخل في بحث تركيب الكلام وإنما بحثنا منحصر

في مفردات اللغة قبل تركيبها . ولنفصل الكلام بعض التفصيل في هذه العناصر التي تؤلف معنى الكلمة باجتماعها.

#### المادة الوصلية :

إن كل كلمة في أي لغة ترجع إلى أصل في تلك اللغة ، إلا إذا كانت دخيلة فترجع حينئذ إلى أصل في اللغة الأجنبية التي أخذت عنها ؛ ولكن الكلمات لا تحتفظ دوماً بمعاني أصولها الاشتقاقية ، وقد تبعد عنها ابتعاداً تنقطع معه صلتها بها أو تكاد . وتختلف الحالة باختلاف الكلمات كما تختلف باختلاف اللغات .

واللغة العربية هي أبرز اللغات من جهة احتفاظ ألفاظها بالصلة بأصولها الاشتقاقية فظهور الصلة في اللغة العربية بين معاني الكلمات ومعاني أصولها التي اشتقت منها هو القاعدة الغالبة . وليس الأمر كذلك في غيرها من اللغات الحية وذلك لسبب أساسي كنا بيناه في بحث الاشتقاق وخلصته ثبات الحروف الأصلية وبقاؤها مهما تبدلت أشكال الألفاظ التي تتكون منها في أبنيتها وتصاريفها أو تبدلت معانيها . ويمجني التعبير الذي استعمله الاستاذ أولمان حين وصف الألفاظ بكونها مخافة أو كيفية بحسب كونها كاشفة عن أصلها الاشتقائي أو ساترة له غير كاشفة عنه . ونستطيع أن نقول إن أكثر

الفاظ العربية بهذا المعنى شفاقة، وإن الكثير من ألفاظ الفرنسية والانكليزية كثيف غير شفاف ولذلك كان قلب ألفاظها الكثيفة إلى ألفاظ شفاقة عملاً شاقاً يتطلب للوصول إليه، حين يكون ذلك ممكناً، جهداً لغوياً فنياً يقصد إليه بمض الكتاب والشعراء قصداً. ولا أزال أذكر كلمة في هذا الموضوع سمعتها من الشاعر الفرنسي بول فاليري P.Valery، في محاضرة ألقاها في باريس سنة ١٩٣٧ شرح فيها فنه، وقال فيها إنه يلاحظ في استعماله الألفاظ معانيها اللاتينية القديمة بحيث يلقي المعنى الأصلي القديم ظله على الكلمة المستعملة بمعناها الحديث المؤلف. وهذا من أسباب الصعوبة التي يلاقيها من يقرأ شعر فاليري كما قال هو نفسه.

فكم من الفرنسيين من يعرف أن (Arriver = الوصول) مشتقة من (Rive = الشاطئ) وأن (Avaler = البلع) مأخوذة من (Val = الوادي) وأن (Vertu = الفضيلة والخاصة) و (Virilité = الرجولة) أصلها لفظ Virum من اللاتينية ومعناه الرجل في عنفوان قوته وأن لفظ (Cuisine = الطبخ) مشتق من Culina اللاتينية ومنها Culinaire أي المنسوب إلى الطبخ وأن (Désastre = مصيبة) مشتقة من (Astre = النجم) لاعتقاد تأثير النجوم قديماً وأن مرجع الكلمات : Domestique = أهلى و Dôme قبة و Domaine =

مِلك و Domicile = منزل هو كلمة Domus اللاتينية ومعناها منزل؟. ولو نظر أي عارف باللغة العربية إلى هذه الألفاظ التالية، على ما جدّ لبعضها من معانٍ جديدة، لعرف أصلها وربط معناها الجديد بالقديم: ابراع، اشتراكية، تعليل اجتماعي، غرفة نسبية، أزمة الحكم، نفوس، سبارة، تطور، وأمثالها كثير لا يكاد يحصر. ولا تزال كلمة التجمية تدل على أصلها وهو الحياة وسلم والسوم تدل كذلك على السلم لأن التحية أو التسليم كانت ترمز إلى إعطاء الأمان وتدل كلمة منزل على أصلها وهو المكان الذي كان ينزل فيه العرب من على الجبلهم وخبولهم ليقيموا فيه خباءهم ويوتنهم المتنقلة.

وان ابتعاد الكلمة عن أصلها الاشتقاقي وانقطاع الصلة بينها أو ضعفها ينشأ عن حدوث تبدلات صوتية في بناء الكلمة توم الاختلاف والانقطاع، وقلما يحدث مثل هذا في اللغة العربية. وإذا كانت الكثرة من الناس اليوم تجهل أن التقوى من وقى وأن تترى من الوتر والتلاد من ولد ومنأد - ومعناه الموج - من الأود فلا يعني ذلك أن العربي كان في دخيلة نفسه لا يعلم هذه الصلة. فنشأ ذلك أن الملكة العربية قد ضعفت وهي في طريقها إلى القوة والرسوخ. ولكن مثل هذا كثير الحدوث في غير العربية من اللغات الحية، فالخاصة من مثقفي الفرنسيين أو من المختصين هم الذين يعرفون

أن Beau coup أصلها من كلمتين هما Coup و Beau وأن Printemps مأخوذة من لفظي Temps و Primum وأن Altérer و Autre من أصل واحد وأن Noble معناه في الأصل المعروف أو القابل للمعرفة وأنه مشتق من أصل لاتيني يفيد معنى المعرفة .

وقد ينشأ ضعف الصلة بالأصل الاشتقاقات بسبب تبدلات كثيرة طرأت على معاني الكلمة فأبعدتها عن الأصل حتى تبدو للسامع منقطعة الصلة غريبة عن أصلها ، وهذا يحدث في العربية كما يحدث في غيرها ولكن الاهتداء إلى هذه الصلة في العربية أسهل لثبات الحروف الأصلية فلا يبقى إلا التفتيش عن الحلقات الضائعة التي تصل المعنى الحديث بالقديم . فالمرية من دان بمعنى خضع لأن المدن وهي مساكن الحضرموطن للخضوع في نظر العربي الذي كانت البداوة غالبية عليه . والجنة من جنن ومعناها التنطية لأنها منقطعة بالخضرة والنبات والتقوى وقاية الانسان نفسه بعمله الصالح من عذاب الله والمرية الحرفة من الهوان وهو الذل لما في صنائع المدن وحرفها في نظر أهل البادية من الهوان .

وحدوث مثل ذلك في غير العربية كالفرنسية مثلاً كثير وزيده اشتباها

وانقطاعاً طرؤه تبدلات في التركيب الصوتي للألفاظ وتعرض جميع حروف الكلمة للسقوط والحذف بلا تمييز بين أصلي وزائد .

تركيب المادة الأصلية :

إن اللغة تتألف من كلمات والكلمة هي الوحدة اللغوية دون الحرف أو الصوت وإن كانت الكلمة تتكون من حروف . ذلك أن الكلمة ذات دلالة واضحة وهي في حالة الانفراد ، بخلاف الحرف فليس له دلالة .

ولكن الكلمات يختلف بعضها عن بعض في المعنى تبعاً لاختلاف حروفها وأصواتها وكل تبدل صوتي فيها يتبعه تبدل في المعنى وهذا يدل على أن للحرف أو الصوت أثراً في تكوين المعنى وتحديدده وأن له بعبارة أخرى وظيفة دلالية .

ولكل لغة طريقتهما في تركيب ألفاظها الصوتي وقوانين يخضع لها هذا التركيب .

وتختص اللغة العربية :

(١) بأن أكثر ألفاظها تتكون في أصولها الاشتقاقية من ثلاثة حروف صوتية دون حساب الحركات .

(٢) وأن هذه الحروف الثلاثة ثابتة لا تتغير في جميع مفردات المادة ومشتقات الأصل كما أنها كذلك ثابتة لا تختلف باختلاف المصور ولا تطرأ عليها تبدلات صوتية تغيرها إلا في أحوال نادرة .

(٣) وأن للحرف قيمة دلالية ووظيفة في تكوين المعنى وتحديد معناه هي في العربية أظهر وأوضح منها في اللغات الأخرى وقد بينا بعض ذلك في بحث الاشتقاق في هذا الكتاب ونزيد ذلك هنا إيضاحاً وبياناً .

إن الأصوات التي تتكون منها الكلمة العربية أنواع ثلاثة :

١ - الحروف الصوتية أو الصائتة .

٢ - حروف المد أو الحروف الهوائية .

٣ - الحركات أو حروف المد القصيرة .

أما الحروف الصائتة وهي ما سوى حروف المد من الأحرف الهجائية فهي المعاد في تركيب الكلمة وتكوين معناها ويمكن القول أن اتفاق عدد من الألفاظ فيها معناه اتفاقاً في المفهوم الأصلي والخلاف فيها كذلك خلاف فيه بينها . ويبدو من استعراض أمثلة كثيرة في العربية ، سبق أن سقنا الكثير منها في باب الاشتقاق<sup>(١)</sup> ، ان الحرف في العربية ذو قيمة دلالية بارزة ، وان

(١) انظر ص ١٠١ - ١٠٥ من هذا الكتاب .



استخراج هذه المعاني الكلية التي تفيدها الحروف بحاجة إلى احصاء شامل واستقصاء طويل ينتظر من يقوم به حتى الآن لاثبات هذه النظرية أو تعديلها أو رفضها .

ومثال ذلك ما يدل عليه حرف النون من معنى الظهور في أول كثير من الألفاظ مثل نبع ونبأ ونسأ ونجم ونطق ونفر ونغت ونه... ونما ونثروتأ... الفع وما يدل عليه حرف القاف من القطع والضرب والصدم في مثل : قد وقط وقطع وقطف وقتل وقرف وقرع ودرق ورقق وشق وطرق .

وما يدل عليه حرف السين من الليونة أو النقص في مثل : فسّ وفسر وفسف وكسّف وكسر ونسي ونسى وسهل وعلس ونسل وسرق وسرف .  
وما يدل عليه حرف الراء من تكرار الفعل وديمومته مثل : مرّ ومرّ ودرّ ودرّ وقرّ وقرّ ورسّ ورسّ ورفقّ ورفقّ .

وما يدل عليه حرف الفين من الغيوبة والستر في مثل : غيّم وغيّب وغرب وغفر وغمر وغمى وغمس وغبى وغبر وغبن وغشى وغضى وغار .

هذا وان الاختلاف في ( الكمية ) أي في مقدار قوة الحرف شدة وضعفاً

يدل كذلك على اختلاف كمي في المعنى فأوزان *فعل* و*تفعل* و*افعل* و*فعلال* و*فعليل* تدل كلها على الشدة أو المبالغة .

وهذا المعنى قد يلاحظ في ألفاظ قليلة في اللغة الفرنسية ولكنها لا تبلغ ما تبلغه اللغة العربية كثرة وظهوراً وذلك كالكاف في *Couper* و *Casser* والفاء في الأفعال الدالة على النفخ مثل : *Souffler* و *Siffler* و *Gonfler* . وكثيراً ما استثمر الأدباء من نثرين وشعراء هذه الخاصة في تقابل الأصوات والمعاني في كتاباتهم وشعرهم كما فعل ذلك فيكتور هوغو ولوكونت دوليل ؛ وهو كثير الوقوع في العربية ولا سيما في القرآن الكريم حيث بلغ التقابل بين المعنى والنعمة الموسيقية ذروة الكمال . وللعربية في تركيب الحروف موسيقى خاصة يعرفها العربي بالذوق فلا تجتمع بعض الحروف في كلمة واحدة كالجيم والقاف ، والجيم والصاد ، والصاد والطاء ، والزاي بمد الدال ، والشين بمد اللام ، والنون قبل الراء<sup>(١)</sup> .

أما هروف المد :

فهي عنصر مرن متحول ليس من الأجزاء الأساسية في تكوين الأصول

---

(١) انظر كتاب التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر الجزائري ص ٧٣ .

الاشتقاقية<sup>(١)</sup> ولا يستوجب الاتفاق فيه والاشترك اتفاقاً في المعنى ولا الخلف فيه كذلك اختلافاً فيه؛ وذلك بخلاف الفرنسية والانكليزية، إذ الخلف في حروف المد فيها خلاف أساسي يتغير به المعنى والأصل الاشتقائي غالباً؛ فانظر مثلاً إلى مبلغ الاختلاف بين الألفاظ التالية في اللغة الفرنسية مع أن الخلف منحصر في حروف المد: mal , mule , mol , moule وكذلك في peu , peau . pus , pas فالخلاف في حروف المد في الفرنسية خلاف أساسي.

وأما في العربية فكأن حروف المد - وليست الحركات إلا نوعاً من حروف المد القصيرة - جعلت لتنويع المعنى الأصلي الثابت بثبات الحروف المصانعة في المادة الواحدة وتمييزها في ذلك حروف أخرى تؤلف معها ما يسمى بحروف الزيادة المجموعة في (سألتمونيها). فالفرق بين كَتَبَ و كِتَابٌ و كُتِبَ و كُنِبَ و بين سفرو سافر مذر و مازرو و مازرو و علم و علم و عالم و عالم و علم و علم و أمثالها أكثر من أن يحصى ليس خلافاً في المعنى العام الذي هو في كل منها معنى

---

(١) قد يكون حرف المد في نظر اللغويين أحد الحروف الأصلية الثلاثة في الكلمة كالواو في القول والباء في البيع ولكنه حتى في هذه الحال عرضة للتحويل أو الحذف في كثير من الأحوال كحذفه في أعمال الأمر في الوسط والآخر كقفل وبع وارم وأبق مع أنه حرف أصلي في هذه الألفاظ في رأيهم.

المادة الأصلية وإنما الخلاف في تنوعانه وملابساته . وأكثر الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة والحديثة يرجع الى الاختلاف في حروف المد الطويلة والقصيرة وطريقة النطق بها .

وأما الحركات :

فهي في حقيقتها حروف مد قصيرة وطريقة الكتابة العربية هي التي أوهمتنا أن بينها وبين حروف المد فرقا نوعياً مع أن الفرق كمي . فالفتحة أخت الألف والضممة أخت الواو والكسرة أخت الياء ؛ وقد تنبه أسلافنا من علماء اللغة إلى ذلك وأوضح ابن جنى في كتابه سر صناعة الإعراب هذا المعنى أحسن الإيضاح<sup>(١)</sup> . وبالجملة أن اللغة العربية بلغت الغاية في حسن استخدام الحروف وتقسيمها إلى قسمين أحدهما لتنويع اصول المعاني وهي الحروف الصائتة وثانيها لتنويع المعنى الواحد على حسب أحواله وملابساته للفاعل والمفعول والصفة والماضي والمستقبل وهذه هي حروف المد الطويلة والقصيرة ( الحركات ) يضاف إليها أحياناً بعض الحروف وهي ال ( س ، ت ، ل ، م ،

---

(١) اعلم أن الحركات بعض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو ... وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضممة الواو صغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ... ص ١٩ .

ن ، أ ، هـ ) فاختلاف الحركة مع الاتفاق في الحروف الأصلية يؤدي إلى اختلاف جزئي في المعنى وذلك كالاختلاف بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول من الأفعال كرفع ورفُع وبين اسم الفاعل واسم المفعول من أفعال ككرم ومكرم ومن فاعل وتفاعل وتعمل واستعمل . وفي العربية ألفاظ كثيرة تتفق في الحروف والصيغة ولكنها تختلف في بعض حركاتها فيتنوع معناها تماماً لذلك كالعلاقة فهي بالكسر للماديات كعلاقة السيف وبالفتح للمعنويات والسمور بضم السين للفعل وفتحها لما يتسحر به من الطعام وكذلك الظهور بالضم والفتح والقر بضم القاف البرد وفتحها البارد وفتح بعض اللغويين بين الجهر بفتح الجيم ومعناه الطاقة والجهر بضمها ومعناه المشقة وقد أشار كثير من الفوا في اللغة من عامائنا الأقدمين إلى هذه الفروق .

#### البناء الصرفي أو الوزن :

وهو ثاني العناصر التي تكون معنى الكلمة وتحدده فبمد أن تكون المادة لأصلية قد قدمت جملة المعنى أو المفهوم الكلي الجامع يقتطع البناء الصرفي أو الوزن من هذا المعنى الكلي جزءاً محدوداً ويكون كالثالب الذي يأخذ من مادة المعدن جزءاً يحدد أطرافه وتعين بذلك وظيفته . وذلك كأن تكون مادة الكلمة الأصلية مؤلفة من ( ر ف ع ) فتبنى على وزن ( فاعل ) فتكون

كلمة رافع أو من ( ن ز ل ) فتبنى على وزن ( مفعِل ) فتكون منزل وبذلك تكون كلمة رافع اخذت من مادة ( رفع ) المعنى العام ومن القالب الذي صيغت فيه معنى الفاعلية وكذلك منزل أخذت من ( نزل ) المعنى العام للنزول ومن الصيغة التي وضعت فيها معنى المكانية . وقد فصلنا القول في دلالة الأوزان والصيغ وما تقدمه للمواد الاشتقاقية من معان عامة وقوالب فكرية في فصل سابق من هذا الكتاب فليرجع إليه ( ص ١١٥ - ١١٩ ) .

#### مبارة الكلمة والبيان :

ان معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقائي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالباً لتحديد معناها تحديداً تاماً دقيقاً ؛ فان كل كلمة بعد أن أُخذت من مادتها الأصلية وبنيت على أحد الأوزان الصرفية استعملت في مواطن من الكلام وخصصها الاستعمال بمعان اخص من المعنى العام الذي تدل عليه مادتها وتعدد الاستعمال خلال المصور وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى ويجمع لها أكثر من دلالة . وهذه الاستعمالات أو المعاني المتعددة تتصل كلها بالمعنى الأصلي اتصالاً قوياً أو ضعيفاً ، قريباً أو بعيداً ، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها وكأنها مخزنة فيها كامنة في تضاعيف حروفها ويبرز أحدها حين استعمال الكلمة في جملة معينة ومساق محدد

من الكلام . فلو نطق متكلم بكلمة ( كاتب ) هكذا مجردة من الكلام لثار في ذهن السامع معان عديدة منها الكاتب المشتهر بالكتابة الأديبة كالملاحظ ومنها كاتب المحكمة والمسجل في دائرة من دوائر الدولة أو في متجر من المتاجر في العصر الحاضر ومنها اسم الفاعل الدال على حدوث الكتابة من أحد الناس ولا يميز أحد هذه المعاني الموجودة بالقوة في لفظ هذه الكلمة ولا يخرجها من حيز القوة إلى حيز الفعل إلا استعمالها في جملة من الكلام وكذلك ألقاها : الحكم والاعتزال والمردود والباب والصحيح والفصل فكل منها معان متعددة. اشتملت في عصور مختلفة وفي بيئات شتى فالمردود عند البحث في الأراضي والمقارنات هي غير المرود عند الفقهاء والصحة تستعمل في الرأي والمنطق وفي الصحة والطب وفي النحو والحساب .

ولهذا كان للسياق قيمة في تحديد المعاني وفهم الكلام . وان هذه الاستعمالات التي تستعمل فيها الكلمات وهذه المعاني الخاصة المحدودة التي تلازمها في بعض المصور مدة طويلة أو قصيرة والبيئات التي تعيش فيها هي التي تكون شخصية الكلمة أو ذاتيتها .

ان للكلمة في اللغة حياة خاصة بها وقد شبهها علماء اللغة المحدثون بالأحياء ، فقالوا ان الكلمة يموتها ما يموتها الأحياء من أحوال : فهي تولد في

باديء الأمر ، وقد نحضر ولادة بعض الكلمات ، ولو كانت مادتها في الأصل موجودة كالمذياع والطائرة ، وتشتهر الكلمة بين الناس أو تكون خاملة الذكر لا يعرفها إلا عدد قليل من الناس ، ويعتريها الضعف والهزال فيقل استعمالها ، وتهاجر وتساقر ، وقد تمود من مهاجرها في زي جديد فكلمة *فَرَس* انتقلت إلى اللغة الأوربية *alcool* ثم عادت إلينا فقالوا كحول ظناً منهم أن الكلمة الفرنسية مأخوذة منها وقد عموت الكلمة فلا تستعمل أبداً وتبقى مدفونة في النصوص القديمة وقد تبعث من جديد بعد موتها .

\* \* \*



## وضع الألفاظ ونشأة اللفظ

للموجودات الحسية والمعنوية أسماء تدل عليها في كل لغة من اللغات تتسع دائرتها أو تضيق بحسب اتساع افق أصحاب تلك اللغة أو ضيقه في معرفتهم لموجودات الكون أو معاني الوجود . ولا ننفي بلفظ الأسماء اصطلاح النحاة في تقسيم الكلمة وإنما أردنا ما هو أعم من ذلك وأشمل فكل لفظ اطلق على معنى من المعاني فهو اسم له . فلفظ أعطى اسم لمعنى فعل الاعطاء في الماضي إذا قام به فرد غائب وكذلك قسم واجتمع وحائط وشجرة وشرف أسماء لمعانيها التي تدل عليها<sup>(١)</sup> .

ولنطرح على بساط البحث موضوع التسمية أو وضع الألفاظ واطلافا على مسمياتها ومعانيها كيف حدثت وتمت ؟ وكيف كان هذا الاقتران بين اللفظ ومعناه والتلازم بين الأسماء والمسميات؟ ولماذا اختير هذا اللفظ بينه لذلك

---

(١) قال ابن سيده والاسم اللفظ الموضوع على الجوهر أو الرض لتفصل به عنه من جنس ( لسان العرب ) .

المعنى الذي يفيدُه ؛ إن هذه مسألة تطرح للبحث في كل اللغات ولا بد لبحثها من شطرها وتقسيمها إلى مسألتين والنظر إليها من وجهين .

ذلك أن كل لغة حية تولد ألفاظاً جديدة للتعبير عن المعاني الجديدة . ولكل منها طريقة خاصة بها في توليد الألفاظ واستحداث الكلمات بطريق الاشتقاق أو النحت أو غيرهما من الأصول والألفاظ الموجودة عندها . ولكنها كيف اختارت في بدء تكوينها وأول نشوئها هذه الألفاظ بعينها ؛ فإذا اشتقنا اليوم في العربية كلمة سيارة ومحرك وموطن لمعان جديدة فإن لنا أن نتساءل أولاً عن سبب اختيار مادة سار ومحرك وموطن للدلالة على هذه المعاني دون سواها ولنا أن نتساءل أيضاً عن هذه الألفاظ نفسها كيف وضعت لمعانيها لأول مرة . ففي الموضوع مسألتان إحداهما وضع الألفاظ ابتداءً في كل لغة والثانية وضع الألفاظ بعد ظهور اللغة واستقرارها وطريقتها في التسمية وإطلاق الألفاظ على المعاني .

أما المسألة الأولى فتردنا إلى البحث في أصل اللغات ووضع الألفاظ وهو في باب اللغة من قبيل البحث في النيبات ( الميتافيزيك ) ويكاد يكون الخوض فيه عملاً قليل الجدوى ضعيف النتائج وضرباً من الافتراض والتخيل ذلك أن نشأة اللغات الأولى مغمية عنا ، بيننا وبينها - كما هي الحال في جميع

البدايات - حلقات منقطعة يتعذر وصلها ولذلك لم يفتر الخلاف بين الباحثين في هذا الموضوع قديماً وحديثاً .

وان النظرية الطبيعية التي حاول أصحابها أن يعللوا فيها نشأة أصول الألفاظ الأولى بمحاكاة أصوات الطبيعة لا تكاد تثبت للحجة والدليل ولا تصدق إلا في القليل النادر من ألفاظ كل لغة . فاذا قلنا أن قط وما يتفرع منها من ألفاظ والقص والكسر والواوئين والمخيف والفلقذ والطبل وأضرابها تحكي بأصوات حروفها أصوات الأحداث التي تدل عليها في اللغة العربية وأن Fracas القمقمة والجلبة و Croquer قضم و Casser كسر في اللغة الفرنسية تصور بجرس حروفها أصوات الأفعال التي تعنيها فكم عدد الألفاظ التي تقع هذا الموقع وتتصف بهذه الخاصة في اللغة العربية وفي الفرنسية ؛ لا شك أنها قليلة محدودة . أما الألفاظ التي نجد بين جرسها ومعناها تناسباً وتوافقاً فربما كانت أكثر عدداً ولكنها لا يحتاج بها في هذا الباب ولا يمكن أن يعلل أصل وضعها بالتعليل الصوتي لمجرد هذا التناسب وذلك مثل : سق ورف وقرع وككب وسال ونفخ وزحف وفي الأفرنسية مثل : lour, subtil, fin, petit . على أن في هذا التناسب شيئاً كثيراً من العادة والاتلاف عند أهل كل لغة في الربط بين بعض المعاني وبعض

الأصوات . ولو صحّت هذه النظرية لما تعددت اللغات وتماثلت أو تشابهت على الأقل فإن أصوات الطبيعة واحدة مع أن تلاقي اللغات في ألفاظ واحدة وتشابه الألفاظ الدالة على معانٍ واحدة لا يقع إلا في القليل النادر وإذا وقع فلا بد غالباً من بعض الاختلاف وذلك مثل كسر و Casser وقطع و Couper وكفر بمعنى سترو Couvrir وصفرو Siffler وأمثالها في العربية والفرنسية .

وقد جرى بين علمائنا المتقدمين نقاش وجدل حول هذا الموضوع وذلك بمناسبة البحث في أصل اللغة هل هو تواضع واصطلاح أم توقيف<sup>(١)</sup> ووحى .

فقد اختلفوا في كيفية دلالة الألفاظ على معانيها ونوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله وعلّة اقترانها فهل « تدل على المعاني بذواتها أو بوضع الله إياها أو بوضع الناس »<sup>(٢)</sup> . وقد خصص السيوطي الفصل الأول من كتابه المزهر لهذا البحث وأورد رأي عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي من « أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع » .

ثم قال السيوطي بعد نقله هذا الرأي عن أهل أصول الفقه : إن الجمهور أنكروا هذه المقالة . وأورد مناقشتهم لها ثم قال : « وأما أهل اللغة العربية فقد

---

(١) أي ما يتوقف فيه على ما جاء عن طريق النبوة والوحى .

(٢) المزهر ج ١ ص ١٦ .

كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم « (١) .

ونقل عن ابن جني « ان بعضهم ذهب الى ان اصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الرياح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الخيل ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » وعقب ابن جني على هذا الكلام بقوله : « وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل » (٢) .

إن علماء اللغة المحدثين قد أخرجوا البحث في أصل اللغة والفاظها ونشأتها الأولى من مباحث علم اللغة كسائر المباحث التي هدفها معرفة بداية الحياة الإنسانية والاجتماعية التي أصبح البحث فيها داخلياً في نطاق الفلسفة أكثر من ان يكرر من اختصاص العلم . أضف إلى ذلك قلة جدوى هذا البحث وقد كان هذا الموقف نفسه موقف كثير من علماء السلف في تاريخنا فقد قال ابن السبكي : « الصحيح عندي ان لا فائدة لهذه المسألة ، كما نقل عنه السيوطي وعقب على ذلك بقوله : « وهو ما صححه ابن الباربي وغيره ولذلك

---

(١) الزمهرج ١ ص ٤٧ .

(٢) الزمهرج ١ ص ١٥١٤ .

قيل ذكرها في الأصول فضول». (١) أما البحث فيما بين جرس الألفاظ ومعانيها من مناسبة فهو من المباحث اللطيفة في كل لغة وهو بحث جدير بناية أهل الأدب ولافت لنظرم. وقد كان ابن جنى كمادة من السياقين والمبدعين في أمثال هذه المباحث فقد عقد عدة فصول تتعلق بالصلة بين اللفظ من حيث أصواته التي يتركب منها ونتمته وجرسه من جهة ومعناه من جهة أخرى كالمبحث الذي عنوانه (باب في أساس الألفاظ أشباه المعاني) والمعنون أيضاً بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني (٢) وقد أشرنا في ما تقدم من مباحث إلى هذه الآراء والنظرات (٣) فلندع الآن هذا البحث جانباً ولننظر في المسألة الثانية وهي التسمية الفرعية أو إطلاق الألفاظ على مسمياتها بعد وضع اللغة.

---

(١) المزمع ج ١ ص ٢٦.

(٢) الخصائص ج ١ ٥٤٤ و ٥٣٧ من الطبعة القديمة و ص ١٥٤ - ١٦٦ من الجزء

الثاني من الطبعة الجديدة (دار الكتب المصرية).

(٣) ص ٧٤ - ٨٥ من هذا الكتاب.

## نولبر اللفاظ ونسمة المسببات

(١)

طريقة نولبر اللفاظ :

إن نسية الأشياء ووضع اللفاظ للدلالة على مدلولاتها عمل مستمر في جميع اللغات الحية فإن الانسان لا يزال يكتشف ويصنع أشياء جديدة ولا يفتأ يطلع على معان مبتكرة أو فكر طريفة أو يصوغ مفاهيم حديثة وهو في كل هذه المجالات محتاج إلى ألفاظ جديدة تدل على هذه الأشياء والمعاني الجديدة. وتكون نسية الأشياء ووضع اللفاظ الجديدة، بعد أن تكون اللغة قد اجتازت مرحلة نشوئها الأولى وغدا بين يديها رصيد من المفردات، بانتزاع صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته أو اختيار جزء من أجزائه أو ناحية من نواحيه أو تحديد وظيفته الأصلية وتسميته بلفظ مشتق من اللفظ الدال على تلك الصفة أو الناحية أو العمل. فالعرب قديماً سمو السماء بصفة السمو والعلو والسرهل من الأرض لسهولة السير فيه والبارية لصفة الظهور والوضوح والمرآ

لشعور المرء فيه بالسكينة والسفر لكشفه عن صفة الانسان أو لانكشاف آفاق الكون أمام المسافر . وكذلك جرت التسمية بعد الاسلام وأحدثت ألفاظ لمعان جديدة على هذه السنة نفسها فسميت الرزاة بلفظ يدل على النماء أو الطهارة والتفوى من الوقاية بالعمل الصالح والجهد من لفظ يدل على الطاقة والمشقة والتعب . ولا تزال منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا نضع الألفاظ المعاني الجديدة على هذه الطريقة في أكثر الأحوال للمكتب والطبعة والعاطف والجامعة والقطار والدراجة والفضان وأمثالها من الألفاظ المستحدثة في هذا العصر .

وعلى هذه السنة نفسها تسير اللغات الحية اليوم مع اختلاف في أسلوب صياغة الألفاظ فلكل لغة أساليبها الخاصة بها كالاقتاق والنحت فقد ولدت الفرنسية في العصر الحديث ألفاظاً مثل : avion للطائرة وأصل معناها الطائر شبت به و imprimerie للطبعة وقد أخذت من أصل يدل على الضغط و repasser لسن السكين وكى الثياب وأصل معناها تكرار المرور وفي كلا الفعلين مرور متكرر للسكين التي تسن وللحديدية التي تكوى بها الثياب و bicyclette ذات الدواليبين و moteur للمحرك وهي تدل على هذا المعنى دلالة تامة .



( ٢ )

تعليل اوكلفاظ :

إن هذه الظاهرة دعت بعض علماء العربية قديماً إلى القول بتعليل ألقاظ اللغة قال ابن الاعرابي : « الألقماء كلها لمة خصت العرب ما خصت منها . من اللل ما نعلمه ومنها ما نجعله » وذهب إلى أن « البصرة سميت البصرة للحجارة البيض والرخوة بها واونسان سمي إنساناً لنسيانه والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز . فان قال قائل لأني علة سمي الرجل رجلاً والمرأة امرأة ودعد دعداً قلنا لمل علمتها العرب وجعلناها أو بعضها فلم نزل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا<sup>(١)</sup> . وهذه الصلة بين معنى اللفظ الدال والمدلول أو المسمى قد تنمض أو تخفى على تقادم العهد وتناول الزمن حتى تجهل علة التسمية ومناسبة الوضع وقد تبقى واضحة ظاهرة أو قابلة للكشف بقليل من التأمل كألقاظ اونسان والسما والمائبة والمجراد والنقوى والشرف والمرينة والعاصمة والسحاب والمجاز وغيرها فبهي

---

(١) المزهرج ١ ص ٤٠٠ .

من الونس والسمو والسي والمجرر والوقاية والشرف بمعنى الارتفاع والرد  
بمعنى الخضوع والمصمة أي المنع والسحب والعبواز . ومن الألفاظ ما تنجز  
الصلة بين مدلولها ومعناها الأصلي لبعده العهد وقدم التسمية وهذه هي الألفاظ  
التي سماها علماءنا السابقون مرتجلة . واللغة العربية لها مزية ظهور الصلة بين  
معنى الألفاظ الأصلي ومدلولاتها المسماة بها في كثير من ألفاظها إذا لم تقدر  
أكثرها وكثيراً ما تبدو هذه الصلة خفية لأول نظرة ولكنها سرعان  
ما تنكشف بقليل من التأمل ومثال ذلك ما أوضحناه في باب الاشتقاق<sup>(١)</sup> من  
علاقة الوغارة بالغور والعبار بالجور ومثله صلة الونس بالانس والونس  
من الوسم والسمة أي العلامة والفتاة من النيب لأنه يغاب فيها .

لقد تنبه السابقون من علماء العربية ورواتها إلى هذه الصلة بين الألفاظ  
ومدلولاتها وغالوا بعضهم فيها أحياناً واستنكروها بعضهم ولم ينظر إليها نظراً  
جد وانتقد من ذهبوا هذا المذهب في تعليل تسمية الأشياء ووضع الألفاظ  
للدلالة عليها .

قال الزجاج في كتابه في الاشتقاق<sup>(٢)</sup> : « شجرت فلاناً بالرمح تأويله

(١) انظر ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ من هذا الكتاب .

(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٣٥١ .

جعلته فيه كالفصن في الشجرة وقوله للحلقوم وما يتصل به شجر لأنه مع ما يتصل به كأغصان الشجر وتشاجر القوم إنما تأويله اختلفوا كاختلاف أغصان الشجر وكل ما تفرع من هذا الباب فأصله الشجرة « وقال الزبيدي في طبقات النحويين<sup>(١)</sup> : « سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمر أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال له أبو عمرو دعني فاني أظف بسؤاله وأعرف فسأله فقال الأعرابي : استفاد الاسم من السير . فقال ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والمُجَبُّ ألا تراها تمشي المرَضنة خيلاء وتكبرا » .

ونقل السيوطي في مزهره أيضاً : « قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الموازنة كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وان نقصت حروف احدهما عن حروف الاخرى فان احدهما مشتقة من الاخرى فتقول ارحل مشتق من الرحيل والثور إنما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً . حسيبه الله ا كذا قال « ثم يسوق السيوطي حديثاً بين الزجاج ويحيى المنجم فيه طرافة تعرض فيه أجوبة الزجاج في معرض النكتة والتهكم وقد يكون الزجاج أوردتها فملاً هذا المورد لمقابلة التهكم بثلاثة ومن ذلك قوله حين سأله عن الجرجير

(١) المزهرج ١ ص ٣٥٣ .

وهو نوع من البقل وعن الجرير وهو الحبل أن ذلك كله من جرّ يجرّ فلما سألوه عن الجرة قال لأنّها تجر على الأرض فقال مخاطبه لو جرت على الأرض لانكسرت وقال المجرة سميت كذلك لأنّ الله جرّها في السماء جرّاً<sup>(١)</sup>.

وينبغي على كون التسمية اللغوية ليست إلا تصويراً لبعض جوانب لسمى أو بعض صفاته أو أجزائه أو أبرز أعماله ووظائفه نتائج عديدة... سطرها فيما يلي من بحثنا.

(٣)

الكلمة رمز وسمّة لا تعريف :

إنّ الكلمة ليست تعريفاً للشيء ولا تحديداً لكنّه ولا وصفاً محيطاً بجملته وأجزائه فقد يكون اللفظ في أصل معناه أوسع من المسمى وهو الغالب وإنّما يأتي التخصيص من الاصطلاح والتواضع فلفظ الجنين من مادة جن ن وهي مادة تقيد الستر وسمي الجنين كذلك لأنّه مستور في بطن أمه وليس الستر هو الصفة الجامعة المانعة للجنين وإنّما هي إحدى صفاته ويشاركه فيها

(١) المزهرج ١ ص ٣٥٤.

موجودات أخرى أيضاً. ويمكنك أن تقول مثل هذا القول في سائر الألفاظ المحتفظة بمعانيها الأصلية والموضوعة لمدلولات معينة مثل الحريقة والحمل والسيارة والطربس والزلاقة والربا؛ فليس في هذه الألفاظ وأمثالها مطابقة تامة بين معنى اللفظ الأصلي ومدلوله أو المعنى المقصود به ولا عمل هنا للمنطق والقياس ومن سخط التفكير ما قاله يحيى بن علي المنجم حين أراد أن يطبق المنطق العلمي في رده على الزجاج اللغوي إذ قال: « فالفصيل الجُر الذي شق طرف لسانه لثلا يرضع حليب أمه ما قولك فيه؟ قال: لأنهم جروا لسانه حتى قطموه. قال: فإن جروا أذنه وقطموها تسميه الجر؟ قال: لا يجوز لك. فقال يحيى بن علي: تقضت العلة التي أتيت بها على نفسك ومن لم يدر أن هذه مناقضة فلا حس له<sup>(١)</sup> ». والحقيقة أن هذا المنجم الفلكي هو الذي لم يكن له حس لنوي وليس الزجاج. « قال أبو جعفر النحاس في شرح المملقات: قيل إنما سميت الجر مدامة لدوامها في الدن وقيل لأنه يغلى عليها حتى تسكن لأنه يقال دام سكن وثبت فإن قيل فهل يقال لكل ما سكن مدام؟ قيل الأصل هذا ثم يخص الشيء باسمه<sup>(٢)</sup> ».

(١) الزهرج ١ ص ٣٥٤.

(٢) الزهرج ١ ص ٤٣٣.

( ٤ )

الاشتراك أو تعدد المعنى - الأضداد :

إن أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة ، لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام فكلمة ريل يقصد بها من يدل على الطريق أو من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدهم على الأماكن الجديرة بالزيارة ويراد بها الكتاب الذي تطبمه دوائر السياحة في كل بلد لدلالة الغريب على معاملته وآثاره ويقصد بها كذلك الحجّة المنطقية والبرهان لأن جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لقاصدها وإن كانت هي في ذاتها مختلفة ومثلها كلمة جارية فقد اطلقت على الفتاة الحديثة السن في العصر الجاهلي واستعملت بمعنى السفينة « وله الجوار في البحر كالأعلام » والساقية للنهر الصغير والفتاة التي تتولى تقديم الشراب ، والسهم للعديدة التي يرمى بها والحصة التي تكون لكل واحد من المشتركين في الميسر واطلقت في زماننا على أصغر حصة يمكن أن يسام بها المشترك في الشركات المسماة بالمساهمة اشتقاقاً من لفظ السهم . وكلمة المشروع تستعمل بمعنى الجائر شرعاً أو قانوناً وتطلق في عصرنا على العمل الكبير كبناء جسر أو سد أو مدينة وخصوصاً قبل اتهاؤه باعتبار أنه

رع فيه أو سيشرع كما تطلق على القانون قبل أن تم الموافقة النهائية عليه  
ن السلطة المختصة بذلك .

وقد يقع أن تطلق الكلمة الواحدة على معنيين متضادين لوجود صفة  
شركة بينهما ومثال ذلك لفظ المحرمه فهي مشتقة من مادة حرم التي تفيد المنع  
توصف بها الأشياء التي لا ينبغي الاقتراب منها بل يمنع لقبها وخبثها  
كحرمه الزنى والحمر كما توصف بها الأشياء التي لا تقرب لكرامتها وقدسيتها  
تقول: إن للدين حرمة وللكتاب المقدس حرمة .

وتعدد معاني اللفظ ظاهرة انوية نجدها في جميع اللغات الشائعة لأن  
نشأها وسبب وجودها هو ما ذكرناه من طريقة تسمية الأشياء ووضع  
الألفاظ وهو أمر عام في اللغات وهذه الظاهرة هي التي سماها قدامونا  
الاشتراك وسموا اللفظ المتصف بهذه الصفة المشترك وإذا كانت المعاني المدلول  
عليها متضادة فاللفظ عندهم من الارضاد ، وسمى الفرانسيون ظاهرة الاشتراك  
هذه polysémie ومعناه تعدد المعنى .

( ٥ )

التراريف :

وله نظرنا إلى وضع الألفاظ وتسمية المسميات من وجه آخر لوجدنا

أن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة ويمكن أن يسمى بأكثر من صفة من صفاته وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات ومن هنا ينشأ الترادف وهو تمدد اللفظ للمعنى الواحد وهو عكس الاشتراك ، وهذا هو أبرز أسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات فمن ذلك تسمية الدار داراً ومنزلاً ومسكناً وبيناً باعتبار كونها مستديرة في الأصل أو كونها مكان النزول بالنسبة لأهل البادية أو المسافر أو كونها موضعاً للسكنى والاطمئنان أو كونها مكاناً للبيتوتة ؛ وكل لفظ من هذه الألفاظ يدل على المقصود نفسه بأحد هذه الاعتبارات التي قد يقصدها المتكلم ويلاحظها أولاً يقصدها ولا يلاحظها وهو الغالب في استعمال الناس. وأهل الأدب والبلاغة وحدهم قد يراعون في استعمالهم أحد هذه الألفاظ معناها الأصلي . ومن هذا القبيل تسمية الكتاب كتاباً ومؤلفاً ومجلداً وأثراً وكذلك الصديق والعشير والوالد والرفيق والتدريج بحسب تعدد الاعتبارات .

(٦)

التسمية تصنيف :

إن تسمية الأشياء ووضع الألفاظ للدلالة عليها في كل لغة من اللغات نوع من تصنيف الموجودات المادية منها والمعنوية فيدخل تحت لفظ الشجرة



والدار والنبات والحجر والمشي والقطع والصوت وسائر الالفاظ الدالة على شيء مادي أو فعل أفراد كثيرة لا تخصى وليست هي متماثلة متطابقة وكذلك يدخل تحت كل لفظ من الحب والبنض والكرم والبخل والذكاء والبلادة والشرف والخسة والفرح والحزن والفضب والنشوة حالات كثيرة جداً يختلف بعضها عن بعض ولكن اللغة جمعتها تحت عنوان واحد وجعلتها نوعاً يسمى باسم واحد . فكل لغة من اللغات صنفت أفراد الكون وأجزاء الوجود في مجموعات أو أنواع وجعلت لكل مجموعة أو نوع اسماً واحداً فكل ورقة من أوراق الشجر التي وجدت أو ستوجد مما لا يمكن عده ولا يتصور احصاؤه على اختلاف أشكالها وذواتها تسمى ورقة .

ومن هنا كان بين اللغات شيء من الاختلاف بين الالفاظ فلا يقابل كل لفظ نظيره من اللغة الأخرى مقابلة تامة دائماً ويعتبر مفهوم الشعوب للوجود واختلفها في تصنيفه فقد تجمع لغة من اللغات في نوع واحد وتحت اسم واحد ما تفرقه لغة أخرى في نوعين أو أكثر وتسميه بأكثر من اسم واحد فالعزة والخانه في العربية يقابلها في الفرنسية لفظ واحد هو tante وكلمة رسالة في العربية يقابلها ألفاظ مختلفة في الفرنسية وهي lettre ويراد بها الرسالة التي تكتب إلى قريب أو صديق مثلاً و épître ويقصد بها الرسالة التي تؤلف

في موضوع مين و message وهي الرسالة التي يبعث بها ملك أو رئيس دولة إلى مثله في موضوع مع رسول ييلنها و missian وهي رسالة الأنبياء ودعاة الإصلاح ، والفسارة والفضان أو الضباع يقابلها في الفرنسية لفظ واحد هو perte والتراب والأرض يقابلها لفظ terre .

(٧)

التسمية تجريد :

إن كل لفظ من ألقاظ اللغة عدا الأعلام تدخل تحته أفراد كثيرة يسمى كل واحد منها بذلك اللفظ ويبقى اللفظ مشاعاً بينها قابلاً للانطباق على كل واحد منها دون تخصيص فكلمة شجرة مثلاً تنطبق على كل شجرة أياً كان نوعها وأنى كانت بمعنى أننا جردنا من أفراد الشجر الكثيرة المتنوعة في أشكالها وألوانها وأطوالها وصفاتها صورة مشتركة بينها وأطلقنا على هذه الصورة المتخيلة المفردة كلمة شجرة وكذلك كلمة فرس وباب ودار فكل منها تشمل أفراداً كثيرة وأنواعاً مختلفة وأشكالاً متباينة وكل كلمة منها تمثل معنى محرداً من تلك الأفراد والجزئيات .

والتجريد أظهر وأوضح في الكلمات الدالة على المعنويات فالكرم معنى عرء من حوادث عديدة مختلفة كأعطاء المال الكثر وبذل الطعام والزك

ذيف وتقديم الأشياء ذات القيمة وأشياء ذلك مما ينطبق عليه لفظ الكرم مثل هذا يقال في كلمات أخرى كالحرية والشرف والفضل والحق.

ان في كل لغة فرداً من التعبير ، فالفاظ اللغة مفاهيم مجردة جردها سحب اللغة من الواقع حتى أن أسماء الأعلام التي استثنيناها آنفاً لا تخلو من تجريد لو أمعنا النظر فيها فلو قلت دمشق وفالرد بن الوليد وبروي واستميتها ، كلامك لاحتاج المخاطب إلى التفكير في قصدك هل تقصد دمشق القرن مشرين أم دمشق الفتح الاسلامي وهل تني خالداً في الجاهلية أم بعد الاسلام في أي فترة من حياته وهل تريد بردى في بقعة من مسيره ، في منبعه أم صبه ، في مروره في المدينة أم في قرى الوادي ، إن في كل ذلك تجريداً من الحقيقة المادية لا بد منه فان لدمشق صورة تجرد منها خالذ العصور كلها وخالذ بن الوليد صورة تجرد من جميع أيام حياته وينطبق لاسم على كل جزء وفترة منها ولبردى صورة تجرد من امتداده في المكان والزمان عبر القرون .

( ٨ )

الفاظ والحقيقة ( الفارسية والنسبية ) :

إن اللغة كما ينسأ نوع من التجريد وضرب من التصنيف ولذلك كان من أصعب الصعب أن تصور اللغة بأفاظها الحقيقية كما هي وكما يريد المتكلم

ويتصورها . قال فولتير الكاتب الفرنسي : « تعجز اللغة أي لغة عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا فالفروق بينها كثيرة لا تكاد تلمس فتضطرنا اللغة مثلاً أن نعبر بلفظ الحب أو البغض عن آلاف من ضروب الحب والبغض كلها مختلفة وكذلك الحال في موضوع آلامنا وملاذنا » . ويصف الفيلسوف الفرنسي بركسون الكلمة بأنها غير مصقولة تحتزن من انطباعات البشر كل ما هو ثابت ومشترك أي غير شخصي وتسحق أو تغطي على الأقل الانطباعات الدقيقة والمبارة من وجداننا الفكري ، . وقال أيضاً : « إن الألفاظ عدا الأعلام تدل كلها على أنواع . والكلمة ، وهي لا تسجل من الشيء المسمى إلا وظيفته الأكثر اشتراكاً ووجه المتبدل ، تندس بينه وبيننا ... وليست الأشياء الخارجية وحدها هي التي نقلت منا بل حالاتنا النفسية الخاصة بنا في أخص ما فيها وأكثره شخصية وما نحياه حياة ابداع . فنحن لا نلتقط من مشاعرنا إلا جانبها غير الشخصي ذلك الذي استطاعت اللغة تسجيله لمرة واحدة نهائية لأنه واحد بالنسبة إلى جميع الناس في الأحوال نفسها » .

إن الكلمة حين يجري بها لسان المتكلم أو قلم الكاتب إنما يقصد بها غالباً شيئاً بينه ولكن الكلمة اللغوية بذاتها لا تدل على الشيء المقصود نفسه

كما هو في الواقع أو في تصور المتكلم فإذا استعمل كلمة غرقة أو نهر أو فرح فهو يريد غرقة ذات طول معين وعرض وارتفاع ولون وأثاث وزينة . ويقصد نهرأ بعينه ، بمنظره وغزارة مائه وما يحيط به من قفر أو نبات أو بناء ، ويعني فرحاً من نوع خاص . فالفاظ اللغة كما قال بركسون لا تصور الحقيقة كما هي بل تندس بيننا وبينها فتحجبها عنا بعض الحجب . ويرافق النطق بالكلمة عند المتكلم مشاعر خاصة تثيرها تلك الكلمة في سياق كلامه كما أحس بها وشعر . إن هذه الحالة من المشاعر وذلك الاطار المحيط بها من الاحساسات لا نقلها الكلمة معها إلى المخاطب إلا بكلام اضافي وجهد فني لا يستطيعه إلا أديب طاوغة اللغة واستجاب له الفن . ذلك سبب أساسي لما يعتري اللغة وتتصف به الألفاظ من الغموض أو العموم والبعد عن الدقة والتحديد .

## حياة الألفاظ

لقد شاع استعمال هذا التعبير في عصرنا منذ نحو قرن فشبه علماء الألفاظ بالأحياء وجعلوا لها مولداً وحياة وموتاً كما شاع هذا التشبيه في كنف العلوم بتأثير علم الحياة ( البيولوجيا ) الذي كان في أوج عظمته في القرن الماضي وقد عنون دار مستتر<sup>(١)</sup> من علماء اللغة في فرنسا المعاصرين لدارو كتابه بعنوان حياة الألفاظ ونال حظاً كبيراً من الشهرة . ان هذا التشبيه وان كان قد تعرض لنقد بعض اللغويين المحدثين<sup>(٢)</sup> لا يزال يحتفظ بقيمته : أنه تشبيه ، فليس معناه المبالغة الحقيقية .

فلكل كلمة حياة وتاريخ ، لها ولادة قد يجهل تاريخها ، ولا سيما إذا كانت قديمة ، وقد يعلم ككثير من الألفاظ التي ظهرت في الإسلام بالحجر والنقش أو التي صيغت واستعملت في عصرنا لمضى جديد بالتطور والفتن والرهانف والوزاعز . وللحكمة بيثة تعيش فيها ، فقد تكون بدوية البيثة

(١) Darmesteter. La vie des mots

(٢) vendryes . Le langage . éd. 1921 س ٢٢٦

حضرية ، وقد تعيش وتزدهر في بيئة معينة ، كأن يستعملها الأدباء أو الرياضيون أو الأطباء أو الصوفية أو الفقهاء أو أصحاب المهن والحرف أو العامة .  
وتصف الكلمة كذلك بكثرة الاستعمال فمشتهر أو بندرته وقلته فلا يعرفها إلا فريق من الناس ، وقد تنتقل من بيئة إلى بيئة ومن بلد إلى بلد .  
وقد تعيش الكلمة دهوراً طويلاً حتى تكون من الممرين ، وقد يطويها البلى وينقطع استعمالها حتى تحسب في عداد الموتي ثم قد تظهر بعد اختفاء أو نيمت من مرقدتها وتنشر بعد موتها .

#### تبدل معاني الألفاظ وتطورها :

ان ما يعتري الكائنات من تبدل وتحول قد يعتري كذلك الألفاظ فتتغير من ناحية شكلها ومبناها ، كأن تتغير حروفها وأصواتها أو صيغتها وبنائها ، أو من ناحية معناها وهذا موضوع بحثنا . فقد تنتقل الكلمة من معنى إلى آخر أو تضيف إلى معناها معنى آخر جديداً دون أن تترك الأول فتتعدد بذلك المعاني التي تدل عليها وتستعمل في أي واحد منها على حسب لأحوال والمقامات . والغالب أن يحصل هذا التبدل على مر الأيام وتقلبات المصور ويسمى في هذه الحال تطوراً لانه انتقال بالكلمة من دور إلى طور .

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة : ان كلمة طعم كانت تستعمل في العصر الجاهلي للضرب بالرمح ، ثم استعملت بعد الإسلام في علم الحديث والرواية فيقال فلان مطعون في روايته ، ثم استعملت في العصر الحديث بمعنى قضائي خاص كالظمن في الدعاوى والانتخابات ، وبقيت هذه المعاني كلها ملازمة للكلمة ويبين أحدها سياق الكلام . ومثلها كلمة السوك فهي اصطلاح عند الصوفية منذ العصر المباني ، واصطلاح حديث في علم النفس واصطلاح مدرسي يفيد الدلالة على أخلاق التلميذ . وكلمة المؤمن معناها الأول المصدق ومنه قوله تعالى حكاية عن أبناء يعقوب « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ثم استعملت بمعنى ديني خاص هو الايمان بالله خاصة أو هو الايمان بالله وبمحمد ( ص ) رسوله .

ان هذه المعاني التي تتوالى على الكلمة الواحدة قد ينسخ الثاني منها الأول والتالي السابق للباس بمعنى الحرب <sup>(١)</sup> والمسافة وأصلها السوف بمعنى الشم والجمع بمعنى القصد . ويندر أن تستعمل هذه الألفاظ بغير معانيها الجديدة التي هي السدة والبعد والحج الشرعي . ولكن الحالة الغالبة أن يضاف المعنى الجديد إلى القديم فتجتمع في الكلمة الواحدة معانٍ كثيرة ؛ وتمدها ناشئاً إما عن

---

(١) وهو المعنى المقصود في قوله تعالى « وحين البأس » .



اختلاف الزمن الذي استعملت فيه أو اختلاف بيئة القائل أو طبقته أو مهنته ،  
ولذلك كان من الضروري ، لتحديد معنى الكلمة ، معرفة العصر أي تاريخ  
النص والبيئة التي ينتمي إليها . فكلمة منظر في الجاهلية وصدر الإسلام تفيد  
معنى الحديث والكلام وفي العصر العباسي وخاصة لدى علماء الكلام والفلسفة  
تفيد معنى القياس العقلي المقبوس من اليونان ولفظ الترجمة استعمل بمعنى  
العنوان ومنها قولهم فقه البخاري في تراجمه أي في عناوين أبواب كتابه في  
الحديث ؛ واستعملت بمعنى تاريخ الرجال وأحوالهم ، ومن ذلك كتب  
التراجم ؛ واستعملت بمعنى النقل من لغة إلى لغة ومنه الترجمان . والزميل  
كان معناها الرديف على البعير أو الذي يعمل مع صاحبه على البعير ، ثم غدت  
تفيد في العصر الحاضر الرفيق في العمل أو المهنة وكان المعنى الخاص تُسي  
وان كان المعنى الجديد يشمله لأنه اعم .

وهذه المعاني المجتمعة في الكلمة الواحدة يتفرع بعضها من بعض وتتصل  
بالمعنى الأصلي للكلمة بنوع من الصلة سنوضحها من بعد . فمنها المعنى الاستغرافي  
أو الأصلي أو التاريخي وهو أقدم تلك المعاني وأولها اتصالاً بالكلمة واقتراناً  
بها وعنه تتفرع المعاني الأخرى ، وقد يبقى هذا المعنى مستعملاً مع المعاني

الأخرى ، أو يكون منسياً مهيناً وأكثر المعاني الأصلية أو الاشتقاقية في اللغة العربية باقية مستعملة ، بخلاف أكثر اللغات الحية فكثير من معاني مفرداتها الأصلية قد اختفت وراء المعاني الجديدة مثل *aborder* و *arriver* في الفرنسية ومعناها وصل ولامس أو قارب وأصلها مأخوذ من *bord* و *rive* ومعناها الشاطئ ، والساحل أو الحافة و *grève* ومعناها الاضراب وأصل معناها الرمل لان المضربين كانوا يجتمعون عليه و *ville* المدينة كان معناها البيت الريفي ومجموع البيوت الريفية *village* أي القرية . ومعنى الكلمة الحاضر قد يكون مختلفاً عن معناها الاشتقائي وقد يكون متفقاً معه وقد تعدد معاني الكلمة خلال المصور المتعاقبة فلا تفسر الكلمة الواردة في نص من النصوص إلا بالمعنى الشائع في العصر الذي قيل فيه وإلا نشأ عن ذلك خطأ سببه اختلاف الزمن وتباين الاستعمال كأن تفسر كلمة *مكروم* في نص من القرن الأول للهجرة ، إذ كانت تستعمل بمعنى الحكم الذي يصدر عن الحكم في قضية ، بمعنى الحكومة المستعمل في العصر الحاضر وهو الهيئة الحاكمة . وكلمة *السيارة* كانت تفيد معنى القافلة وهي تطلق اليوم على المركبة التي تسيرها المحركات الآلية والرهانف كان يقصد به الصوت لا يرى شخص صاحبه واستعمله الصوفية بمعنى الخاطر الوارد الذي يحس به السالك الصوفي حتى

كأنه يسمه ، ومعناها الحالي هو تلك الآلة التي تتخذ لتخاطب الناس على البعد.  
إن المعاني المختلفة التي تحملها الكلمة خلال العصور وفي مختلف البيئات  
تبقى ككامنة فيها يُظهر أحدها الاستعمالُ في نص معين وتبقى المعاني  
الأخرى مخفية .

#### المعاني ومعجم اللفاظ :

إن معاجم اللغة العربية تدون المعاني الأصلية الأولى للكلمة والمعاني  
الأخرى التي طرأت على الكلمة حتى نهاية القرن الأول للهجرة تقريباً  
وتقف عند هذا الحد . وأما المعاني التي طرأت بعد هذا التاريخ  
فليس من معجم يجمعها إلا بعض أنواع منها جمعت في كتب خاصة  
كمصطلحات الفقهاء أو الفلاسفة<sup>(١)</sup> ولكن أكثرها غير مجموع وأمام  
الباحثين عمل كبير في تتبع معاني الألفاظ في النصوص القديمة منذ  
القرن الثاني للهجرة في كتب الأدباء والمؤرخين والفلاسفة والفقهاء  
والصوفية ومختلف الوثائق الأخرى .

---

(١) وذلك ككتاب التعريفات لسيد الشريف الجرجاني وقوانين الدواوين لسعيد بن

محمّد وغيرهما .

ولم يرتب أصحاب المعاجم العربية معاني الألفاظ ترتيباً تاريخياً فقد يبدأ أصحابها بالمعاني الجديدة ثم يذكرون المعاني القديمة الأصلية ؛ ونستقي منها معجماً واحداً هو مقاييس اللغة لآحمد بن فارس من رجال القرن الرابع للهجرة ، فقد تتبع في كل مادة معانيها مبتدئاً بما سماه الأصل في كل منها ويعني به المعنى الأصلي الذي ترد إليه سائر المعاني وتفرع عنه وقد يرد المادة إلى أكثر من أصل إذا لم يستطع أن يردّها إلى أصل واحد ثم يحاول ربط المعاني الفرعية الحادثة بالمعنى الأصلي القديم ويقف كسائر أصحاب المعاجم عند العصر الذي يحتج بأهله وهو أوائل القرن الثاني للهجرة . ذلك هو السبب الذي دعا المستشرق دوزي إلى تأليف معجم باللغة الفرنسية سماه ( تكلمة المعاجم العربية )<sup>(١)</sup> .

أسباب تطور معاني الألفاظ :

لتطور معاني الألفاظ أسباب من نوعين :

أحداهما من داخل اللغة نفسها وذلك كالتبديل الناشئ من كثرة استعمال لفظ في موضع معين وبجوار ألفاظ معينة . فلفظ اتقى بمعنى وقى نفسه استعمل بمعناه الأصلي في مثل قوله تعالى « فأتقوا النار » « واتقوا يوماً »

---

Dozy . Supplément aux dictionnaires arabes (١)

« واتقوا فتنة » « واتقوا الله ربكم » « أفمن يتقى بوجه سوء المذاب » ثم استعمل بمعنى إيجابي اعم من المعنى الأصلي فالتقوى غدت تفيد العمل الصالح والمتقون هم الصالحون دون ملاحظة المعنى الأصلي وإن كان المؤدى واحداً؛ ولفظ امتثال والمجذ لم تكن تفيد أي معنى يذم بسببه الانسان فيقال احتال لطعامه ولم يكن له في الأمر حيلة ثم اكتسب هذا اللفظ بكثرة الاستعمال في مواطن يلجأ فيها الانسان إلى وسائل غير محمودة معنى مذموماً وأصبح لفظ الخيال يفيد الذم القبيح ولم يكن كذلك .

ومن الألفاظ التي انحرفت عن معناها بسبب هذا النوع من التبديل الناشئ عن مجاورتها لألفاظ معينة في سياق معين من الكلام كلمة الفشل ومعناها الفصيح الضعف ولكن كثرة ترداد الناس لقوله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا » واستشهادهم بهذه الآية في مواطن التنازع المؤدى إلى الاخفاق جعلهم يظنون أن معنى الفشل الاخفاق وهو خطأ . ومثلها في هذا الباب امتاز ومعناها انفصل ومنه قوله تعالى « فامتازوا اليوم أيها المجرمون » وإذا كانت تستعمل كثيراً في موطن انفصال شيء عن شيء لمزية به فقد لحقها معنى آخر اضيف إلى الانفصال وهو التميز بالفضل والرجحان وهو معنى وإن لم يكن في أصل اللغة لكنه لا يتأف به بل هو نوع من التخصيص الذي سنذكره .

والنوع الثاني أسباب خارجة عن اللغة كالأسباب الاجتماعية والنفسية .

أسباب اجتماعية :

إن الثورات الاجتماعية ولا سيما الفكرية والتطور الاجتماعي ، بسبب ما تؤدي إليه من تبدل الأشياء التي يراها الانسان أو يستعملها وتبدل المفاهيم ، تؤدي في غالب الأحوال إلى تطور لغوي ، فتموت ألفاظ وتحيى أخرى ، وتبديل معاني بعض الألفاظ ، وهي التي كان لها معنى واستعيرت لمعنى جديد هو نتيجة تلك الثورة أو ذلك التطور الفكري . إن انتشار أديان أو مذاهب اجتماعية جديدة يقترن غالباً بظهور مفردات لغوية جديدة في صياغتها أو في معناها على الأقل للدلالة على المفاهيم الجديدة . فألفاظ الربوبية والنفوس والفسق والصدرة والصوم والزكاة والجهاد والتوبة والكفارة والتبسم والتفوى والدينا والرفعة والجهول والحرام وكثير غيرها ظهرت بمعانيها الجديدة بظهور الاسلام وعرف كل مذهب اجتماعي في عصرنا بألفاظ خاصة به للتعبير عن مفاهيمه الخاصة الجديدة . إن تبدل العادات خلال العصور التاريخية قد يؤدي إلى تغير الشيء المسمى مع بقاء الكلمة الدالة عليه وبذلك يكون مدلول الكلمة نفسه قد تغير ضمناً ولو في شكله . فن ذلك أن من يتزوج من العرب كان يخرج عن بيت أبيه ويبنى لنفسه خباءً مستقلاً ولذلك قالوا بنى زوجته أي بنى بيتاً معها وكان المهر المستعمل إبلاً أو غنماً تساق فقالوا السباغ بمعنى المهر

وساق لها وكانوا إذا باعوا شيئاً صفقوا البائع عليه يذ المشتري فسموا البيع صفقة  
وبقي اللفظ وذهبت عادة الصفق . واستعمل الصحابة ثم مؤلفو السيرة كلمة  
غزوة فقالوا غزوة بدر وغزوة أحد مع أن هذا اللفظ الجاهلي استعمل لمعنى  
للحرب في الاسلام يختلف عنه في الجاهلية .

وكل ما ذكرناه عن الأسباب الاجتماعية لا تنتج دوماً نتائجها دون  
تخلف فكثيراً ما تبدل المفاهيم والأشياء وتبقى الأسماء كما هي ولا يشترط  
لوجود المفهوم الجديد وجود لفظ واحد يقابله ولذلك كان لا بد لهذه الأسباب  
الاجتماعية لتؤدي نتائجها اللغوية في تبديل معاني الألفاظ أو إحداث ألفاظ  
جديدة من أسباب واستعدادات نفسية تظاهرها وتعينها ، لا بد من رغبة قوية  
أو هامة في النفس ملحة ، أو حاجة حقيقية لا يحيد عنها كوجود شيء حسي  
جديد ليس في اللغة اسم سابق يدل عليه .

#### اسباب نفسية :

إن الآداب الاجتماعية والحياء والاشتمزاز والتشاؤم والتفاؤل كلها  
اسباب نفسية تدعو إلى تجنب كثير من الألفاظ والمدول عنها إلى غيرها من  
الألفاظ التي يكنى بها عن الأشياء التي يستحيى من ذكرها أو يخاف أو  
يتشاؤم من التلفظ بأسمائها وذلك كبعض أعضاء الانسان وأفعاله وبعض

الأمراض والعايات وبعض أنواع الحيوان . فقد استعمل العرب البصر الأعمى  
والسليم للديغ والمفازة للصحراء واستعمل الناس من بعد الكفيف أي مكفوف  
البصر . وتسمية البصار والبصرى للجهة واليد في رأينا من هذا القبيل أي  
للتفاؤل وأما اليمين واليمنى فتسميتها على الأصل لأنهم يتفاهلون منها .

ومن أسباب تبديل معاني الألفاظ تأثير اللغات الأجنبية بأشراك الكلمة  
للغربية معنى الكلمة الأجنبية المقابلة لها أو إعطائها معناها كاستعمال الأطباء  
اليوم كلمة نرغل بمعنى العملية الجراحية واستعمالنا كلمة الوسط للبيئة والمبط  
كذلك والتعليل للشرح والتفسير والمرسة بمعنى المذهب والرور بمعنى النوبة  
فهي ترجمة حرفية للألفاظ الفرنسية ., role, école, analyse, ambiance, milieu,  
intervention ومثلها بعض الألفاظ التي نقلت عن اليونانية ، ككلمة منطق  
فهي ترجمة حرفية للكلمة اليونانية .

تبديل الألفاظ الدالة على المعنى :

إن لهذه المسألة التي نبجتها وهي تبدل معاني الألفاظ وجهين وعلاء اللغة  
في عصرنا يبحثون غالباً في أحدهما وهو تبديل اللفظ لمعناه على اعتبار أن اللفظ  
ثابت ومعناه هو المتبدل ، ولكن للمسألة وجهاً آخر يبحثه بعض اللغويين أيضاً  
وهو بقاء المعنى ثابتاً وتبديل اللفظ الدال عليه وتكاد تكون الأسباب السابقة



لتبديل المعاني هي نفسها أسباب تبديل الألفاظ أيضاً . فالأسباب التاريخية والاجتماعية والنفسية تؤثر في تبديل الألفاظ الدالة على المعاني كما أثرت في تبديل معاني الألفاظ . وقد تقدم بعض الأمثلة في بحثنا فقد استعمل العرب بعد الاسلام لفظ الجهاد وهو اللفظ الذي جاء به القرآن بدلاً من الحرب والغزو والاغارة فتغير اللفظ الدال على الحرب لتغير مفهومها في الأذهان . وكذلك ألفاظ الفتح والفتح واستعمل الأوروبيون في العصر الحديث الاحتلال والاستعمار والتحرير بحسب وجهات النظر المختلفة ومن ذلك قول النبي العربي الكريم ( ص ) لا يقل أحدكم عبري وامي وليقل فتاي وفتاني ، وقالوا عن الزوجة امرأة الرجل وزوجته وعلبته ومرمه ورفيقته على اختلاف المصور منذ الجاهلية حتى هذا العصر .

ومن أسباب هذا التبديل ما يصيب الألفاظ من ابتزال وبلى حتى يشعر المتكلم بالحاجة إلى تجديد اللفظ وتقويته وتبديله . ويكون هذا في المعاني المقترنة بالمعظيم والمحبة أو التحقير والكراهة أو الاستعياذ أو الاشمزاز وذلك كالألفاظ المتعلقة بالمناسبات أو الحياة الجنسية أو قضاء الحاجات الخاصة أو المرض أو الموت وأشياء ذلك .

قوانين تبدل معاني اللفاظ وتطورها :

إن فقه اللغة يحاول أن يستنتج علة الظواهر اللغوية وأن يعرف الطريق التي تسير فيها والسنة التي تجري عليها ، لذلك بحث السابقون من علماء العربية عن الطريقة العامة التي تسير عليها الألفاظ حين تغير معانيها ، فعقد السيوطي في كتابه المزهري فصلاً للفظ العام الذي خص في الاستعمال وفصلاً آخر للخاص الذي استعمل عاماً واستمر العلماء المحدثون في فقه اللغة في سائر اللغات الحديثة في بحثهم عن قوانين تبدل معاني الألفاظ . وقد تبين أن الألفاظ تسلك في تبديل معانيها إحدى الطرائق الآتية وهي مطردة في جميع اللغات وليست خاصة بواحدة منها :

#### ١ - التعميم :

ويكون ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل كلفظ «الورد» والورد وأصله إتيان الماء ثم استعمل لإتيان كل شيء ، والنجمة لطلب الغيث أو الكلاء ثم استعملت لطلب أي شيء ، والرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث ومنه المثل «الرائد لا يكذب أهله» ثم عمم لكل من يتقدم القوم لطلب شيء وفي حديث وفد عبد القيس : «إنا قوم رادة أي نرود الخير

والدين لأهلنا<sup>(١)</sup> . ومثل ورد صدر وكذلك الغرض والهرف ويشبه هذه الأمثلة في اللغة الفرنسية arriver الوصول وأصلها الورد و aborder الملاسة والمقاربة وأصلها مقاربة الشاطيء و panier وأصل معناها سلة الخبز وهي مشتقة من pain وهو الخبز ثم غدا معناها السلة مطلقاً .

## ٢ - التخصيص :

وذلك بقصر اللفظ العام على بعض أفراده وتضييق شموله ومثال ذلك لفظ الحج وأصله القصد مطلقاً ثم خص بقصد البيت الحرام وأرى أنه عمم بعد التخصيص فبدأ يطلق على زيارة الامكنة المقدسة في كل دين . ومن ذلك كلمة الصمامة وهي تعني الصحبة مطلقاً وقد خصت بأصحاب الرسول ﷺ ومنه الكفر ومعناه الستر والانكار وخص بانكار الدين والنوبة الرجوع وخصت بالرجوع عن الذنب ومنها الماتية والسائمة والقافز والوضع والحمل والفضل وهو الزيادة وخص بحصال الخير والسائل والدينا والاضرة . والغفوة في رأينا من هذا القبيل لأنها تأتي عقب الجرم وخصت بالجزاء يناله المجرم أو المذنب والورد وهو نور كل شجرة ثم غلب على نوع خاص معروف .

وقد يقع التخصيص بنتيجة الحذف كحذف المضاف إليه أو الصفة

(١) لسان العرب مادة ورد .

ومثاله لفظ الرنا والأصل الحياة الدنيا والجامعة والأصل المدرسة الجامعة والعملية أي الجراحية والكفيف أي مكفوف البصر والمهروم أي من المال . وقد يقع التخصيص بقرينة استعمال اللفظ في سياق معين من الكلام وبحسب بيئة المتكلم أو المخاطب أو مناسبة الكلام كلفظ موسم بالنسبة للزراع أو الرعاة أو الصناع أو الباعة .

٣ - الانتقال بسبب المشابهة أو المجاورة :

ويكون بانتقال اللفظ من معناه إلى معنى مشابه له أو قريب منه أو بينه وبينه مناسبة وقد رأينا كيف أن لفظ مبرز وتميز واماز وأصل معناها الفصل والفرز انتقلت إلى معنى قريب وهو الانفصال لمزية وفضل في كلام المتأخرين وأن لفظ الجبذ والاصتبال انتقل من معنى السعي للخروج من ضيق إلى معنى فيه مكر وخبت وفسقت الرطبة خرجت من قشرها انتقلت إلى معنى الخروج عن الخلق القويم والطريق المستقيم ، والبربر في الأصل مسافة معروفة ثم استعمل للرسول الذي يقطع المسافات من البربر لا يصل الكتب ثم للدابة التي تحمله ثم استعمل للدائرة التي تتولى إرسال الكتب والرسائل .

ويحصل انتقال اللفظ من معنى إلى آخر بطرق أبرزها الاستعارة أي المجاز الذي علاقته التشبيه والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته غير التشبيه

كالسببية والحالية والمحلية والجزئية والكلية . ولا بد لنا من القول إن استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادئ الأمر عن طريق المجاز ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالاته على مدلوله الجديد دلالة حقيقية لا مجازية . إن كلمة بحث تفيد في الأصل تحريك اليد في التراب للتفتيش عن شيء واقبسى تدل على طلب القبس من النار والعقل تدل على الربط والروعة والاروع والرائع مأخوذة من الروع وهو الفرع والباب من الكتاب مأخوذ من الباب الذي ندخل منه والمركبة مشتقة من عرك الشيء والتنقيب تدل على تقويم اعوجاج الرمح . وجميع هذه الألفاظ تدل على معانيها الأخرى المتعارف عليها دلالة مباشرة لا عن طريق المجاز بل إن دلالاتها عليها أقرب إلى الذهن من دلالاتها الأصلية لشيوع المعنى الجديد وانتشاره وخاصة بعد طول المهد بهذا الاستعمال . وفصل ما بين الحقيقة والمجاز في دلالة مثل هذه الألفاظ هو شعور الناس بكون إطلاق اللفظ على مدلوله هو تسمية مباشرة أو نوع من التشبيه أو المجاز لمناسبة بينهما .

والاتجاه الظاهر في تطور معاني الألفاظ بكون من المعاني المحسوسة إلى المعاني المجردة كالبعث والعقل والوقاس والوراك والوعوي والشرف والروح والحمة

وانفضل وكلها تدل في الأصل على معان حسية ومدلولات مادية . وأما النقل من الحسي إلى الحسي فيقع كثيراً كألسان المشط ورأس الجبل ، وكوصفنا للصوت بالنعومة والخشونة والحدة والوضوح مع أن الوضوح للمرئيات لا للمسموعات والصفات الأخرى للموسات .

تلك هي نظرة موجزة في حياة الألفاظ ومعانيها وتطورها مما ينطبق على جميع اللغات مع شواهد عليها من لغتنا العربية وهي تفتح أمامنا آفاقاً للبحث جديدة فإن أكثر عناية أهل اللغة عندنا انصرفت إلى مادة الكلمة واشتقاقها وأوزانها وإن هذه النظرات الجديدة في دلالة الألفاظ ومعانيها المستقاة من مباحث فلسفية ونفسية واجتماعية ولنوعية جديدة بأن توصلنا إذ نتزود بها إلى نتائج ذات قيمة كبيرة في موضوع لغتنا .

إن اللغة العربية بحاجة شديدة إلى جمع مفرداتها ومعاني مفرداتها ، في العصور التي تلت عصور الاحتجاج اللغوي ، وتتبع مراحلها وربطها بالمراحل التي سبقها بعد تصنيفها ودراستها . فإن اللغة في الحقيقة سارت حين وقف النحاة واللغويون وبقيت حية متحركة حين جمدوا وهذه الدراسة الشاملة تعطينا فكرة صحيحة عن اللغة العربية وخصائصها ومزاياها وخط تطورها .

وإن مباحث الأصوات اللغوية والاشتقاق والأبنية ومعاني الألفاظ التي بحثناها في هذا الكتاب جديرة بأن تنير لنا السبيل لمعرفة خصائص اللغة العربية الأصيلة فتمكن حينئذ من السير بها في طريق الحياة والتقدم مع الحفاظ على أصالتها وعبقريتها الحافظة إلى حد كبير لمبقرية العرب وأصالتهم الضامنة لاستمرارهم والمقترنة كذلك بأداء رسالتهم الانسانية صافية نقية « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وهذا هو موضوع كتابنا الثاني ( خصائص العربية ) الذي الحقناه بهذا الكتاب .

---



---

# خصائص العربية

نقطة اللغة م - ١٥

---

---

## مشكلتنا اللغوية

إن كبرى المشكلات المثارة في العالم العربي والتي تعود إليها سائر المشكلات في ميدان اللغة هي مشكلة نهوض اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفن أو الأدب بأغراضه وآفاقه الحديثة أو في ميدان الحياة العملية بما فيها من مستحدثات لا ينقطع سيلها. وإن البحث في هذه المشكلة وتقديم الأجوبة السديدة والحلول الصحيحة فيها وفيما يتفرع عنها يقتضي العودة إلى جذور هذه القضية. ولا بد من بناء ذلك على معرفة عميقة شاملة للغة العربية وخصائصها الأصيلة لا على معرفة مسائل متشورة ومعارف متفرقة في النحو والصرف واللغة ولا على مناقشة جزئيات القضية وعرض أمثلة محدودة في هذا الموضوع. فإن تقديم صورة كاملة ومخطط شامل للغة العربية هو الخطوة الأولى نحو الحكم الصحيح في أساس المشكلة وجوهر القضية. وقد حاولت أن أقدم هذه الصورة أو أهم أجزائها في كتاب « فقه اللغة » ولكن تلك الصورة التي حاولت رسمها وتقديمها في كتابي أخفى بعض معالمها أحياناً وفرق بعض التفريق

أجزاءها عرض بعض التفصيلات اللغوية والنظرية المختلفة وتبدت لي من جهة أخرى أثناء بحثي وتأليني للكتاب صورة جديدة واتضحت لي معالم وآفاق لم تكن لتبدو للواقف في جزئيات المسائل أو في تضارب النظريات ووجدت صورة واضحة كل الوضوح لتلك الصلة المتينة العميقة بين خصائص العرب العقلية والنفسية وتكوينهم وتركيب مجتمعهم واتصال تاريخهم من جهة وخصائص اللغة العربية في تكوينها وتركيب ألفاظها ومبانيها ومعانيها من جهة أخرى . كما أنني وجدت من وراء ذلك تقابلاً عجيباً وتشابهاً واضحاً بين اللغة العربية والطبيعة ، ولم يكن سبيلي في كل ذلك رأياً أرتأيه فالزمت به اللغة وأخضعتها له وإنما انكشف لي ذلك انكشافاً تدريجياً في أثناء سيرتي في البحث اللغوي خلال سنين طويلة . وهما إني أقدم بين يدي أهل العلم والاختصاص هذه النظرة الجامعة والصورة الشاملة للغة العربية متصلة بجذورها وأرضها وحياة أهلها بحركاتها النابضة وأجهزتها الحية ومعاملها وخطوطها الكبرى مقتصرأ في هذا الجزء من المحاضرات على ( الكلمة العربية ) أولاً دون ( الجملة والكلام المركب ) راجياً أن تتاح لي قريباً الفرصة لاتمام هذه الصورة بالجزء المتعلق بالكلام المركب منتظراً ما يبدو للفكرين من آراء تمدل هذه الصورة تصحيحاً أو تثبتاً وتزيدها كشفاً ووضوحاً .

وأعتقد أن هذا هو أول الطريق لمعرفة لغتنا معرفة عميقة والانطلاق  
بعد ذلك إلى حل المشكلات الكبيرة منها والصغيرة وأنه كذلك السبيل  
لتكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا السياسي والفكري بل هو الأساس  
لتكوين تفكيرنا تكويناً صحيحاً سليماً والأخذ بأيدينا نحو الوحدة اللغوية  
والتحرر اللغوي والقضاء على التجزئة والشموعية أو النفوذ الأجنبي في ميدان  
اللغة والفكر .

## الوعي اللغوي

بين الجمود والانحراف والأصالة والحياة

إن الأمة العربية أخذت في النهوض في جميع الميادين بعد كبوة واستيقظت بعد إغفاء وطفقت تتحرر من قيود كُبلت بها فرانت على عقولها ونفوسها واتجهت اليوم وهي في أواخر مرحلة التحرر نحو البناء ولقيت في طريق نهضتها وتحررها مشكلات في جميع نواحي حياتها المادية والمعنوية لا بد أن تحلها فكانت تلامم بين الموروث من حياتها والجديد من ظروفها ملائمة لا تتم دوماً كما يجب أن تتم فتقع بين إفراط وتفریط وغلو وتقصير ومحافظة متزمنة وانطلاق فوضوي ثم ترد ما بين هذه السبل الجائرة إلى الطريق القصد والجادة السوية فتصحح المسير وتقيم العوج وتسدد الاتجاه نحو الهدف الأمثل والنهج الأقوم وذلك كلما تم الوعي الذاتي وتكامل واستنار .

إن ما حدث في سائر ميادين الحياة حدث مثله في ميدان اللغة فقد سارت النهضة اللغوية مع سائر نواحي النهضة في خطوط متوازية ومراحل متشابهة وصادفت في طريقها كذلك المشكلات نفسها . ونحن في موضوع

اللغة اليوم كذلك في أعقاب مرحلة التحرر وفي بداية مرحلة البناء الجديد وهي من أدق المراحل وأحوجها إلى اكتمال الوعي ونضجه .

إننا اليوم نستعيد خصائصنا ونحرر من بقايا التأثير الأجنبي الذي كان هدفه أن يطمس على معالم حياتنا ويزيل خصائصنا الأصلية إننا في مرحلة الوعي الذاتي أو إثبات الذات وتحقيقها . وإن ما خلفه الاستعمار في أنفسنا وعقولنا من نزعات واتجاهات ومن قيم ومثل تتعارض قليلاً أو كثيراً مع خصائصنا وصفاتنا الأصلية جعل المعركة داخلية في أنفسنا وذواتنا وإذا كانت المعارك الخارجية الظاهرة في الميدان السياسي والعسكري بيننا وبين الاستعمار انتبت أو قاربت نهايتها بظفرنا وانتصارنا عليه فإن المعركة الداخلية لا تزال وستبقى إلى أمد من الزمن مستمرة قائمة وهي المعركة التي سميتها « معركة تحقيق الذات » .

إننا نريد أن ندرس الجانب اللغوي من هذه النهضة العربية وذلك لما للغة من قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة فإنها الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم . إن القوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار

---

(١) كتاب لنا صدر باسم « الأمة العربية في معركة تحقيق الذات » .

والصور الكلامية التي تصاغ فيها المشاعر والمواطف لا تنفصل مطلقاً عن مضمونها الفكري والعاظمي أضف إلى ذلك أن الأمة العربية أمة بيان والعمل فيها مقترن دوماً بالتعبير والقول فللغة في حياتها شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم . إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون وعن طريقها وبوساطتها اتصلت الأجيال العربية جيلاً بعد جيل في عصور طويلة وهي التي حملت الاسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات وبها توحد العرب قديماً وبها يتوحدون اليوم ويؤلفون في هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على تنائي الديار واختلاف الأقطار وتعدد الدول . واللغة العربية هي أداة الاتصال ونقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض أخذت عن العرب جزءاً كبيراً من ثقافتهم واشتركت معهم قبل أن تكون ( الأونيسكو ) والمؤسسات الدولية في الكثير من مفاهيمهم وأفكارهم ومثلهم وجعلت الكتاب العربي المبين ركناً أساسياً من ثقافتها وعنصراً جوهرياً في تربيتها الفكرية والخلقية .

إن الجانب اللغوي جانب أساسي من جوانب حياتنا واللغة مقوم من أم مقومات حياتنا وكياننا وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا والرابط الموحد بيننا



والمكون لبنية تفكيرنا والصلة بين أجيالنا والصلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم . تلك هي الأسباب التي تجعلنا نغني باللغة عناية كبرى ونحلبها في الصميم من قضايانا الحيوية .

مراحل الوعي اللغوي :

١ - إننا في ميدان اللغة وكذلك في سائر الميادين في مرحلة التحرر من آثار عصور الانحطاط من جهة ومن التقليد الأجنبي والمجمة الجديدة التي أورتنا إياها عصر الاستعمار والنفوذ الأجنبي من جهة أخرى .

لقد تردت اللغة العربية إلى ما تردت إليه الحياة في سائر مجالاتها الأخرى في عصور الانحطاط التي استمرت عدة قرون حتى إن هذا الترددي والضعف لم يكن مقصوراً على العامة من الناس بل شمل العلماء والفقهاء حتى كان يعجز الكثير منهم عن كتابة رسالة خالية من المجمة بريئة من الركاكة أو العامية سليمة من الخطأ وكانت دروس الفقه والدين بل دروس النحو والبلاغة تلقى بلغة مشوبة بالعامية منحطة عن الفصحى . أما أساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا يبيدونه كل البعد ، وكل ما تصبو إليه النفوس وترتفع إليه المطامع أن يقلد الكاتب أسلوب الحريري في مقاماته أو القاضي الفاضل في رسائله ومكاتباته . لقد اختفت الفروق اللغوية الدقيقة وأصبحت الـ

المقارنة مترادفة وألفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة  
والعبارات المؤلفة والجل المترادفة وليس على من يريد أن يكتب في موضوع  
إلا أن يأخذها بنصها ويستعير عباراتها وينقل جملها .

لم يبق الترادف في ذلك العصر مزية من مزايا العربية بل مرضاً من  
أمراضها الوافدة المنتشرة وغلب على الناس استعمال الألفاظ في معانيها العامة  
فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الرفق التي عرفت بها العربية في  
عصورها السالفة وأدى ذلك إلى تراخى معاني الألفاظ حين فقدت الدقة  
وانصفت بالمعموم وفقد الفكر العربي الوضوح حين فقدته اللغة نفسها وانصفت  
بالمفروض وانفصلت الألفاظ عن معانيها في الحياة وأصبحت عالماً مستقلاً  
يميش الناس في جوه بدلاً من أن يمشوا في الحياة ومعانيها . وبالجملة إن  
الموضوع السياسي والنصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة في  
الأدب كان لها جميعاً أثرها في اللغة وانعكاس أشعتها عليها فكان للغة في تلك  
العصور صفات هي الوجه اللغوي لهذه الصفات الاجتماعية الأخرى .

٢ - وقد انتهت عصور الانحطاط إلى الالتقاء أو الاصطدام بالحضارة  
الأوروبية وافتتحت أمام العرب وأمم الشرق آفاق جديدة وظهرت لآعينهم

ألوان من الحياة جديدة وكانت نتيجة ذلك ضروب من التفاعل وأنواع من  
المواقف والمشكلات والأزمات ومن جعلتها مشكلة اللغة .

فقد كانت اللغة تلك الأداة الموروثة التي كانت تؤدي أغراض عصور  
الأنحطاط في آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد في تلك العصور من  
جمود وضيق في الأفق وحملت الحياة الحديثة في أوربا إلى العرب آلات  
جديدة وأفكاراً جديدة ومشاعر جديدة ، حملت كل ما حملته حضارتها من  
ضروب النشاط الإنساني في الاقتصاد والسياسة، والحياة الاجتماعية من ألوان  
وصور جديدة فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور  
الأنحطاط وعلى حالتها التي آلت إليها عن القيام بمبء التعبير عن معاني  
هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية . لقد كانت الملاءمة بين الأمرين عسيرة  
صعبة وكان ينوء بجمهرة المتكلمين باللغة العربية حمل هذا العبء والاضطلاع  
به وكانت الخاصة منهم تحاول ذلك باذلة جهدها للقيام بهذه المهمة وقعد العجز  
ببعضهم عن ذلك فجنحوا إلى العامية تارة وإلى اللغات الأجنبية تارة أخرى  
ليستعينوا بهذه ويستعيروا من تلك ما يعبرون به عن مقاصد الحياة الجديدة  
وأغراضها وظهرت على ذلك أسباب خارجة عن ميدان اللغة من سياسية وغير  
سياسية. فكانت في أوائل النهضة العربية تلك النزعات والصيحات الداعية

العامية تارة وإلى التعريب والإكثار من الألفاظ الأجنبية من جهة أخرى وقوبلت هذه النزعات أو النزعات بالدعوة إلى الفصحى واستخراج مخبئها والعودة إلى المنسي من قديمها وإحياء المندثر من ألفاظها واللجوء إلى الاشتقاق منها ولكنها دعوة لم تكن الوسائل قد تهيأت لها والأسباب قد تسمرت فكانت في غالب أحوالها دعوة نظرية سلبية أما الاستجابة لمطالب الحياة فكان بطيئاً. ولكن هذا الصراع اللغوي وهو أحد ألوان الصراع في تاريخ حياتنا في العصر الحديث أثار المهتم إلى البحث والتنقيب وأثار النقاش بين أصحاب النزعة المحافظة في تشددهم وأصحاب النزعات الأخرى التي تميل إلى التساهل في شأن العامية والدخيل. وهذا الصراع بين الفريقين هو الذي ولد النزعة المعتدلة التي سادت فيما بعد فأخذت من الفريق الأول ضرورة الحفاظ على الأصالة في لغتنا ومن الفريق الثاني ضرورة الاستجابة لمطالب الحياة والمرونة في معالجة المشكلة اللغوية وأدى بها ذلك إلى إعادة الهيوية إلى كيان اللغة عن طريق الاشتقاق والتوليد تبعاً لسنن العربية نفسها التي كان الناس في المصور المنصرمة وقفوا دونها ولم يعملوا بها وجروا في اللغة كما جروا في الفقه وفي سائر الميادين الأخرى على طريقة التقليد والاتباع دون الاجتهاد والابداع فكانت هذه الدعوة الجديدة دعوة إلى الاجتهاد في اللغة مع المحافظة على

أصول العربية وخصائصها وسننها وكانت الطريق الصحيح للحفاظ على الذات وتكوين المناعة دون الدوبان في الذات الغربية الأجنبية والانصهار فيها والتبعية لها والخضوع المطلق لنفوذها اللغوي والفكري. ومما أعان على تقوية هذه النزعة القويمة إحياء التراث العربي القديم واقتراها بمرحلة الشعور الذاتي من الناحية السياسية والقومية عند أبناء الأمة العربية. وبعد أن كان الناس يتأدبون بمقامات الحريري وأمثالها أخذوا يقبلون على دواوين كبار شعراء العربية من شعراء الجاهلية وأصحاب الملقات إلى شعراء العصر العباسي كالبحثري وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي وطفقوا ينصرفون عن النثر المتكلف المسجع إلى النثر البليغ فعادوا إلى عصور ابن المقفع والجاحظ وأضرابها ممن كانوا يجدون فيهم المثل الأعلى الجديد للنثر العربي الخالي من قيود الصنعة والزينة الفارغة والمبالغات والتهويلات والمجازات الغربية والأخيلة المتكلفة وظهرت طبقة جديدة من الكتاب تنسج على هذا المنوال مثل ولي الدين يكن ورفيق العظم وعبد الرحمن الكواكبي والمويلحي ومحمد عبده.

أما النزعات المنحرفة في اللغة فقد عاشت حقبة من الزمن وكان لها مظاهر متعددة ودوافع كذلك مختلفة تغديها إلى حين تغذية طبيعية ولكنها عارضة مؤقتة أو تغذية مصطنعة غير طبيعية.

لقد كان من مظاهر هذه النزعات المنحرفة الدعوة إلى العامية أي إلى تلك اللهجة المستعملة في كل قطر عربي والتي هي نتيجة تردي العربية فيها أو تطورها مضافاً إليها عوامل أخرى محلية كتأثير اللغات السابقة التي حلت العربية محلها أو اللغات الأعجمية المجاورة أو التي انتشرت بسبب الاحتلال الأجنبي وتأثيره اللغوي والثقافي . والدعوة إلى العامية هي بطبيعة الحال دعوة إلى الإقليمية فليس ثمة لغة عامية واحدة بل لهجات أو لغات ، فعامية مصر والشام والعراق والمغرب والجزيرة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً قليلاً أو كثيراً . وقبول العامية من حيث المبدأ قبول لعدد اللغات في الأقطار العربية لأن العامية إذا قبلت فستنطلق هذه اللهجات العامية في طرق مختلفة في تطورها وتنتهي إلى ما انتهت إليه اللاتينية في فرنسا وإيطاليا وأسبانيا . ولهذا السبب بالذات كانت دعاة العامية في كل بلد هم دعاة الإقليمية من الوجهة السياسية الذين يريدون استبعاد الوحدة العربية ، هم دعاة الإقليمية السورية أو الإقليمية الفرعونية وأمثالهم .

ومن أجل هذا أيضاً لقيت هذه الدعوة ترحيباً من الأجانب والمستشرقين فنشطوا في بحث اللهجات العامية وتدوينها واستخراج قواعدها وكتابة البحوث والرسائل عنها والدعوة إلى الاهتمام بها وإحلالها محل التكرمة

والتقديم والتخصيص في درسها . لقد كان وراء هذه الدعوات دوافع لا تعود إلى اللغة نفسها بل إلى دوافع من وراء ذلك ومقاصد أبعد منها تتخذ من الأسباب اللغوية حجة تستر وراءها ودرية تختفي خلفها<sup>(١)</sup> .

ومن مظاهر هذه النزعات المنحرفة الدعوة إلى اغراق العربية في سيل من اللفاظ الغريبة دون قيد أو شرط سواء أكاننا نستطيع أن نجد لها نفعاً يقابلها جديداً أو قديماً أم لم نستطع ودون أن نراعي أوزان العربية وحروفها وأصواتها . إن هذه الدعوة تشبه الدعوة إلى فتح الأبواب مشرعة أمام البضاعة الأجنبية دون قيد بحجة رفع مستوى الحياة الاجتماعية وهي دعوة تخفي وراءها طبعاً قتل البضاعة الوطنية والقضاء على الاقتصاد القومي . إن الشعوبية بذاتها تريد إذابة العرب وأخلاقهم ومكارمهم وعقائدهم القويمة في شعوب أخرى وعقائد غريبة عنهم كذلك الذي حدث في العصر العباسي من نشر المزدكية أو الالحاد أو الإباحية وما إلى ذلك ، إنها شعوية جديدة في الميدان اللغوي .

إن الدافع إلى مثل هذه الدعوة دافع شعوبي أحياناً تكمن وراءه الرغبة

---

(١) اقرأ كلمة الفصل الراجعة التي كتبها محمود تيمور في الفصل الأخير من كتابه مشكلات

في القضاء على خصائص العرب اللغوية وتراتيم اللغوي الذي يتميزون به ويمتزون ، وقد يكون الدافع عند بعضهم أحياناً حب الظهور بمظهر التقدمية والتبرؤ من الجود والرجعية ولذلك قد نستغرب إذا لم ننتبه إلى هذا الدافع حين نجد هذه النزعة عند بعض المنتسبين إلى الثقافة القديمة ، إنه الشعور بالنقص ومحاولة تعويضه بالنقيض ، أولئك هم النفاجون والمدفوعون بدافع التنفج Snobisme .

ومن مظاهر هذه النزعة الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية وهي دعوة تنطوي على إغفال مقصود أو جهل لخصائص اللغة العربية في تكوين الكلمة وبنائها ونبوها عن الطريقة اللاتينية في رسم الكلمات وكتابتها .

وسنمود إلى بيان ذلك في حينه ، هذا عدا ما في ذلك من فصل العرب عن تراثهم وتاريخهم وما في الكتابة العربية من اختزال وسرعة . وقد ارتفع النداء بهذه الدعوة حين كانت جمهرة المتعلمين من أبناء العربية ضمني الملكة في اللغة يجدون صعوبة كبيرة في ضبط الألفاظ وفي معرفة حركاتها الإعرابية فالوا بدفع الرغبة في تقليل الجهد وتذليل الصعوبة إلى الطريق السهل ولو كان طويلاً أو منحرفاً ، فالشعور بالمجزأ أو الضعف هو الدافع



لأصحاب هذه الدعوة التي لقيت كذلك عند الأجانب والمستشرقين قبولاً وترحيباً.

وإن استشمار بعض الناس الضعف والمجزع عن تملك ناصية العربية حملهم كذلك على القول باسقاط الاعراب في الكتابة والنطق ليكون الناس متساوين في أمر اللغة ولكن على طريقة التسوية بالأدنى وكأنهم جهلوا أو تجاهلوا أن الإعراب في العربية ليس زخرفاً يزين به الكلام وإنما هو عنصر أساسي في بنائه إذا حذف منه سقط جزء من المعنى وضاع كثير من الفروق بين تعابير يختلف معناها باختلاف الإعراب وحده. ولا بد حين يحذف الإعراب من الاستعاضة عنه بما يؤدي وظيفته في أصل الكلام وبنائه، وفي ذلك تغيير لبناء اللغة وتركيبها.

إن هذه النزعة المنحرفة التي تحدثنا عن مظاهرها وبواعثها الظاهرة والخفية الداخلية والخارجية قد خفت صوتها منذ حين من الزمن وانكشفت وتقلصت حتى نستطيع أن نقول إنها ماتت أو كادت وإن ضعفها كان يزداد كلما اقترب العرب من الاستقلال والتحرر. إن التحرر اللغوي من العجمة والشعوية كان مرافقاً للتحرر السياسي وسأثر معه في نسق واحد.

إن ما أدى إليه الوعي اللغوي من نتائج في هذه المرحلة التي قطعها منذ بدء النهضة حتى يومنا هذا نستطيع أن نوجزه بما يلي :

كان صراع<sup>١</sup> بين النزعة المحافظة والنزعة المتجددة المتحررة اتصفت فيه الأولى بالتشدد والتزمت ولكنها قامت بوظيفة الدفاع عن اللغة الموروثة بمجموعها دون تمييز بين الأصيل الثابت من عناصرها والعارض المتبدل فقامت بذلك على كل حال بوظيفة أساسية في حفظ كيان اللغة وحياتها وقامت النزعة الأخرى بوظيفة المحرض والداعي إلى التطور والتجديد والملاءمة بين اللغة والحياة ولو أنها شابتها شوائب الانحراف ، وأشعرت الناس بالمشكلة اللغوية والحاجة الحقيقية إلى التجديد ولو أن هذه الحاجة استغلت أحياناً لأغراض خارجة عن ميدان اللغة .

لقد انتهى الأمر بهذا الصراع إلى الخروج عن التزمت وضيق النظر وإلى هفوت صوت العجمة والشعوبية ودعواتها وإلى ريب الحياة في اللغة العربية وعودة الملكة العربية بالتدريج إلى أبناء الأمة العربية وشيوعها في طبقات كثيرة .

لقد انتهى الأمر بالوعي اللغوي إلى ما انتهى إليه الوعي الذاتي في سائر ميادين الحياة : تحرر من الأنحطاط ورواسبه ، تحرر من العجمة الجديدة

والشعوية الحديثة ، استعادة للخصائص الأصيلة والصفات الذاتية واستثمار بها ، واتصال بالماضي وتمثل لعناصره الأساسية الخالدة ، بعد إحياء آثاره المهملة المنسية ؛ تقارب بين الفصحى والعامية بارتفاع العامية واقتربها من الفصحى ونزول الفصحى إلى ميادين الحياة واتصالها بها بعد أن اعتزلت كثيراً من ميادين الحياة قروناً طويلة ؛ ثم قدرة على التجديد والتوليد والبناء في ظروف الحياة الجديدة المتبدلة . ذلك هو الوعي اللغوي في مراحلها التي قطعها والتي وصل إليها .

إن هذا الوعي اللغوي لا بد من إنضاجه وتغذيته وتقويته ليشتد ويستحکم ويكمل ، وليكون أوسع أفقاً وأشمل لعدد أكبر من الناس وليكون أرسخ وأعمق في النفوس ولا بد لهذا من أمرين :

أمرهما : فهم خصائص العربية ليكون السير في طريق التجديد والتوليد على أساس صحيح من هذه الخصائص وعلى السنن القويم لهذه اللغة ويكون هذا الفهم أعلق وأعمق إذا عرفنا أن بين خصائص اللغة العربية وخصائص العرب أنفسهم صلة وشيجة ونسباً .

وثانيهما : الإسراع في تطهير العربية من بقايا الضعف أو المعجمة الناشئة عن عصور الانحطاط أو عن التأثير الأجنبي الحديث في عصر الاستعمار .

وسيكون هذان الأمران هدف دراستنا وستكون الموضوعات التي سندرسها مندرجة في أحد هذين البابين .

فنبحث أولاً في الخصائص الصوتية للكلمة العربية ثم في خصائص بنيتها وتركيبها وخصائص شكلها وصيغتها وفي طريقة العرب في إلحاق الألفاظ الأعجمية بلغتهم وهو التعريب . ونبحث بعد ذلك في الخصائص المعنوية للكلمة العربية وندرس إن اتسع المجال لذلك نماذج من الجملة العربية وبعض خصائص تركيبها ، ونحاول في كل أبحاثنا هذه في خصائص اللغة العربية أن نربط ما بينها وبين خصائص العرب أنفسهم وأن نجد الصلات والمشابهات والمواقفات بين اللغة وأهلها في لين ومطاوعة دون تمسف أو تمحل .

ونختم أبحاثنا هذه بدراسة الأخطاء اللغوية الشائعة على أنها مظهر من المظاهر الباقية من آثار عصر الانحطاط أو من مظاهر التأثير الأجنبي في عصر الاستعمار .

وبهذه الطريقة التي نسلکہا في أبحاثنا اللغوية يكون لهذه الأبحاث وحدة جامعة وناظم ينظمها في نسق واحد ويتم الربط بين نهضتنا اللغوية ونهضتنا العامة في سائر نواحيها ويتصل الوعي اللغوي في جميع مراحلہ بالوعي العام في سائر نواحي الحياة في كل مرحلة من مراحل تطوره .

وبهذه الطريقة تتضح لنا السبيل لحل ما يعترضنا من مشكلات اللغة في هذا العصر على نهج قويم وبصيرة من الأمر من غير زيغ ولا انحراف ولا تشويه حلاً يجمع بين الوفاء بحاجات الحياة الجديدة وأغراضها والحفاظ على خصائص العربية الأصيلة ومنهها ونواميسها .

★ ★ ★

## خصائص العربية

إن لكل لغة طابعاً خاصاً وصفات تتصف بها سواء أكانت هذه الصفات صالحة تعين اللغة على بلوغ أغراض الحياة باستمرار أم كانت غير ذلك . وإن بين كل لغة وأصحابها تشابهاً وتوافقاً فقد نشأت معهم وتقلبت معهم على مر الأيام واختلاف صروفها وانعكس على مفرداتها وتراكيبها صورة مفاهيمهم وتصوراتهم وانبسطت مفرداتها على مدى الأفق الذي انبسطت فيه تلك الأمة ضيقاً واتساعاً حتى تكاد تعرف طبائع الأمة وخصالها في لحن كلامها ونبرات ألفاظها وجرس حديثها .

إن في أصوات حروف كل لغة صورة من الأصوات التي ألفها أصحابها في بيئتها القديمة التي نشأت فيها والأصوات التي كانت تتنادى بها فيها .

وتجمع مفردات كل لغة معارف الأمة ومشاهدها ومشاعرها وتعطي صورة الكون كما تراهي لأهلها والمفاهيم الأخلاقية كما تمثلت لنفوسهم وفي تراكيب كل لغة صورة عن علاقة الأشياء بعضها ببعض في نظر أهل تلك اللغة .

لقد كانت اللغة العربية بوجه خاص تقع من حياة العرب ونفوسهم موقماً لا تقع مثله لغة أخرى في حياة أصحابها ، فلقد كانوا أمة بيان وللكلام عندم مكانة العمل لأن القول والعمل عندم مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتفاضلان فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل كما هي حال الأئمة المغالية في الكلام ولا قاصراً عاجزاً عن تصويره كما هي حال الأئمة البكيثة العاجزة في لسانها ، فلا غرابة بمد هذا في أن نجد الكثير من خصائص العرب وخصالهم في لغتهم .

وقد وقمت في خلال بحثي في اللغة العربية وأثناء استراضي لجوانب الكلمة في أصوتها ، وفي بنيتها واشتقاقها ، وفي صيغتها وبنائها ، وفي مدلولها ومعناها على ملامح للعرب وللغتهم متشابهة وعلى مقابلات طريفة تلفت النظر وتدعو إلى التأمل والتفكير . ولم أفرض على نفسي حين بدأت رأياً مسبقاً أو فكرة ملتزمة لأنفسى بعد ذلك في تحيل علاقة غير موجودة أو صلة موهومة .

وسأعرض بمض خصائص اللغة العربية مشيراً في أثناء بحثي إلى هذه المشابهة بين العرب ولغتهم وإذا وفققت في ذلك أكون قد جمعت البحث اللغوي معيناً على توحيد الوعي الذاتي في نفوس أبناء الأمة العربية جاعلاً الوعي

اللغوي عنصراً من عناصره المتزجة به امتزاجاً لا المضافة إليه أو الملتصقة به إضافة وإصافاً ، ويكون تجديدنا اللغوي حينئذ كتجديدنا الفكري والاجتماعي صادراً عن روح أصيلة بريئة من لوثة الدخيل سليماً من الانحراف ، ويكون بناؤنا كله ومنه اللغوي بناء صحيحاً سليماً متيناً .

★ ★ ★



## الخصائص الصوتية

إن الكلمة هي الوحدة الأساسية التي تتكون منها اللغة ، وهي التي تقابل المفهوم في ميدان التفكير ولكن الكلمة كالأجسام البسيطة التي يتألف منها الكون تتألف من عناصر هي الحروف أو الأصوات . ليس للحرف حياة مستقلة ولكنه هو العنصر الذي يدخل في تركيب الوحدة الحية المستقلة التي هي الكلمة وباختلاف تركيب الحروف تختلف الكلمات . ولنبدأ الحديث عن هذه الحروف أو الأصوات مفردة قبل تركيبها ، مجردة من مواضع تركيبها في الألفاظ .

إن أول ما يبدو من صفات الحروف العربية توزعها في أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات . ذلك أن الحروف العربية تتدرج وتتوزع في مخارجها ما بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى فتجد الفاء والباء والواو الساكنة ومخارجها من الشفتين من جانب والحاء والهاء والعين والهمزة ثم النين والحاء على التدرج ومخارجها من الحلق أقصاه فأدناه من جانب آخر ، وتتوزع باقي الحروف العربية بينهما في هذا المدرج .

قد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً ولكنها محصورة خارجها في نطاق أضيق وفي مدرج أقصر، قد تجدها بجمعة متكاثرة في جانب الشفتين وما والاها من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة أو تجدها متزاحمة في جهة الحلق، وفي كلا الحالين ضيق في الأفق الصوتي واختلال في الميزان الصوتي وفقدان لحسن الانسجام بسبب سوء توزيع الحروف .

تمتاز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات . أضف إلى هذا أن العرب يراعون في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتألف الموسيقي وقد انتبه إلى ذلك السلف من علماء اللغة واستخرجوا بعض هذه القواعد الصوتية التي راعاها العرب في تأليف الألفاظ من الحروف وذلك كتجنّبهم جمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال؛ والجيم مع القاف والظاء والطاء والعين والصاد (١)؛ والحاء مع الهاء، والهاء قبل العين، والحاء قبل الهاء، والنون قبل الراء، واللام قبل الشين . وتنبه إلى ذلك المبقرى اللغوي ابن جني فقال في الخصائص : « أما

---

(١) انتبه إلى ذلك الجاحظ وذكره في البيان والتبيين .

إهمال ما أهمل مما احتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستملة فأكثره متروك للاستئصال وبقيته متلحقة به ومقفاة على أثره فن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سس وسس ووطت وتط وشن وشن لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه وكذلك قج وجق وكتق وقك وكج وجك وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها من معظم الحروف أعني حروف الفم وإن جمع بين اثنين منها يقدم الأقوى على الأضعف نحو أهل وأحد وأخ وعهد وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منها .

ومن الخصائص الصوتية للكلمة العربية ثبات اصوات الحروف على مدى العصور والأجيال توفيراً للجهد ودلالة على الاتصال بين أجيال الأمة العربية وتعبيراً عن الثبات والخلود فيما لا يوجب تقلبُ الأيام وتبدل الحياة تغييره .

لا شك في أن أصوات الحروف العربية كما نلفظها في لغتنا الفصحى وكما يقرأ بها القرآن لم تتغير ولم تتبدل منذ أربعة عشر قرناً على الأقل أو منذ العصر الجاهلي الذي أعقبه ظهور الإسلام ، ولم يعرف مثل هذا الثبات في حروف لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم . لقد عني قراء القرآن منذ العصر الأول حتى يومنا هذا عناية دقيقة شديدة في نطق الألفاظ وضبط

الحروف في مخارجها وصفاتها وطريقة إخراجها والنطق بها ولذلك تجدد أصوات الحروف في اللغة الفصحى واحدة في جميع الأقطار العربية على اختلاف لهجاتها العامية وعلى ما اعتدى حروفها من تشويه في لغتها العامية أحياناً فقد استمر نطق الحروف العربية كما يلفظها قراء القرآن من غير تبديل ولا تغيير خلال هذه القرون الطويلة . ولو ذهبت إلى البادية في الجزيرة العربية والشام والعراق لسمعت من أهلها اللفظ الفصحى للحروف العربية المطابق لما يعهده قراء القرآن المهودون .

حتى إن التشويه الذي طرأ على لفظ الحروف العربية في اللهجات العامية محدود وقليل وذلك محصور في الحروف الثوبية الثلاثة وهي التاء التي قلبت تاءً والنال التي قلبت دالاً أو زايماً والنظاء التي قلبت طاءً أو زايماً معجمة وكذلك قلب القاف همزة بتفخيم أو دونه والجيم إذ تنطق في مصر كما ينطق حرف ( g ) بالفرنسية وتقترب من مخرج القاف أو يخفف من شدتها وتمطيشها فتقترب من مخرج الشين وقلب الظاء ظاءً . وهذه التغييرات التي ذكرناها مفرقة في البلاد العربية لا تجتمع كلها في بلد واحد ولا تزال مع ذلك بعض البلاد العربية سليمة النطق لم يمتد حروفها تبديل وهذا كله بالنسبة إلى العامية وأما الفصحى فينطقها جميع أبناء العرب صحيحة

دون تغيير وبها يقرؤون القرآن . ونضيف إلى هذا أنه قد بدأ تبدل واصح في أكثر هذه البلاد العربية يتجه نحو تصحيح النطق وذلك بسبب الإذاعات الموجهة بالفصحى وانتشار التعليم .

ومن هنا يتبين خطأ من يقول إن تبدل أصوات الحروف في جميع اللغات حتمي . ومنشأ هذا الخطأ أن الذين استنتجوا هذا القانون من علماء اللغات في أوروبا إنما نظروا في ذلك إلى لغاتهم وهي كثيرة التبدل خلال العصور وفي فترات كثيرة من تاريخها فزعموا أن الحروف لا بد أن تزحزح عن مخارجها قليلاً في كل جيل حتى إذا توالى الأجيال وتعاقت السنون ازداد بعدها عن مخارجها الأصلية فتغيرت تغيراً واضحاً . ولا ينطبق ذلك على اللغة العربية لسببين أمرهما ما عند العرب في أصل فطرتهم من ميل إلى المحافظة على ما لا موجب لتغييره في حياتهم وعلى ما يمتازون بالمحافظة عليه وذلك كحفظهم لأنسابهم ومكارمهم . وثانيهما أن القرآن هو كتاب العربية الخالد الذي اجتمع عليه العرب وتناقلوه جيلاً بعد جيل ولا يجوز أن يغير فيه حرف أو حركة لأنه كتاب الله المنزل على رسوله يقرؤه المصلون خمس مرات كل يوم سراً وجهرًا جماعة وفرادى .

### مراتب الحروف وأنواعها :

ليست الحروف في العربية بمنزلة واحدة من حيث مكانتها في تركيب الكلام ومنزلتها في بنائها ودرجة ثباتها واستقرارها فيها .

فالحروف الصائتة - وهي كل ما عدا حروف المد من الحروف - أثبت وأقوى وأبقى على اختلاف أحوال الكلمة وتصرفاتها وصيغها ، ومنها تتكون حروف الكلمة الأصلية الثابتة التي تدور معها أنى دارت وتثبت أنى تقلبت هي فيها عنصر الثبات والاستقرار وهي التي تثبت أصل المعنى في المادة اللغوية بثباتها هذا .

وأما حروف المد فهي أضعف وأقل ثباتاً واستقراراً وهي العنصر الذي يستعان به على تنويع الأصل الواحد والمادة الواحدة ؛ فإضافة الألف في عالم والياء في عليم والواو في صبور لم تغير مادة الكلمة ولا أصل المعنى وهو العلم والصبر ولكنها كانت وسيلة لتنويع المعنى الواحد والأصل الواحد وتلك هي ( وظيفتها الفكرية أو المعنوية ) أعني تقليب المعنى العام الكلي في صور خاصة متنوعة . وأما القول بأن حروف المد قد تكون حروفاً أصلية في الكلمة كالواو في قال ووعد وجفا والياء في باع ورمى فيجاب عليه أنه في هذه الحال معرض للحذف في كثير من تصارييف الكلمة خلافاً

لسائر الحروف كقولك عدّه وقت وبعت ورمّت ولذلك اعتبر النحاة هذه الألفاظ معتلة لما أصابها من ضعف في تركيبها بسبب هذه الحروف الضعيفة المعرضة للحذف<sup>(١)</sup>.

ومثل حروف المد من الناحية الصوتية ومن ناحية الوظيفة الحركات المقابلة لها فهي حروف مد قصيرة واختلافها كذلك لا يؤدي إلى اختلاف في أصل المعنى الذي تعطيه مادة الكلمة الثابتة المكونة من حروفها الصائتة الثلاثة وإنما يؤدي كذلك إلى تنوعات للمعنى الواحد وملابسات مختلفة له وذلك كقولنا: علم وعلم وعلم وشروء وشروء ومكرم ومكرم . فوظيفة الحركات كالمُدود من الناحية المعنوية لتنويع المعنى مع ثبات أصله وتبديل الصيغة مع ثبات أصل مادتها. نضيف إلى ذلك استعمالها في أواخر الكلم للدلالة على وظيفتها في تركيب الجملة وعلى صلتها ببقية الكلمات المجاورة لها فيها وذلك هو الإعراب .

---

(١) ولا ينع هذا كذلك من ملاحظة أن بعض الحروف الصائتة لخاسة صوتية فيها استعملت كذلك لتنويع المعنى وتقليب الصيغ بالإضافة إلى استعمالها حروفاً أصلية في الألفاظ وهذه الحروف هي بقية حروف سألتمونها أي ال (م) و (ن) وهما حرفا غنة وال (ل) و (ر) هما حرفا ذلاقة . وال (س) و (ت) وهما حرفا همس والهمزة .

ولما قدمنا من غلبة إنبات على الحروف الصائتة والتبديل والحركة على حروف المد والحركات كان أكثر اضمحور اللهجات العربية قديماً وحديثاً اختلافاً في المد والحركات لا في الحروف الصائتة الأصلية . فقد كان اختلاف اللهجات في القبائل العربية قديماً اختلافاً في الائمة والوسمام والمد والمحرطات في غالب الأحوال أكثر من أن يكون اختلافاً في أصل الألفاظ وإن كان هذا واقعاً أيضاً ولذلك كان اختلاف القراءات المنقولة في القرآن ولا سيما السبع منها اختلافاً في الأصوات الهوائية من مدود وحركات وإمالات ومن النادر تبديل لفظ بلفظ .

وكذلك الخلاف في اللهجات العامية في العصر الحاضر يرجع الكثير منه إلى نبرة الكلام وموسيقاه الناشئة عن تغير المدود والحركات إطالة وتقصيراً وسرعة وبطأ .

أضيف إلى ما تقدم من الوظيفة المعنوية للحروف الهوائية أي حروف المد والحركات وظيفة فنية صوتية أو وظيفة موسيقية فان هذه الحروف هي التي تفسح المجال لتنوع النغمة الموسيقية للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة لسمة امكانياتها الصوتية ومرونتها ، وتُقارِبُها من هذه الناحية بقية حروف الزيادة المجموعة في ( من سألته ) لخصائصها الصوتية المواتية .



يبدو لنا مما تقدم أن للحروف الصائتة قيمة خاصة وأثراً كبيراً في تثبيتها أصول المعاني وكلياتها وفي تثبيت الوضائف وموادها ولذلك كان ثباتها على مر العصور سبباً لاستمرار اللغة العربية وبقائها واتصال أجيال العرب بعضهم ببعض خلال القرون وأن ثباتها هذا لم يحل دون التجديد المستمر والتنوع في المعاني والدقة في الفروق بين المفردات وأن حروف المد لا تعادلها في ذلك بل إن وظيفتها التبديل والتغيير للتنوع والتجديد ومن أجل هذا حرص العرب في رسم لغتهم وكتابة ألفاظهم على كتابة الأحرص الصائتة أكثر من حرصهم على كتابة حروف المد والحركات. وكان حرصهم على حروف المد في الكتابة أكثر من حرصهم على الحركات لأنها دونها كذلك في المرتبة.

ومن هذا يتبين أن بين طريقة الكتابة ورسم الألفاظ في اللغة العربية وخصائص الحروف والحركات ووظائفها تناسباً وتوافقاً وأن الدعوة إلى كتابة العربية بالأحرف والطريقة اللاتينية أي بتثبيت جميع الأصوات من مدود وحركات وحروف صائتة تنطوي على غفلة شديدة عن هذا الأصل الذي بنيت عليه طريقة الكتابة العربية في مراعاة خصائص تركيبها ووظيفة الحروف

في هذا التركيب وصفاتها ومراتبها كما سيتبين لنا ذلك في المقارنة التي سنوردها  
والموازنة بين العربية وغيرها من اللغات من هذا الوجه .

### مقارنة وموازنة :

أما اللغات اللاتينية وهي من اللغات الهندية الأوربية فليس بين أنواع  
حروفها مثل هذه الفروق التي ذكرت في العربية ، فالحروف الصائتة ليست  
ثابتة ولا فرق في ذلك بين حروف أصلية وزائدة فكلها معرضة خلال التطور  
أو في التصريف للحذف والتبديل ، ولو اشتركت كلمتان في جميع الحروف  
الصائتة لما كان ذلك دليلاً على أي اشتراك بينهما في المعنى . ومثال ذلك في  
الفرنسية : ivre (سكران) oeuvre (أثر أو تأليف) و ouvre (il) فتح  
ومثلها livre (كتاب) و lévre (شفة) وكذلك : pli (ثنية) ، plat (مسطح  
مستوى) و plus (أكثر) و pleut (il) ينزل المطر . فحروف المد في هذه  
الأمثلة وهي كثيرة لا تحصى في الفرنسية هي السبب في اختلاف المعنى  
واختلاف أصل اللفظ كذلك . وعلى العكس من ذلك قد تختلف الحروف  
الصائتة في عدة أفاظ وتكون مع ذلك من أصل واحد وذلك ناشئ عن  
تقلبها وتبدلها على مر السنين، ومثال ذلك Chèvre و Caprice و Chétif و Capter  
وكذلك Oreille (أذن) و auditif (سمعي) . إن التأمل الباحث في اللغات

اللاتينية يجد أن لا فرق بين حروف المد وغيرها سواء من جهة تبدلها وعدم استقرارها أم من جهة دلالتها ووظيفتها في تركيب الكلمة وليس في مفردات هذه اللغات عدد من الحروف الثابتة فقد تنغير كلها أو أكثرها في تصاريف الكلمة ومشتقاتها أو تحذف ، وقد تنغير أصواتها على مر السنين والأعوام ، وقد يقع هذا التنغير في بعض مفردات المادة دون بعضها الآخر فتتفك الصلة بينها فالشين في كلمة Cheval ( حصان ) كانت كافاً في الأصل وانقلبت إلى شين في بعض الألفاظ وبقيت كافاً في بعض مشتقات الكلمة مثل Cavalier ( فارس ) .

ولذلك كانت طريقة الكتابة في هذه اللغات اللاتينية متناسبة معها، وكانت هذه اللغات من جهة أخرى فاقدة لعنصر الثبات والاستقرار .

الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للمحرف في اللغة العربية<sup>(١)</sup>

لاحظ بعض الباحثين قديماً وحديثاً أن اشتراك كلمات في حرفين من الحروف الأصلية يفيد اشتراكها في شيء من المعنى أو في معنى عام جامع لمعانيها مثل جمع وجمال وجمد وجرم ففيها كلها معنى الجمع ومثلها كسر وكسف .

---

(١) انظر ص : ١٠١ من هذا الكتاب .

ثم أمعنوا النظر في تتبع الحرف الواحد في الألفاظ فوقموا على عدد من الأمثلة يبدو فيها معنى عام مشترك في الألفاظ التي تشترك بينها في حرف واحد كإفادة الراء معنى الاستمرار والتكرار في مر وجر ودر ورعي ورفي وغرف وإفادة العين معنى الاستتار في غار وغاص وغاز وغمض وغمر وغفر وغم وغطى ، وإفادة القاف معنى الشدة والانفصال أو الاصطدام في مثل قد وقط وقل وقطع وقطف وقصل ودق وطق وشق وفرق وقلق وتقر وتقف .

وقد نبه ابن جني في مواطن كثيرة وأبواب متعددة من كتابه الخصائص إلى التقابل بين المعاني والحروف في الكلمات وعقد فصلاً عنوانه ( في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ) وفصلاً آخر بعنوان ( في إمساس الألفاظ أشباه المعاني ) وتكلم في هذا الموضوع كلاماً يفهم منه تعميم هذه النظرة في اللغة واطراد القول في التقابل بين كل صوت في الكلمة وجزء من أجزاء معناها بحيث أن المعنى العام للكلمة ناشئ عن اجتماع معاني الحروف المركبة لها ويأتي ابن جني بأمثلة يدل بها على صحة نظريته مثل ( بحث ) و ( شد ) و ( جر )<sup>(١)</sup> وأشار كذلك إلى التقابل بين صفة الصوت أو الحرف وصفة الحدث

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٥٥ وج ٢ ص ١٦٣ و ص ١٥٧ .

فالحرف الشديد للحدث الشديد كالكاف والحرف اللين الناعم للأشياء والأحداث الرقيقة الناعمة كالسين والحاء كحروف خلس وسكن . وأراد بعضهم المقابلة بين ترتيب أجزاء الحدث وترتيب مخارج الحروف في الكلمة فكلما خرج تبدأ من الحلق صاعدة نحو الفم دلالة على الخروج وكلمة دخل على عكسها تبدأ بالدال ومخرجها في أول الفم ثم تأتي الحاء ومخرجها في الحلق فالفعل يتجه من الخارج إلى الداخل .

ونرى أن ثمة أمثلة كثيرة في العربية تدل على التناسب الصوتي والتقابل الموسيقي في تركيب الكلمات وحروفها ولكن هذه الملاحظات والأمثلة التي أوردتها بعض اللغويين قديماً وحديثاً لا تكفي لإقامة نظرية عامة واستنباط قانون عام قبل توسيع أفطق الملاحظة والاستقراء ، وهي على كل حال تدل على ما في اللغة العربية من الخصائص الموسيقية في تركيب كلماتها وعلى ما بينها وبين الطبيعة من تقابل صوتي وتوافق في الجرس وذلك أول دليل تقدمه لنا العربية من خاصتها الطبيعية وعلى أنها بنت الفطرة والطبيعة . ونستطيع أن نقول في غير تردد ان للمعرف في اللغة العربية اجزاء خاصاً فهو ان لم يكن بدل دلالة فاطمة على المعنى بدل دلالة انجاء وبعث في النفس هو أبرج ، لقبول المعنى ويومج اليه ويومج به .

ولهذا كان المجال في العرية واسماً لاستثمار الأدباء لهذه الخاصة الموسيقية في أدبهم أكثر من أي لغة أخرى . ويتفق فيها للفنان ما لا يتفق في لغة غيرها من الموازنة بين جرس الكلمات ونعمة المفردات من جهة والأحداث المصورة أو الأفكار المعبر عنها فإذا استممت إلى إنشاد بيت البحري في وصف الذئب الجائع المرتجف بسبب البرد ظننته أمامك :

يقضض عصلا في أسرتها الردى كقضضة المقرور أرعه البرد

فإن تكرر القاف وتواليها خمس مرات وتكرر الراء ست مرات مع الحروف الأخرى يوحى بصورة الذئب في ضراوته وجوءه، وارتجافه .

ونلاحظ هذه الخاصة الفنية في التقابل بين جرس الحروف ومعاني الكلام في أكمل أشكالها وأجلى أظاها في كتاب الله المعجز كقوله تعالى في خطاب أهل الجنة ( كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ) وقوله تعالى في وصف النار ( إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ) واستمع إلى قوله في وصف الليل وبدء طلوع الصبح ( والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ) وانتبه إلى جرس كلمة بعثر في قوله تعالى ( أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ) .

ملاحظة :

تلك هي خصائص العربية في حروفها وأصواتها ، فهي واسعة الأفق  
كاملة في مدرجها الصوتي ، حسنة التوزيع للحروف والأصوات في هذا المدرج ،  
متميزة المخارج والصفات ، ثابتة الأصوات عبر القرون يتوارثها جيل بعد  
جيل ، متنوعة الوظائف . في بنية الكلمة لكل نوع من الحروف والأصوات  
وظيفة في تكوين المعنى وتثبيت أصله وتنويع شكله وألوانه مع تناسب  
بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة  
المعنوية المقصودة .

## خصائص الكلمة العربية

الخاصة الاشتقاقية أو خصائص التركيب العضوي<sup>(١)</sup>

إن الكلمات في اللغة العربية لا تمشي فرادى بمنزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل . وإذا كان بين أفراد القبيلة الواحدة عند العرب روابط مشتركة تربطها وتصل بينها ، ونسب محفوظ تلتقي عنده ، وممان يجتمعون عليها ، ومكارم يتوارثونها فإن بين مفردات لغتهم من الاشتراك كذلك ما بين أفرادهم .

إن لكل كلمة جسماً وروحاً فجسمها هو المادة الصوتية التي تألف منها والشكل الذي تجمل فيه تلك المادة أو البناء الذي تبنى عليه وروحها هو معناها وما تفيده وتدل عليه مادتها .

ولكل كلمة مفردات من نوعها ومثيلات من نسبها تلتقي معها في مادتها ومعناها فكلمة ( قطع ) مثلاً مع تصاريفها الفعلية ومشتقاتها الاسمية هي

---

(١) انظر ص ٦٩ وما بعدها من هذا الكتاب .



والأفعال المشتقة منها ( أقطع وقطع وقاطع وتقطع وتقاطع وانقطع واققطع واستقطع ) وتصاريفها ومشتقاتها ومصادرهما ومصنرات أسمائها وغيرها تزيد على مئة وخمسين كلمة . ولو أخذنا كلمة علم ونفع وغاب أو أي أصل من الأصول لوجدنا أنه يندرج تحته عدد كبير من الكلمات تفاوت قلة وكثرة . فاهو الجامع بين مفردات كل مجموعة من مجموعات الألفاظ وما الرابط بينها إن كان ثمة جامع أو رابط ؟

إن مفردات اللغة العربية تتكون من مجموعة كبيرة وكل مجموعة منها ترجع إلى أصل واحد وتشارك في جزء من أصلها وجزء من معناها .

١ - إنها تشارك في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها وهي الحروف أو الأصوات الأصلية التي تحافظ عليها ولا تغيرها ، وهذه الحروف الثابتة في تركيبها والثابتة في ذاتها صوتياً لعدم تبدل الأصوات في العربية كما قدمنا تكون عنوان نسبها ودليل ارتباطها بأصلها واشتراكها مع أخواتها وأبناء عشيرتها . إنها كالملاحم المشتركة بين أفراد القبيلة والسمات المتشابهة التي كان يعرفها القائف ويستدل منها على وحدة النسب . إن الرابطة الاشتقاقية في الألفاظ العربية كالرابطة النسيية في أفراد العرب ، وكما حافظ العرب على أنسابهم وعرفوا بها حافظت مفردات لغتهم كذلك على نسبها ودلت عليه .

ولذلك لم تضع الرابطة الاشتقاقية بين الألفاظ العربية على اختلاف عصورها وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها فكلمة ( طائرة ) و ( سيارة ) و ( هاتف ) و ( اشتراكية ) ولدت في هذا العصر ومع ذلك فإن كل عربي يعلم أنها من نسب واحد هي وألفاظ ( طائر ) و ( مسير ) و ( هاتف الجن ) و ( شرك ) مع أن بين ميلاد تلك الألفاظ وقربانها هذه مدة قد تزيد على خمسة عشر قرناً .

وكذلك عاشت كلمة ( نتيجة ) عند المناطقة و ( الجر ) عند النحاة و ( الوجد ) عند الصوفية ولكنها لم تخف قرابتها من ( نُتِجَت الناقة ) و ( جر الفرس ) و ( وجد الشعراء ) المعروفة في بيئة البادية . ذلك أن ألفاظ العربية تحافظ على أنسابها وتحفظ في مادة تركيبها بما يدل عليها وهي الحروف الأصلية الثابتة وهي في غالب الأحوال ثلاثة .

٢ - وتشارك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام كالطيران في طائر وطائرة والسير في سيارة وتسير والاشتراك في الشرك والاشترائية ويقابل هذا المعنى المتداول المتوارث المنقول من كلمة إلى كلمة من الكلمات المشتقة من أصل واحد مكارم العرب وخصالهم وصفاتهم المعنوية التي يتوارثونها جيلاً بعد جيل فكما أن لكل

قبيلة مكارم وخصالاً طيبة يجتمعون عليها ويتوارثها أبنائهم فلألفاظ المتسمية إلى أصل واحد كذلك معنى مشترك تلتقي عنده وتوارثه جميع الألفاظ المتولدة عنه .

وليست وحدة الأصل والاشتراك في جزء من مادة التركيب وفي جزء من المعنى بمانعة من التنوع والكثرة فان الألفاظ المنتسبة إلى مادة واحدة أو أصل واحد تتكاثر وتتوالد وتختلف في أشكالها وصورها كما تختلف في معانيها المحدودة ودلالاتها الخاصة . فان لفظ عالم ومعلوم ومستعلم وعلامة وإن رجعت إلى مادة واحدة وأصل مشترك تلتقي عنده في وضوح واستملاء تختلف في صورها وأشكالها وطريقة بنائها بل في نغمتها ووزنها كما تختلف في المعنى الخاص الذي تتضمنه كل كلمة منها . وسنبحث في ( الاختلاف والتنوع ) في اللغة العربية كما بحثنا في ( الاشتراك ووحدة الأصل ) وفي ( ذاتية ) المفردات العربية الناشئة عن حياة الكلمة وتقلبها في البيئات والمصور .

موازنة :

ولو نظرنا إلى بعض اللغات الأخرى كاللغات اللاتينية لوجدنا أن الفردية غالبية عليها وأن الأصول المشتركة قد ضاعت والملامح المتشابهة قد زالت

وذلك لفقدان المنصر الثابت حتى لا يبقى من الحروف الأصلية إلا حرف  
أو حرفان لا تدل على الاشتراك وقد لا يبقى منها شيء مطلقاً إما لزوالها في  
تقلب الكلمة في تصاريفها وإما لتطور أصوات الحروف تطوراً أبعداً عن  
أصلها . وقد ينشأ الاختلاف بين الألفاظ الدالة على نوع واحد من المعاني  
العامة لاختلاف الأصول التي ترجع إليها وتعددها ولنضرب لذلك أمثلة من  
اللغة الفرنسية . إن الكلمات العربية : كتاب ومكتبة ومكتب وكاتب  
وكتب يقابلها في الفرنسية : livre و bibliothèque ( مكتبة عامة ) و librairie  
( محل بيع الكتب ) و bureau و écrivain و écrire . ومن هذا القبيل كلمة  
aveugle : أعمى تجدد إلى جانبها كلمة cécité : العمى وهي مختلفة عنها في اللفظ  
اختلافاً تاماً . ومن أغرب الأمثلة في هذا الباب أن كلمة أخ وأخت اللتين  
تجدها في مادة ( أخ و ) في المعاجم العربية تجدهما في الفرنسية مختلفتين لارابطة  
بينهما فهما frère و sœur وكذلك في الانكليزية brother و sister والابن والبنات  
في العربية من مادة ( ب ن و ) وأما في الانكليزية فهما son و daughter  
وكذلك العم والعمة مختلفان والخال والخالة في حين أن العم والخال تدل عليهما  
كلمة واحدة هي في الفرنسية oncle ولا بد لازالة الالتباس بينهما من إضافة  
كلمة أخرى ومثلها العمة والخالة .

والأمثلة على ذلك في الفرنسية كثيرة لا تحصى لأن الفردية وضياع الأصل المشترك هي القاعدة العامة فالروابط الاشتقاقية تفككت كما تفككت في المدنية الحديثة روابط الأسرة وتقطعت الأرحام . واتفاق اللفظ لا يدل على الاشتراك في الأصل أو في المعنى فكلمة louer تفيد في الفرنسية معنى مدح وأجر وترجع إلى أصلين مختلفين في اللاتينية هما laudare ( المدح ) و laucare ( التأجير ) وقد تطورا صوتياً وانتهيا إلى شكل واحد وأما اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى في حالة اختلاف رسم الألفاظ فكثير جداً ومثال ذلك ألفاظ vert ( أخضر ) و vers دودة و vers نحو . وقد تختلف الألفاظ اختلافاً كبيراً أو كاملاً في حروفها وأصواتها وتكون مع ذلك من أصل واحد سواء حافظت على المعنى الأصلي أم أضاعته أيضاً وذلك مثل noble بمعنى الشريف والنبيل وأصل معناها المعروف و connaître المعرفة . ومثل fable ومعناها الحكاية والقصة التي تروى عن الحيوانات enfant ومعناها الولد وأصل معناها العاجز عن الكلام . فالألفاظ الفرنسية كسائر اللغات الأوربية لا تحافظ على الأصل من جهة الحروف والأصوات ولا على المعنى وبذلك قد تنعدم الصلة بين الألفاظ التي ترجع إلى أصل واحد انهداماً تاماً وتفقد الصلة بينها فلا يعرفها إلا الباحثون المختصون .

### مقدمة وتبجي:

يتجلى لنا من هذه النظرة التي ألقيناها على بناء الكلمة في اللغة العربية والروابط التي تصل بين مفردات العربية ومن مقارنتها باللغات الأخرى أن اللغة العربية من هذه الناحية خصائص تمتاز بها من أبرزها وأجلها:

١ - استمرار معالم اللغة العربية استمراراً يتجلى في ثبات أصول الألفاظ ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية وهو يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور.

فالحفاظ على الأصل واتصال الشخصية واستمرارها صفة يتصف بها العرب كما تتصف بها لغتهم.

٢ - إن اشتراك الألفاظ المنتمية إلى أصل واحد في أصل المعنى وفي قدر عام منه يسري في جميع مشتقات الأصل الواحد مهما اختلف المصراع أو البيئة يقابله توارث العرب لمكارم الأخلاق والمثل الخلقية والقيم المعنوية جيلاً بعد جيل.

٣ - أن العنصر الثابت المتوارث من اللغة، والمكون من جزء مادي هو الحروف الثابتة في مادة الكلمة وجزء معنوي هو معناها العام، هو أداة

الارتباط ووسيلة الاتصال بين أجيال الأمة العربية المتعاقبين على الزمن وسر من أسرار خلود العربية وهو يقابل ما يرثه العربي مادياً من المال الموروث وهو التليد أو التالد وما يرثه من الشرف الموروث ومكارم الأخلاق ومحامدها من الناحية المعنوية .

وهذا العنصر الثابت في اللغة العربية جعل لها أثراً كبيراً في تكوين أبنائهم وفي اتصال أجيالهم واجتماعهم على أمر جامع مشترك .

٤ - لهذه الخاصة في اللغة العربية قيمة تربوية تعليمية عظيمة فإن معرفة بضع كلمات من المجموعة أو الأسرة الواحدة تمكن المتعلم من معرفة سائر أفرادها معرفة إجمالية لما بينها من حروف مشتركة وبذلك يحفظ الجهد ويوفر الوقت . فالروابط الاشتقاقية نوع من التصنيف للمعاني في كلياتها وعمومياتها تعلم المنطق وتربط أسماء الأشياء المرتبطة في أصلها وطبيعتها برابط واحد .

٥ - إن الروابط الاشتقاقية بين الألفاظ توحى بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة .

٦ - إن الخاصة الاشتقاقية في اللغة العربية تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب ونظراتهم إلى الوجود وعاداتهم القديمة . فالسكن عندم مكان

للسكينة والعقل ليس هو الإدراك الفكري فحسب بل هو الذي يعقل صاحبه عن الشر، والشريف مشتق من الشرف وهو الارتفاع فهو المرتفع على الناس بأخلاقه ومكارمه في حين أن كلمة noble الفرنسية معناها في الأصل المعروف المشهور، والجار هو من تحميه القبيلة وتمنع عنه الجور والظلم، والمرء والمرأة وتدلان على أن الرجل والمرأة من أصل واحد ومنها المروءة.

٧- والخاصة الاشتقاقية بثباتها على الزمن ووضوح علامتها تمكن من تمييز الدخيل الغريب من الأصيل فإذا لم يكن للكلمة أي صلة معنوية بالمادة الاشتقاقية فهي غريبة ملحقمة. على أنه يجب الاحتياط في الحكم إذ أن بعض الكلمات قد تتطور في معناها تطوراً يبعدها عن الأصل بعداً ينجح معه للمرء انقطاعها وانفرادها. إن كلمة إقليد بمعنى مفتاح وجمعها مقاليد موضوعة في مادة (ق ل د) ولكن لا علاقة لها بالقلادة والتقليد وهي مأخوذة من اليونانية وكذلك فردوس وكوب وإستبرق مثلاً.

الصد بين الموارد المختلفة :

إن بين مختلف مواد الألفاظ في العربية تشابهاً من حيث طريقة تكوينها



وتركيبها وتقلبها وتصرفها وتوليدها واشتقاقها فكلها من حيث الأصل وفي الغالب تتألف من حروف ثلاثة أصلية ثم توضع في صيغ وقوالب متماثلة ويتولد منها ألفاظ كذلك على نمط واحد . ولكن نعمة تشابهها أو تقاربها في بعض الأحيان يزيد على ذلك فقد يكون بين بعض مواد الألفاظ المختلفة ما بين بعض القبائل المختلفة من نسب بعد عهد قرابة بقيت ذكراها وبعض آثارها . ذلك أن اللغويين لاحظوا أن بعض المواد التي تشترك في حرفين وتختلف في الثالث تشترك في المعنى كذلك بمقدار ما اشتركت في الحروف والأصوات وذلك مثل : غمر وغمس وغمض وغم فففيها كلها معنى الإخفاء والستر . ومثل : نفث ففخ ونفد ونقر ونفس ونفق ونقى وفيها معنى الخروج ومثل : ماد وماج ومار وماس ومال وفيها كلها معنى الميل والحركة . ولذلك أمثلة كثيرة وقد لاحظ أسلافنا من اللغويين هذه الظاهرة واعتبروا أن هذه المجموعات التي تشترك ببعض الحروف مشتق بعضها من بعض في الأصل وسموا هذا الباب الاشتقاق الأكبر وسماه ابن جني الاشتقاق الكبير وهو الأرجح والأولى<sup>(١)</sup> . وإذا استمر الباحث المتأمل في العربية في هذا

(١) انظر ص ٨٥ وما بعدها من هذا الكتاب .

للإب وءء أن الإشرآك فى ءرف وءء بن ءموءآء الألفآظ أو الموء كءبرآ مأ يؤءى إلى الإشرآك كءلك فى ءزء من المئى أى فى مئى ىم هءه المءموءآء وءلك كءءلآة الموء بنع وئشأ وئءم وئطق وئقء على الظهور وءءروج وءلها مءبءءة بنون؁ وءءلآة الموء ءء وءق وءقء وءق وئق وءرق وئقر وءقأ على مئى الضرب أو القع أو الصءم الشءىء وءلها مءءوىة على ءرف القاف وءءلآة ءاب وءار وءاص ... وءبر وءبش ... وءفر وءفى ... وءمر وءمس ... وءرس وءرف وءرق وءرز ... وءشى وءطّ وءطى وءءر ... على الإءفاء وئءطىة<sup>(١)</sup> .

ومن ملاءظة هءه الظواهر وئءءق فى هءه الأفاء فى ءركىب الكءمآء العرىة ىبءو أن الأفاء العرىة والموء الذى هى أصولها لىء إلاءنوءعآء مءءلقة نآشة من موء أصلىة وءءة هى ءروف أو الأصوء المفرءة وهى للأفاء العرىة بمنزلة الذراء الأولىة للأءسام وإءما ءءلءف الأءسام باءءلاف ءكوئنها وءركىبها الذرى وءلك الأفاء العرىة فهى أءناس وأنواع مسمرة فى وءوءها وفى أداء وظىفتها من ءبر ءبءل فى الأساس ءبىز باءءلاف ءركىبها الصوى . وءركىبها وءءلافها فى هءا ءركىب

---

(١) انظر من ١٠١ وما بءءها من هءا الكءاب .

يجري على نظام مطرد وفي اتجاهات محددة ويكون علاقات ثابتة . وليس في اللغات الأخرى ما يشبه العربية أو يقاربها من هذه الناحية فليس للألفاظ ثبات في تركيبها وليس لها بنتيجة ذلك استمرار في وجودها ولا استقرار في علاقاتها فتركيب الألفاظ العربية أشبه ما يكون بتركيب الأجسام في الطبيعة . وهذا التركيب الذري للكلمات العربية والانتماء إلى أصول ثابتة تنفرع عنها هو الأساس الصحيح الذي بنى عليه اللغويون العرب معاجم اللغة وهو يدل على تحليل عميق للغة العربية وفهم دقيق لأسرارها وبنائها وأما وضع المعاجم على أساس الترتيب الأبجدي المتسلسل من غير مراعاة الأصل الاشتقاقي فهو وإن كان أيسر على المبتدئين غير متفق مع خصائص العربية الأصيلة .

## فصائص الكلمة العربية

الشكل والهيئة أو البناء والصفة<sup>(١)</sup>

إن انتساب أفراد القبيلة العربية إلى أصل واحد وكذلك انتساب القبائل إلى أرومة واحدة لم يحل دون تنوع الأفراد في أشكالهم وصفاتهم ولم يمنع تشابه الملامح من تنوعها في الأفراد ولا الاشتراك في الخصال من تفاوتها فيهم . والارتباط بالأصل من جهة النسب والاشتراك في بعض ملامح الجسم وخصال النفس لم يناف التكاثر والتوالد والارتباط بالفروع الآتية والأجيال المتوالية . وكذلك كانت لغة العرب فان ما وجدناه في ألفاظها من ترابط وانتماء إلى أصول مشتركة لم يمنعها من التوالد المستمر والتنوع الرائع والانتشار في آفاق الحياة للتعبير عنها انتشاراً يشبه خروج العرب وانتشارهم في آفاق الأرض يؤدون فيها رسالة الحياة وأمانة الله .

إن طريقة اللغة العربية في هذا التوالد والتنوع تقوم على اتحاد قوالب

---

(١) راجع بحث الأبنية والأوزان ص ١١٢ من هذا الكتاب .

للمعاني تصب فيها الألفاظ وهياكل تبنى على هيئتها مواد الكلمات فتختلف حينئذ في الوظيفة التي تؤديها وعلى ذلك فإن هذه الألفاظ: الناظر والمنظور والمنظر والألفاظ سلم واستسلم وسالم والألفاظ يعلم ونعلم وعالمات وعالمون تختلف مفردات كل مجموعة منها في مدلولها مع اتفاقها في أصل المفهوم العام الذي هو النظر والسلم والعلم.

إن لكل قالب من هذه القوالب دلالة يدل عليها مهما كانت المادة التي توضع فيها فالكلمات عالم وناظر وسالم فيها معنى الفاعلية والألفاظ ممنوع ومقطوع ومقبول فيها معنى المفعولية وتنافس وتعاون وتساند تتضمن معنى التمدد والاشترك والألفاظ قلامة وبراية ونحاة ونفاية ونمالة تدل على البقايا، وبهذه الطريقة يبدو لنا في العربية تصنيف جديد للألفاظ لا على أساس مادتها بل أساس بنائها وهيئتها ونماذج أشكالها فنضع على هذا الأساس مثل رافع وقائل وكاتب وسامع وآخذ في صنف واحد ونضع مثل مستعلم ومستخرج ومستنفر ومستنفر ومستنصر في صنف واحد ونجعل الألفاظ لباس وإناء وحزام ووعاء وبساط في نسق واحد. ذلك أن ألفاظ كل مجموعة من هذه المجموعات وغيرها من أمثالها الأخر على اختلاف أصولها تشترك

في معنى الفاعلية في الأولى ومعنى الفاعلية من أفعال الطلب في الثانية ومعنى الآلية والارتفاق في الأخيرة .

#### الوظيفة المنطقية العقلية :

إن للأبنية والقوالب وظيفة فكرية منطقية فقد اتخذ العرب في لغتهم للمعاني العامة أو المقولات المنطقية قوالب أو أبنية خاصة فجعلوا للفاعلية والمفعولية والمكان والزمان والسببية والحرفة والأصوات والمشاركة والآلة والتفضيل والحدث ولما أن أخرى كثيرة صيغاً خاصة وقوالب بحيث إذا بنيت أي مادة من مواد الألفاظ على تلك الهيئة وصيغت في ذلك القالب أدت ذلك المعنى متصلاً بتلك المادة فلو قلت ( التزاور مدعاة للألفة ) فالتزاور مؤلفة من مادة زور وقالب ( التفاعل ) الدال على المشاركة فأصبح المعنى زيارة الناس بعضهم بعضاً ولفظ مدعاة من مادة دع و وقالب ( مفعلة ) الدال على تسبب الشيء أو كثرته مثل مشغلة وملهاة فمعناها السبب الداعي إلى .. والألفة مصدر من ألف يدل على الفعل نفسه .

إن هذا النوع من تصنيف قوالب المعاني أو المعاني التي هي قوالب لا مفاهيم في شكله المتسع المتنوع الموجود في العربية مما تمتاز به هذه اللغة ولا نجد في اللغات الأخرى من ذلك إلا الشيء اليسير وبطريقة

أخرى لا تؤدي الغرض الذي تؤديه الأبنية والصيغ في العربية كما سنبينه  
بعد قليل .

إن الأبنية في العربية تعلم تصنيف الماني وربط المتشابه فيها برباط واحد  
ويتعلم أبناء العربية المنطق والتفكير المنطقي مع لغتهم بطريقة ضمنية  
طبيعية فطرية . ويتعلم العربي حين يتعلم لغته قاعدة من قواعد الحياة وسنة  
من سننها ذلك أن وحدة الوظيفة والعمل تقابلها وحدة الشكل فالألفاظ  
التي تصاغ على وزن واحد وبناء واحد تؤدي وظيفة واحدة كالفاعلية  
أو المكانية أو السببية ويكفي أن يعرف العربي مادة كلمة من الكلمات  
حتى يصوغ منها كلمات أخرى على أوزان يعرفها وإذا سمعها كذلك لأول  
مرة وكان يعرف معنى المادة ومعنى الصيغة أو الوزن فإنه يدرك معناها عن طريق  
المادة والصيغة معاً .

إن هذه التراب أو الأبنية كثيرة جداً في العربية ولا وجه للموازنة بينها  
وبين اللغات الأخرى في غزارتها لقد ذكر منها سيويوه (٣٠٨) هـ<sup>(١)</sup> وأوصلها  
ابن القطاع (٥١٥) هـ إلى (١٢١٠) كما ذكر ذلك السيوطي في المزهرو لكتبي  
أرى أننا لو أعدنا النظر في الموضوع وأخرجنا من هذا العدد الأبنية النادرة التي

---

(١) التاريخ المذكور بعد الاسم هو تاريخ الوفاة .

لا نجد على مثالها إلا كلمة أو بضع كلمات<sup>(١)</sup> لا تتينا إلى عدد محدود لا يبلغ هذه الكثرة وذلك بالاعتصار على الأوزان الكثيرة الاستعمال والأوزان القابلة للاستعمال وهذا المدد الذي نصل إليه يفوق كثيراً على كل حال ما في اللغات الأخرى من أبنية إذا صح أن في اللغات الأخرى أبنية وأوزاناً في شيء من التجوز والتوسع كما يتضح من الفكرة التالية التي سنشرحها.

#### الوظيفة الفنية :

إن قوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية أي أن كل قالب من هذه القوالب وكل بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة فالقالب الدال على الفاعلية من الأفعال الثلاثية مثلاً هو دوماً على وزن (فاعل) وكل ما دل على المفعولية من استعمل فهو على وزن (مستعمل) وكل ما دل على فاعل متعدد من العقلاء من صيغة افتعل مثلاً فهو على وزن (مُفتعلون) وليست كذلك الصيغ في الفرنسية والانكليزية مثلاً فالدلالة على الفاعل تكون بإضافة صوت يلحق بآخر الفعل هو (ant) في الفرنسية و (er) بالانكليزية وعلى المفعولية بإضافة e أو i أو u في الفرنسية بحسب

---

(١) وذلك مثل فيعيلي كخصيبي وفعلئول كمصفور، ويرجع في هذا الموضوع إلى كتاب ليس في أمة العرب لابن خالويه والمزهر للسيوطي والسماع والقياس لأحمد تيمور.



الأحوال وed بالانكليزية مع اختلال أصل الفعل أحياناً اختلالاً لا ضابط له وتكون النتيجة أن الألفاظ الدالة على الفاعل لا تشابه في أوزانها مطلقاً وكذلك الدالة على المفعول فعنصر الوزن مفقود أصلاً فيها وليس ثمة إلا التشابه في اللواحق أو السوابق التي تضاف على الألفاظ لافادتها معنى من المعاني فتشابهها ليس تشابهاً داخلياً صميمياً بل تشابهاً في سمة خارجية وفي صوت ملحق بالكلمة إلحاقاً فهو كتشابه المختلفين في السمات والملامح الأصلية واتفاقهم في لباس الرأس أو في شعار معلق على الصدر .

فأشكال الألفاظ في العربية هي من جهةٍ أبنية وقوالب وهيئات ، ومن جهةٍ أخرى أوزان موسيقية تدركها الأذن بسهولة ويسر فيدرك السامع جزءاً من المعنى بمجرد إدراكه وزن الكلمة ، واتفاق الألفاظ في الوزن دليل في غالب الأحوال على الاتفاق في قالب المعنى أو نوعه كآلية أو المكانية أو التفضيل أو المفعولية .

وإن بين أوزان الألفاظ في العربية ودلالاتها تناسباً وتوافقاً فوزن ( فَعَال ) لمبالغة اسم الفاعل تدل بما فيها من تشديد الحرف الثاني على الشدة أو الكثرة وبألف المد التي فيها على الامتداد والفاعلية الخارجية وأما فَعِيل ففيها الحرف المشدد الدال على الشدة أو كثرة الملازمة للفعل ولكن الياء أنسب

للدلالة على أمر نفسي داخلي في مثل قول العرب صديق وخريت وسكير  
فهي تدل على صفة داخلية نفسية أكثر من دلالتها على أفعال خارجية إن هذه  
المزية التي اختلفت بها ألفاظ العربية في كونها ذات نغمات وأوزان مطردة هي  
السبب فيما للغة العربية من خاصة موسيقية في كلامها .

#### موسيقى اللغة العربية :

إن جميع ألفاظ العربية ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية ، والكلام  
العربي نثراً كان أم شعراً هو مجموع من الأوزان ولا يخرج عن أن  
يكون تركيباً معيناً لنماذج موسيقية قد يكون في احتمالاته التركيبية التي  
لا حصر لها كثير من التوفيق في الجرس والنغمة والانسجام أو قليل منه ولو أنك  
حاولت نقل أي كلام عربي أو صفحة من كتاب إلى رموز موسيقية وأوزان  
لوجدته يتركب من وحدات تتشابه وتختلف وتكرر وتتناظر ويتألف من  
مجموعها قطعة موسيقية . وكثيراً ما استثمر الشعراء والكتاب العرب هذه  
الخاصة الموسيقية فقابلوا بين نغمة الكلام وموضوعه مقابلة لها أثرها  
من الوجهة الفنية ولو أنك استمعت إلى النابغة في البيت التالي لشعرت أنه  
ينقلك إلى جو عاشق يهيم ويتأمل وتهفو نفسه برقة وحنان إلى آثار الحبيب بما

فيه من نعومة الحروف وكثرة المدود وحسن توزعها وجمال تركيب الألفاظ  
وذلك في قوله :

ميلوا إلى الدار من ليلي نحيها      نعمٌ ونسألها عن بعض أهلها  
كما ينقل إليك البحري صورة الذئب المرتعد الفرائص المصطك الأسنان  
المرتجف الفكين لشدة البرد والجوع بنغيات حروفه وتركيب ألفاظه في  
البيت الذي استشهدناه به في فصل سابق<sup>(١)</sup> أو كما ينقل إليك تنابع حركات  
الذئب السريع في ألفاظ قصيرة الأوزان متوالية الحركات في قوله :

عوى ثم أقمى فارتجزت فهجته      فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

وقد بلغت هذه الخاصة الموسيقية ذروتها في التركيب القرآني الرائع  
حيث تناسق المعاني والنعيمات والفكرة والجرس أحسن تناسق فاستمع إلى  
هذه الآيات الكريمة التي تصور لك عدو الخيل : « والماديات ضبحاً فالموريات  
قدحا فالمغيرات صبحاً فأثرن به تقعا فوسطن به جمعا » واستمع إلى الآيات  
الأخرى تنقل إليك حسرة رجل ممن استحقوا النار بمعلمهم وتأوهات المصورة  
في هذه الألفاظ في معانيها ونعماها :

---

(١) انظر ص ٢٦٢.

« يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسايه ياليتها كانت القاضية » .

أثر أوزان الألفاظ في جمال الكتابة العربية :

وإني أذهب إلى أن أوزان الألفاظ العربية أكتسبت الكتابة العربية جمالاً  
تربينياً خاصاً ذلك أن الألفاظ التي تكون على وزن واحد تشابه أشكالها  
الكتابية ولا أقول تماثل لاختلاف الحروف الأصلية وذلك مثل ( كاتب  
وقائع وشارب ) ومثل ( مكرمون ومقدمون ومطعمون ) فإذا ركبت هذه  
الكلمات في تراكيب كلامية كان منها ما يشبه الزخارف العربية ففيها تماثل  
وتكرار وتشابه وتقارب ثم اختلاف وتنوع فتمتزج التماثلات والمتشابهات  
والمختلفات امتزاجاً يعطي صورة مرئية في الكتابة ورسم الألفاظ تشابه خصائصها  
خصائص الفن العربي في الغناء والرسم التزييني أو الزخارف .

الصيغ بين الثبات والتطور :

ولو تأمل ناظر في لغة العرب وفحص هذه الأبنية والأوزان عبر العصور  
التوالي لوجد أن الثبات غالب عليها فصيغة الفاعل والمفعول من مختلف أوزان  
الأفعال وصيغ المكان والزمان والتفضيل لم تتبدل منذ العصر الجاهلي حتى  
عصرنا الحاضر وليس من حاجة في الحقيقة إلى تبديلها لأن ما تدل عليه من  
معان كلية أو من قوالب فكرية كعنى الفاعلية والمفعولية والمكانية ثابت

لا يتغير والممكن حصوله هو أن تنشأ في ذهن الانسان خلال تطوره الفكري والاجتماعي معان كلية جديدة تحتاج إلى قوالب أو صيغ جديدة . وقد حدث شي من هذا في تاريخ العربية فقد استعمل في العصر العباسي ما سموه المصدر الصناعي كالإنسانية والحيوانية وإن كانت الصيغة التي استعملت ليست إلا صيغة النسب المعروفة مع تاء الاسمية التي تلحق بعض الصفات فنقلها إلى الاسمية كالكافلة والساعة وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة لحاجتنا إليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية والاشتراكية كما استعملها مثل هذا الغرض أهل العصر العباسي ولا سيما الفلاسفة والمتكلمون .

إن من الجائز أن يكون قد حدث تطور في عهد بعيد سبق العصر الجاهلي المعروف فأُمنيتْ صيغ وبقيت بواق قليلة تدل عليها وعاشت أخرى ونمت ولعل هذا هو السبب في بقاء بعض ألفاظ محدودة على صيغ وأوزان غدت ميتة لا يصاغ اليوم على مثالها مثل وزن فعَلوت كملكوت وجبروت ولكن اللغة استقرت منذ زمن طويل على أوزان وصيغ لم تتغير .

إن لبعض الأوزان أكثر من معنى واحد كوزن ( فعَال ) الدال على مبالغة اسم الفاعل مثل فتاك وكذاب وعلى الصنعة والحرفة مثل عطار ويقال وخباز وكوزن ( فعِيل ) فانه يدل على الأصوات مثل الصهيل والأزيز وعلى

الصفات والطباع مثل كريم وبخيل وقد يكون تعدد معاني الأوزان دليلاً على تطور معانيها ودلالاتها ولكن ذلك كله لا يغير حكمنا على الأوزان فلو نظرنا إليها في جملتها وفي مختلف العصور لوجدناها بالجملة ثابتة وما طرأ عليها من التبديل إما أن يكون قديماً قبل أن تستقر اللغة العربية على حالها التي استقرت عليها بعد نضجها واكتمالها منذ عصور بعيدة في القدم أو أن يكون هذا التبديل ضئيلاً أو محدوداً بحيث لا يغير حكمنا العام عليها . ولا يقال في هذا الباب إن هذا يسبب جمود العربية وقصورها فإن الجواب عن ذلك أن العربية على حالتها الحاضرة من حيث الأبنية والصيغ غنية غنى لا تضارعها فيه لغة أخرى من اللغات الراقية التي تني بحاجات الإنسان في مثل هذا العصر الذي نحن فيه وإن الصيغ ليست إلا قوالب عامة للمعاني وقد دلت التجربة خلال قرون طويلة وفي ميادين مختلفة أن هذه الصيغ كافية لسد الحاجة .

ويكفي للاقتناع بهذه الحقيقة أن نعود إلى اللغة الفرنسية أو الانكليزية مثلاً ونستعرض ما فيها من صيغ وأبنية على طريقتها الخاصة في إضافة السوابق واللواحق الملصقة بالألفاظ في أولها أو آخرها فسنجدها محدودة قليلة العدد جداً إذا قيست بما في العربية من صيغ وأوزان مع ملاحظة ما قلناه عن اختلاف الطريقتين فطريقة العربية طريقة صياغة في قوالب وبناء في هياكل

وأشكال وأوزان بنمات ومقاطع وطريقة اللغات الهندية الأوربية هي طريقة النحت أو الإلصاق .

ان أوزان العربية وبنيتها هي امرى مفوماتها وخصائصها المميزة وهي كما بينا تقوم بوظيفة فكرية منطقية وبنوية فنية ، والإخلال بها وإفسادها إفساد لنظام اللغة وإخلال بانسجامها . ولذلك كان العرب إذا أدخلوا كلمة أعجمية احتاجوا إليها في لغتهم صاغوها على نموذج من نماذج ألفاظهم وبنوها على أحد أبنيتهم وجعلوها على أحد أوزانهم في غالب الأحوال كما فعلوا في إقليد وصراط وقسطاس، وفي أحوال أخرى قليلة تركوها على وزنها كآجر ولاسيما في أسماء الأعلام كخوارزم . ومن الواجب حين التعريب سلوك هذه الطريقة وإلا فلو أدخلنا الكلمات الأجنبية على ما هي عليه من وزن وصيغة وغدت هذه الكلمات كثيرة لاختل نظام العربية بكثرة الدخيل .

نوبير الكلمة وتكونها من مادة وصيغة :

الكلمة العربية كما ظهر من نظراتنا السابقة تتكون من مادة هي أصلها الذي ترجع إليه وتشارك فيه مع قريناتها الأخرى ومن هيئة تركيب أو صيغة أو بناء تركيب فيه مادتها وهذه هي الطريقة التي تولد بها العربية ألفاظاً جديدة لتفي بالحاجات الجديدة وتعبر عن المعاني المستحدثة ، وهي الطريقة

المسماة بالاشتقاق وسنبحث في فصل قادم إن شاء الله عن طريق العرب في اختيار المادة التي منها يشتقون اللفظ الجديد للمعنى الجديد . ووضع الألفاظ الجديدة عن طريق الاشتقاق هو السنة المنبئة والقاعدة الغالبة التي يتبعها العرب في انتمهم أما طريق النحت وهو إدغام لفظين ودمجها في لفظ واحد فطريق قلما يسلكونه ونهج قلما يتبعونه وإن جرى به لسانهم في مثل بسمل وحوقل وعبشمي وادعاء أن الرباعي والخماسي كلاهما يرجع إلى ثلاثين نحت منها لفظ واحد قد يكون حقاً ولكنه يعود إلى تاريخ اللغة ومراحلها الماضية لا إلى مرحلتها الأخيرة المستقرة التي غدا لنحت فيها طريقاً لا يسلكه العرب إلا في النادر من الأحوال وكذلك التعريب وهو إدخال اللفظ الأعجمي في العربية بعد تبديله وتهذيبه في لفظه ووزنه بما يناسب العربية فقليل كذلك بل في غاية القلة إذا قيس بالألفاظ المولدة من أصول عربية عن طريق الاشتقاق .

#### اللفظة العربية والطبيعة :

إن ما ذكرناه من خصائص الكلمة العربية في تركيبها ومادتها وفي بنائها وهيئتها يجعل بين اللغة العربية والطبيعة تشابهاً قوياً ففي الطبيعة أنواع من الأجسام مختلفة يرجع اختلافها إلى اختلاف تركيب مادتها التي تتكون منها ومن هنا كذلك ينشأ ما بينها أحياناً من تشابه لا اشتراكها في بعض الأجزاء



أو العناصر والذرات المكونة لها كالمعادن والنباتات والحيوانات بأنواعها وأجزائها . وهي على كثرتها ترجع إلى عناصر بسيطة محدودة العدد وترجع هذه العناصر كذلك إلى وحدة يظهر اختلافها باختلاف تركيبها الذري . وكذلك اللغة العربية في اختلاف كلماتها التي تكاد لا تحصى ورجوع هذه الكلمات إلى عناصر محدودة ثابتة هي الحروف التي باختلاف تركيبها تنشأ أجناس الكلم أو أصولها وموادها وتختلف مفردات الأصل في العربية كما يختلف أفراد الجنس الواحد في الطبيعة .

وإنك لتجد في الطبيعة تشابهاً ونمطية وتكرراً فورك شجر التفاح متشابه متكرر وكذلك جذوع النخل ومخالب النسور ومناقير العصافير وأيدي البشر ورؤوس الخيل وهكذا في كل نوع من أنواع الموجودات وكذلك تتشابه الكلمات على صيغة واحدة ووزن واحد فكل مادة أو أصل من أصول الألفاظ لفظ على بناء الفاعل ولفظ على بناء المفعول والمكان والزمان و... كما أن لكل شجرة منها كان نوعها أوراقاً وأغصاناً وجذعاً وثمراتٍ تتشابه الأوراق وتتشابه الأغصان وتتشابه الجذوع والثمار .

ولكل فرد من أفراد الجنس الواحد في الطبيعة ذاتيته مع مشابهته لسائر

أفراد الجنس وكذلك ألفاظ العربية فلكل لفظ ذاتية الخاصة على مشابهته لسائر الألفاظ المشتركة معه في الأصل أو في البناء والصيغة . وهذه الذاتية ناشئة من حياة اللفظ وملابساته وتقلباته خلال المصور في مختلف المجالات والبيئات .

وفي الطبيعة تسلسل وتوارث سواء في المادة التي تتكرر في كل أفراد النوع الموجودين والذين سيولدون أو في خصائص المادة وروحها وجوهرها فتوارث الخصائص والصفات والفرائز ويستمر النوع في أفراده . وكذلك اللغة العربية تستمر وتوارث مادة حروفها أو أصول موادها كما تتوارث أصول معانيها . وفي الطبيعة محافظة وتجديد وكذلك في العربية محافظة على بعض العناصر الصوتية والمعنوية وتوليد وتجديد لفردات جديدة ومعان جديدة من أصول المواد والمعاني الموروثة .

## التعريب

إن لغة العرب لغة ذات نظام منسجم متماسك يشد بعضه بعضاً ، تجري فيها الألفاظ على نسق خاص ، في حروفها وأصواتها ، وفي مادتها وتركيبها ، وفي هيئتها وبنائها ، كما كان لمجتمع العرب نظام في ارتباط أفرادها وقبائله ، في صلات القربى والنسب وصلات التضامن والتعاون ، وله سننه في السلوك والخلق لا يستطيع الفرد الخروج عليها بل ينشأ منطبعاً عليها ومنساقاً إليها . ولذلك كان دخول الغريب في قبيلة أمراً لا بد من معالجته معالجة لا تخل بتماسك المجتمع وقواعده المنسجمة فكانوا يقبلونه بينهم على أنه جار لهم يحمونه أو يلحقونه بهم بالولاء فيكون مولى لإحدى القبائل العربية . ومعنى الولاء المناصرة فهو مولاهم وهم مواليه ، أي أنه نصيرهم وهم نصراؤه ، ولا بد له في هذه الحال من أن يسلك مسلكهم في الحياة في عاداتهم وأخلاقهم . وإن دخول الكلمة الغريبة في اللغة العربية شبيه بدخول الغريب في العرب والتحاقه بإحدى قبائلهم كما سيبدو لنا من هذا البحث وإن إطلاق كلمة التعريب للدلالة على الألفاظ الأجنبية التي دخلت لغة العرب تشير إلى هذا المعنى فقد استعمل

أهل اللغات الأخرى للدلالة على المعنى نفسه لفظ النقل والاستعارة *emprunt* وأما التعبير العربي فيفيد أن الكلمة جنست وأصبحت من جنس كلام العرب .

التعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض . فاللغات تلتقي بالتقاء أصحابها في السلم والحرب ، وبالتجاور والاتصال أو الاحتلال والحكم ، في ميدان الثقافة والعلم ، أو في ميدان الاقتصاد والتجارة ، أو غير ذلك من ضروب الاتصال فيؤثر بعضها في بعض بوجه عام أو في ميادين محددة . ويختلف هذا التأثير قوة وضعفاً وفي كونه مزدوج الوجه بأن تتأثر كل لغة بالأخرى أو منفرداً واقماً من إحدى اللغتين على الأخرى ، كل ذلك يختلف باختلاف العوامل المؤثرة والحالات الواقعة . وأبرز ما يدعو إلى هذا الاختلاف من العوامل :

- ١ - تفاوت الشعبين أصحاب اللغتين في الثقافة والحضارة فالشعب الأرفع ثقافة تؤثر لغته في الشعب الأضعف حتى ولو كان هذا الفاتح المحتل .
- ٢ - طول الالتقاء من جهة المدة ، وعمقه وشدته ، وسعة ميادينه وآفاقه .
- ٣ - المناعة اللغوية الناشئة عن أسباب تعود إلى اللغة نفسها في قوتها وصلاحتها أو أسباب تعود إلى المناعة الدينية أو القومية .

أما آثار التقاء اللغة فتظهر في عناصر اللغة : في أصوات الحروف وفي المفردات وفي الصيغ والأبنية وفي تركيب الجمل وفي التعابير والأساليب .  
وليس التعريب الذي بحثه علماء اللغة قديماً إلا أحد مظاهر التقاء العربية بغيرها من اللغات وهو المفردات ولم يبحثوا في المظاهر الأخرى لانعدام التأثير أو ضعفه .

التقى العرب قبل الإسلام بشعوب قريبة منهم كالشعوب السامية أو بعيدة كالفرس والروم . ولكن التقاءهم هذا كان محدوداً ضعيفاً ضيق الأفق فكانوا يعيشون في جزيرتهم بعيدين عن تأثير الأمم الأخرى وكذلك لغتهم ، إلا ما كان من بعض المبادلات التجارية عن طريق القوافل العربية نفسها . أضف إلى ذلك اعتزازهم بأنفسهم وبلغتهم ، واعتقادهم الشرف في أنفسهم والخسة في غيرهم وهو عامل نفسي كبير الأثر في مثل هذا الموضوع . ولهذا كانت الألفاظ الدخيلة العربية في العصر الجاهلي قليلة محدودة تتصل ببعض ما كانوا يستجلبونه من الأشياء التي لم تكن عندهم وما كانوا يشاهدونه في بلاد غيرهم مما لا عهد لهم به أو ما هو من هذا القبيل ، وكل ذلك محصور في ألفاظ تدل على أشياء مادية لا على أمور معنوية وذلك مثل : كوب ومسك ومرجان ودرهم ودينار وفردوس واقليد وصراط وقنطار وقسطاس وصنم وسروال وخندق وقرطاس واستبرق .

### أثر العربية في اللغات الأخرى :

وأما بعد الوهم فقد التقت العربية بغيرها التقاءً أطول أمداً وأوسع أفقاً وأكثر تداخلاً . التقت بالفارسية والسريانية واليونانية والقبطية والبربرية ولكن جميع أسباب القوة والغلبة كانت إلى جانبها فقد أضيف إلى ما كانت عليه العربية في ذاتها من بناء قوي محكم ومادة غزيرة ولا سيما في المعنويات وسنن مطردة أنها أصبحت لغة الكتاب المنزل والرسالة المنتشرة في أطراف الأرض والأمة الحاكمة ، فكانت النتيجة انقراض بعض اللغات وملول العربية محلها في البلاد التي تم استعراؤها وكل بعد الإسلام كالعراق والشام ومصر وانزواء لغات أخرى كالبربرية في شمال أفريقيا وانحسار الفارسية إلى حدود بعيدة .

إن اللغة العربية هي التي حملت رسالة الإسلام فغنيت بألفاظ كثيرة جديدة للتعبير عن المفاهيم والأفكار والنظم وقواعد السلوك التي جاء بها الإسلام . وغدت لغة الدين والثقافة والحضارة والحكم في آن واحد . واستطاعت بما وهبها الله من خصائص وما تهيأ لها في تاريخ طويل سبق الإسلام أن تفي بهذه الحاجات الجديدة وأن تنهض بالعبء العظيم فتكون لغة الدولة الجديدة والحضارة الجديدة . حتى إن العربية غزت اللغات الأخرى خلال العصور التي

قلت للإسلام ابتداء من الفارسية التي دخلها عدد كبير جداً من الألفاظ العربية فلفات الشعوب التي اتصلت بالعرب ودانت بالإسلام كالتركية .

تأثر العربية بغيرها من اللغات :

وأصاب العربية في هذا الاتصال بعض التأثير فانتقلت إليها ألفاظ جديدة لم تكن فيها وتعلق كلها إلا النادر منها بالمحسوسات والماديات لا بالمعنويات كأسماء الأدوية والأطعمة والنباتات والحيوان وسؤن المعيشة أو الإدارة كالقننسة والعطلسان والبنفسج والبستان والباشق والكمك والفولاذ والجوسق والبرنامج والنموذج والمرجان والدرفس والكاغد والتزويق والأستاذ والتلميذ والديوان والساذج والسرداب والسكر والترجس والياسمين والجوهر والهيولي والفلسفة والسفسطة والقانون . وأكثر هذه الألفاظ أخذت عن الفارسية وقليل منها أخذت عن اليونانية أو غيرها .

إن أثر اللغات الأجنبية في اللغة العربية اقتصر على دخول بعض المفردات الأجنبية في اللغة العربية وهو ما سماه علماء اللغة تهرباً كالألفاظ التي سردناها آنفاً . وأما المواطن الأخرى التي يحدث فيها التأثير عادة بين اللغات كالأصوات والصيغ والتراكيب فيكاد يكون تأثير اللغات الأخرى في العربية منعدماً فلم تنضج أصوات الحروف العربية ولا تأثرت أبنية العربية وأوزانها . وأما ما كان

من تطور التراكيب ومن طول الجمل وتداخلها وتشابك أجزائها وتمدها فهو في رأينا تطور طبيعي نشأ عن تطور الحياة والفكر بعد الإسلام . وليس هو تبديلاً أساسياً في تركيب الجملة العربية فقد بقي تركيب الجملة الاسمية والفعلية في صورها المختلفة ولم تتغير كذلك طريقة الإضافة والوصف ولا غيرها من أساليب العربية في تركيبها .

ولو عدنا بعد هذا إلى الناحية التي ظهر فيها تأثير اللغات الأجنبية وهي المفردات واستعرضنا ما ذكره المؤلفون وجمعه اللغويون من الألفاظ الدخيلة سواء قبل الإسلام أو بعده لوصلنا إلى النتائج التالية :

١ - إن عدد الألفاظ الأجنبية الدخيلة قليل جداً إذا نسب إلى عدد مفردات العربية أو إذا قيس بالألفاظ العربية التي دخلت اللغات الأخرى كالفارسية .

٢ - إن هذه الألفاظ التي دخلت العربية تتعلق بالحسيات لا بالمعنويات وأكثرها مما يدل على الأطعمة والألبسة والأدوات والمرافق والمصطلحات الإدارية وقليل منها من مصطلحات الفلسفة وما إليها وأما الألفاظ العربية التي دخلت اللغات الأخرى فهي مما يتصل بالمعنويات كالفاهيم الشرعية أو الخلقية والنفسية .



٣ - إن ما دخل العربية من ألفاظ غريبة لم يبق في أكثر الأحوال على ماله بل صيغ في قالب عربي فغيرت حروفه إذا كان فيه من الحروف ما ليس في العربية وبدل شكل تركيبه وبنائه حتى يوافق الأبنية العربية أو يكون قريباً منها كما يتبين لنا مما سنشرحه من طريقة العربية في نقل الألفاظ الأجنبية وتعريبها .

ولهذه النتائج التي عرضناها مغزاها ودلالاتها فهي تشير بوضوح إلى غنى اللغة العربية وغزارة مادتها ولا سيما في المنويات والمجردات واستغنائها في هذه الناحية عن غيرها فقد أعطت أكثر مما أخذت أعطت الأهم والأعلى وهو الألفاظ الدالة على المشاعر والأخلاق والأفكار ولم تحتج في هذا الميدان إلى غيرها بل احتاج غيرها إليها . وتدل هذه النتائج أيضاً على مناعة العربية وإحكام نظامها ومئاته فلم تسمح للفظ الغريب أن يدخل الخلل على نظامها والفساد على قواعدها ولذلك صهرته وغيرت معاملة حين قبلته وكان قبولها لمثل هذه الألفاظ بحدود ضيقة وحذر ولذلك كانت القافية والوكثار منه الغريب وفسح المجال له من غير قيد مظهر أمن مظاهر النزعة الشعبية في المبدآن اللغوي قديماً وحديثاً .

ولو نظرنا إلى الموضوع من وجهه الآخر أي من جهة تأثير العربية في

اللغات الأخرى لوجدنا محل القول واسماً ولالفينا تأثير العربية في الأصوات والحروف وفي المفردات والمعاني وفي التراكيب قوياً واضحاً ولكن هذا البحث لا يبحثه علماء العربية وإنما يبحثه علماء اللغات الأخرى التي تأثرت بالعربية .

وكلامنا هنا مقصور على الفصحى أما تأثير اللغات الأجنبية في اللهجات العامية فهو واقع منذ عهد بعيد وقد بدأ هذا التأثير منذ القرن الثاني والثالث للهجرة واستمر خلال العصور حتى كان تأثير اللغات الأجنبية في هذا العصر في لهجات البلاد العربية العامية ولكن الفصحى بقيت في منجاة من هذا التأثير إلا في الحدود الضيقة التي وصفناها .

طريقة العرب في نقل اللفاظ الأجنبية أو التعريب :

إن العرب حين يدخلون لفظاً أجنبياً في لغتهم يحدثون فيه غالباً التغيير الذي يجعله مجانساً لألفاظهم جارياً على قواعدهم منسجماً مع نظامهم ولا يشدون عن ذلك إلا قليلاً ومن نواحي هذا التغيير :

١ - تغيير حروف اللفظ الدخيل وذلك بنقص بعض الحروف أو زيادتها وذلك مثل كليدا وبرنامه وبنفشه ونهره ونشاستج فقد عربوها هكذا اقليد ورنامج وبنفسج وبهرج ونشاء . وقد يكون ذلك بإبدال الحرف الأجنبي

بحرف عربي قريب منه مثل بالوده وپرنده وپرادايس فقد جعلوها فالوذج  
وفرند و فردوس ومثل شكر وشلوار وكاووس وجك ، فقد قلبوها إلى سكر  
وسروال وقابوس وصك ، وخارزم بألف مماله نحو الضم فقد نقلوها إلى  
خوارزم .

٢ - تغيير الوزن والبناء حتى يوافق أوزان العربية ويناسب أبنيتها  
فيزيدون في حروفه أو ينقصون ويغيرون مدوده وحركاته حتى تم تلك الموافقة  
ويراعون بذلك سنن العربية الصوتية كمنع الابتداء بساكن أو الوقوف على  
متحرك أو توالي ساكنين فقد عدلوا عن پرزده إلى فرزدق وعن نشاسته إلى  
النشاء وعن كليلد إلى اقليد .

وأكثر ما بقي على وزنه وأصله من الألفاظ هو من الأعلام كسجستان  
ورامهرمز وقليل من غير الأعلام كآجر وفرند ومع ذلك فقد غيروا الأعلام  
أحياناً مثل كسرى وقابوس . وأرى أن بعض هذه الألفاظ التي يوم ظاهرها  
أنها مخالفة للأوزان العربية هي موافقة إذا راعينا تقسيمها إلى لفظين مدغمين  
يوافق كل منها وزناً عربياً كما لو قسمنا رامهرمز إلى جزئين . وبعضها  
يشابه الأوزان العربية ولو لم يكن منها مثل فرند على وزن فعل في العربية  
عُتِلَ على وزن فُعِلَ وهما متعادلان في الوزن وإن اختلفت الحركات .

إن العرب حين يدخلون اللفظ الأعجمي في لغتهم كما تبين لنا من هذه القواعد التي ذكرناها يغيرون بعض أشكاله ومظاهره في حروفه وبنائه حتى يكون شبيهاً بكلامهم وبجانباً لألفاظهم وحتى لا يخل بالنظام الصوتي والبنائي الذي تقوم عليه لغتهم .

ويعرف الدخيل في اللغة العربية من فقدان الصلة بينه وبين إحدى مواد الألفاظ العربية فإذا نظرنا إلى حروفه وعدنا إلى الأصل اللفظي الذي يمكن أن يكون مشتقاً منه فلم نجد له أصلاً أو وجدنا الصلة المعنوية منقطعة غلب على الظن أن اللفظ دخيل وذلك مثل كاعمد وساذج وبستان فلا نجد في العربية مادة كغد وسذج وبست وقد يقع الاشتباه لوجود أصل عربي يشابه الكلمة الدخيلة ولا بد حينئذ من البحث التاريخي عن اللفظ لمعرفة أصله كاشتباه لفظ إقليد ودخولها في مادة قلد ومنها القلادة وكالفولاذ وهو الحديد الصافي من الخبث قالوا إنه معرب من پولاد ويدخل في مادة فلذ ومعناها قطع وكالوزير يمكن أن تدخل في مادة وزر والوزر الحمل والثقل . ولكن مجرد صلتها بمادة عربية لا ينفي كونها دخيلة إذا ثبت ذلك عن طريق البحث التاريخي كما لا يحكم على لفظ عربي بكونه دخيلاً أعجمي الأصل بمجرد مشابهته للفظ مقابل في اللغة الأجنبية .

ومن القرائن الدالة على عجمة الأصل في الكلمة أن يجتمع فيها من  
الحروف ما لا يجتمع في الكلمة العربية كالجيم والقاف في جوسق وجرذقة  
والجيم والصاد في جص والجيم والطاء في طازج أو أن تكون على وزن  
ليس في العربية مثلاً كبريسم على وزن افمبلل وآجر على وزن فاعل .

\* \* \*

## خصائص معاني الألفاظ العربية<sup>(١)</sup>

طريقة العرب في وضع الألفاظ ونسبة المسميات :

إذا تجاوزنا البحث عن النشأة الأولى للألفاظ اللغة ونظرنا في طريقة وضع الألفاظ للمعاني الجديدة بعد أن أصبح للغة رأس مال من المفردات الدالة على المعاني وجدنا أن ذلك يكون باختيار صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته أو بعض أجزائه أو نواحيه أو تحديد وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الدال على صفته أو جزئه أو ناحيته أو وظيفته وفي هذا الموضع تختلف الأئمة وتفاوتت في نظرتها إلى الأشياء وفي وضعها للألفاظ الحديثة التي تطاقها على المسميات .

ولننظر في أمثلة قديمة وحديثة من الألفاظ العربية ونأمل في الصلة بين المدلول الأصلي للفظ والمعنى المقصود منه أو الشيء المسمى فمن الألفاظ القديمة السهل والسماء والقلب والعمادة والإنسان والبيت والعقل والفضل والشرف يلاحظ في هذه الألفاظ أن العرب اختاروا صفة السهولة في السهل والسمو

---

(١) انظر ص ١٥٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

في السماء والتقلب في القلب والموود والتكرار في العادة والأنس في الإنسان والمبيت في البيت والعقل وهو الربط في العقل لأنه بعقل صاحبه عن الشر والفضل وهو الزيادة في الفضل المنوي والارتفاع في الشرف ولو نظرنا إلى هذه الألفاظ الأخرى : عامل ووال وجهاد وزكاة وهي ألفاظ نشأت بمد الإسلام ووضعت لمعان جديدة لوجدنا أنها أخذت من العمل والولاية والجهد والزكاة بمعنى النماء أو الطهارة ومثل ذلك قل عن الألفاظ المستحدثة في عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من النظر والدبابة من دب على الأرض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين فروع العلم المختلفة . ولو قايست وقابلت بين هذه الألفاظ وأمثالها من اللغات الأخرى كالفرنسية والانكليزية لوجدت اختلافاً في طريقة التسمية وفي اختيار الصفة التي بها تكون التسمية . فانه يلاحظ أولاً أن اللغات الأخرى قلما تحتفظ بالمعاني الأصلية الدالة على أمثال هذه المسميات ، أما العربية فهي في غالب الأحوال تحتفظ بالمعاني الأصلية للألفاظ التي تطلقها على مسميات جديدة كما هي الحال في الألفاظ التي استشهدنا بها . وبذلك تبقى علة التسمية ظاهرة في الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لأدنى تأمل ونظر . وقد تدق أحياناً وتخفى أحياناً أخرى ، تألفاظ العربية في الجملة معللة .

أما الناحية الأخرى في هذا الباب فهي طريقة التسمية أو طريقة اختيار  
الصفة التي بها تكون التسمية فبينما نرى الفرنسي مثلا قد أطلق لفظ bicyclette  
أي ذات الدولابين على أداة الركوب المعروفة بهذا الاسم عندهم أطلق عليها  
العربي لفظ الدراجة فالفرنسي حلها إلى أجزائها ونظر إلى تركيبها وإلى حالتها  
الساكنة ونظر العربي إلى وظيفة عملها وحركتها فسمها دراجة وكذلك  
السيارة سماها الفرنسي automobile أي المتحرك بنفسه وسماها العربي بلفظ يدل  
على عملها ، وكذلك قل في المكواه وهي في الفرنسية fer à repasser أي الحديد  
التي يتكرر امرارها وفي المطار وهو في الفرنسي aérodrome ومعناها الحرفي  
السباق الجوي وفي الإنكليزي airport أي الميناء الجوي وقد تكون التسمية  
فيها مشبهة للطريقة العربية في الدلالة على العمل أو الصفة البارزة كلفظ  
moteur أي المحرك .

إن العرب يذهبون حين التسمية إلى أخص صفات المسمى وأبرزها  
أو إلى عمله الأساسي ووظيفته أكثر من ذهابهم إلى ظاهره وشكله الخارجي  
أو تركيبه وأجزائه ، له تأملت في الألفاظ التي سردناها في بدء كلامنا  
واعتبرت هذا الذي لوجدته قائما فيها ولو نظرت كذلك إلى ما نشأ من الألفاظ



واستحدثت من المصطلحات بمد الإسلام لوجدت الصلة واضحة بين معاني الألفاظ الأصلية ومدلولاتها. وذلك مثل ألفاظ الاستعارة والنمجاز والموازنة والتفرد والتأفلة والكبيرة والعرض والظرف والتمييز والحال. بل إنك لتجد ذلك واضحاً في كثير من الألفاظ القديمة والمعروف والمنكر والباطل والتمر والطريق والنبع والمنزل والقباء والبساط والوعاء. ألا ترى أن أخص صفة في النبات تميزه من غيره هي صفة النمو وأنهم سموه نباتاً لذلك، وأن أخص صفة في المبرون الحياة وفي الإنسان الأنس وفي الممرن اللبث في مكانه من الأرض وفي الدين الخضوع والطاعة والجزاء والحساب.

وقد تختار العرب في الشيء صفتين أو أكثر من صفاته فتجعل له اسمين أو أسماء باعتبار تلك الصفات وتنشأ بسبب ذلك بمض الألفاظ المترادفة ولكنهم يستعملون كل لفظ منها في الموضع الذي يناسب تلك الصفة أنظر إلى قوله تعالى (وصاكم ترضونها) حيث استعمل لفظ المسكن للدار مراعاة لمعنى السكنية التي تحصل للإنسان، والمناسبة في الآية هي حب الإنسان لمسكنه وترجيحه إياه على الجهاد. ثم انظر إلى قوله (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى

تستأنسوا) مراعاة لمعنى بيتوته الانسان في داره حيث لا يتورع عن التبذل في لبسه وهيئته وذلك ادعى لمنع دخول بيوت الناس من غير استئذان .

مبارة العرب وتكبيرهم في مفردات لغتهم :

ومن هنا كانت الصلة قوية بين مفردات اللغة وعقلية اصحابها وعاداتهم فالالفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم الى الاشياء . ذلك ان في تسميتهم لها باسم بينه ، وفي اطلاق لفظ دون غيره عليه ، واختيار صفة من صفاته ، ما يدل على اتجاههم في التفكير ، وفهمهم للاشياء ونظرتهم اليها . فاستعمالهم العامل للوالي والحاكم يدل على أنهم فهموا الولاية بعد الاسلام على أنها عمل من الأعمال . واستعمالهم لفظ المرء والمرأة يدل على تساوي الرجل والمرأة في الأصل عندهم ولفظ المرورة مشتق منها معاً ومعناه الصفات المستحسنة المأخوذة من أخلاق الانسان ذكراً كان أو أنثى . وكلمة العقل المأخوذة من معنى الربط تدل على أنهم يفهمون العقل زاجراً عن الشر ويبتغون فيه الجانب الخلقى لا الجانب الفكرى وحده . ولفظ المكان وهو اسم مكان من كان بمعنى وجد يدل على أنهم فهموا المكان على أنه ظرف للوجود . ولفظ اليمين سميت به اليد اليمنى لاعتقاد البركة والخير والتفاؤل باليمنى وأما اليمين بمعنى الحلف فسمي كذلك لأن المتحالفين كان أحدهما يصفق

بيمينه على يمين صاحبه»<sup>(١)</sup> وسميت صفة البيع كذلك لأن المتبايعين يصفق أحدهما يد الآخر وتلك عادة جارية للمتبايعين<sup>(٢)</sup> وسمي الجار جاراً من مادة ج و ر ومعناها الظلم لأنه يُحمى من الجور ؛ يحميه من دخل في جواره .

اللغة العربية وتصنيف الموجودات :

إن مفردات كل لغة من اللغات تعطي صورة الوجود عند أهل تلك اللغة وكل واحدة منها تدل على جنس أو نوع أو صنف من أصناف الموجودات المادية أو المنوية . ذلك أن كل كلمة من الكلمات ، في أي لغة من اللغات ، يدخل تحتمها أفراد كثيرة كالشجرة والحصان والنهر والفرح والفضب ، فتحت كل انظ منها عدد لا يحصى من الأفراد أو الحوادث جمعت كلها تحت عنوان واحد ، وجعلت صنفاً واحداً . ولذلك كانت مفردات كل لغة من اللغات ضرباً من التصنيف للموجودات .

ولو نظرنا إلى العربية من هذه الوجهة لوجدنا أنها تضمنت تصنيفاً شاملاً يدهش المتأمل منذ عهدها القديمة حتى ظهور الإسلام . ذلك أنك تجد في العربية ألفاظاً تدل على الموجودات بمجموعها كلفظ العالم والعالمين ويشتمل على الخلق كله كما قال الزجاج . ثم تجد تقسيماً للوجود إلى ما يدرك بالحس وهو

(١) و (٢) المقاييس لابن فارس .

عالم الشهادة ، وما هو مغيب عن الحس وهو عالم الغيب ، وهما لفظان قرآنيان .  
وتجد ألقاظ الوجود والعدم والمكان والزمان والرهو والادبر والازل . وتجد  
في العربية ما يدل على أنواع الموجودات النبات والحيوان ، ثم تجد للحيوان  
كذلك أنواعاً منها الانسان والوحوش والطيور وأنواعاً أخرى للحيوان فيما عدا  
الانسان من السباع والبهائم والسوام والحشرات والجوارح واللغات . وتجد  
مثل هذا التصنيف للأخلاق والمشارع والمظالم والقالب والحاسن والمساوي  
والفرح والحزن .

إن مفردات اللغة العربية تدل على أن العرب صنفوا الوجود تصنيفاً  
شاملاً دقيقاً منطقياً يدعو إلى الدهشة والتعجب ويدل على مستوى فكري قلما  
وصلت إليه الأمم في مثل هذا الطور المبكر من تاريخ حياتها .

#### الحسيات والمجردات :

واللغة العربية في تصويرها الوجود وتعبيرها عن أجزائه وتصنيفها له إلى  
أنواع وأجناس لم تقتصر على الحسيات كما تقتصر كل لغة في طورها الابتدائي  
فالاعتصار على الحسيات دليل على ابتدائية اللغة وعلى عجزها عن التجريد والتعبير  
عن المعنويات والمجردات .

ولو استقصينا ألقاظ العربية لوجدنا فيها ما لا يكاد يحصى من الألقاظ

الدالة على الحسيات من أرض وسما وحيوان ونبات وجماد ومن حركات وأفعال ومن ألوان وأصوات وروائح وهيثات ومن صفات حسية تتصف بها كل هذه الموجودات كصفات الأرض من سهولة ووعورة وصفات الحيوان والإنسان .

وهكذا نجد أن اللغة العربية قد عنيت بالحسيات ، من الذرة والهباء المتثور حتى الأفلاك والسما والكواكب ، وبأنواعها المختلفة وآفاقها الواسعة ودقائقها الخفية ولكنها لم تهمل المنويات والمجردات .

فاننا نجد في العربية سعة وغزارة في التعبير عن أنواع العواطف والمشاعر الانسانية ، كالسرور والحزن والغضب والكبر والحب والبغض والغيرة والشماتة ، في أدق معانيها ومختلف درجاتها وفروقها . كما أنها اشتملت على الكلمات الدالة على الطباع كالذكاء والحزم والحلم والشجاعة والجبين والكرم والبخل ، وعلى الأفعال والمفاهيم الخلقية كالأحسان والبر والعدل والظلم والحق والباطل والخير والشر .

واشتملت العربية كذلك على المفاهيم الكلية والمعاني المجردة كالوجود والعدم والحدوث والتقدم والروح والنفس والخلق والقضاء والقدر والحكم والهدى والضلال والخلود والزمان والحياة والموت والفناء والجمال .

ومن استعراض الآفاق المادية والمعنوية في لغة العرب تبدو لنا  
الملاحظات التالية :

١ - جمع العرب في لغتهم بين الواقعية الحسية والمثالية المعنوية فدلوا بما  
عندهم من ألفاظ تدل على المحسوسات على واقعية في التفكير كان مظهرها  
اللغوي الواقعية في التعبير .

٢ - ولكنهم لم يقفوا عند الحياة المادية في حياتهم ولا في لغتهم ،  
بل تجاوزوها إلى الحياة المعنوية والمثالية التي عبروا عنها بلغتهم كذلك فدلوا  
بذلك على اتجاههم المثالي ونزوعهم المعنوي . ولكن مثالياتهم هذه ليست  
مثالية خيالية مجردة من الحياة بل هي امتداد للواقعية وتسام بها وتجريد وغاية  
لها ولذلك لم تتنافيا .

٣ - التجريد دليل ارتقاء العقل ، والمادية دليل الاتصال بالواقع ،  
وقد بلغ العربي في كلا المجالين الغاية القصوى والدرجة العليا ، ووصل بينهما .  
ولئن عبر عن المعنويات بالتعابير المادية في أول أمره ، كما هي حال الأمم جميعاً ،  
فقال العقل والوعي والادراك والشرف والفضل ، وكلها في الأصل تدل  
على معانٍ محسوسة ، فقد نزع بعد ذلك للتعبير عن الماديات بالتعابير المعنوية أو  
التي كثر استعمالها للمعنويات . قال الله تعالى في وصف البساتين أو الجنات

(كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) وقال (طغى الماء) و (ريح صرصر هاتية). وقال الجاحظ فيمن يتعلم لغتين (لا بد أن تدخل إحداها الضمير على الأخرى). وإذا كانت بعض هذه التعابير مجازية فإن كثيراً منها يروج وينتشر حتى يصبح استعماله حقيقة لا مجازاً.

#### الرفق والخصوص والعموم :

إن المتكلم في أي لغة من اللغات لا يستطيع أن ينقل إلى مخاطبه الصورة الحقيقية المخصوصة التي يريد نقلها والإخبار عنها بجميع دقائقها وجزئياتها وذلك لأن اللغة إنما تقدم له ألفاظاً تدل على عموميات وكليات وأنواع وأجناس. فإذا قال قدمت تحت الشجرة أو ركبت السيارة أو حزنت لخبر مؤلم لم يستطع مخاطبه ل مجرد سماعه هذه العبارات أن يتصور تلك الشجرة التي أرادها بذاتها ولا هيئة القمود ولا السيارة المقصودة بينها ولا هيئة الركوب ولا درجة الحزن وحقيقة الخبر وذلك لأن هذه الألفاظ كلها عامة يندرج تحتها أنواع أو أفراد لا تحصى من الشجر والسيارات والأخبار وهيئات القمود والركوب ودرجات الحزن والألم.

ولكن اللغات تنفوت في قدرتها على تصوير الأشياء والموجدات في

دقاتها والتمييز بين أنواعها وأحوالها والتعبير عن العواطف والمشاعر في مختلف درجاتها وألوانها .

وتمتاز اللغة العربية بدقة تمييزها والقدرة على تمييز الأنواع المتباينة والأفراد المتفاوتة والأحوال المختلفة سواء في ذلك الأمور الحسية والمعنوية ولنضرب الأمثلة لذلك :

فالمشي عام ودرج للصبي الصغير ، ومبا للرضيع ، ومجمل للغلام أن يرفع رجلاً ويمشي على أخرى ، وفطر الشاب باهتزاز ونشاط ، ودلف الشيخ مشى رويداً بخطا متقاربة ، وهرج مشى مثقلاً ، ورسف للمقيد ، واخنال وتبختر وتخلج واطمع وهول وتهادى وتأورد أنواع من المشي<sup>(١)</sup> .

والنظر عام ورمه نظر إليه بمجامع عينيه ، ولحظه نظر إليه من جانب أذنه ، ولحم نظر إليه بمجلة ، وهرجه بحدة ، ونظر إليه سزراً أي نظر العداوة ، واستسف الثوب رفعه لينظر إلى صفاقته ، واستكف واستسرفه نظر إليه واضماً يده على حاجبه من الشمس ، ومرفق جمع عينيه لشدة النظر والتصنع النظر في كتاب أو حساب ليكشف صحيحه من سقيم<sup>(٢)</sup> .

(١) فقه اللغة للشالي الطبعة الأولى ص ١٥١ .

(٢) فقه اللغة للشالي الطبعة الأولى ص ٨٢ .



والطيران عام والدف والاسخاف والرفرفة والتلحين والتدوير والرفيف  
أنواع مختلفة له<sup>(١)</sup>.

والصوت عام والرز والركز والريمنة والندرة والنغم والنانة والهمس  
والصباح والصراخ والصخب والريضة والتعب والتعيق والرهبر والرهرة واللفظ  
والفمنعة والفضضاء والجلبة والرفاف والرهمة والرينين والرفير والتربيق  
والفصيح والغليظ والتخبر والكبر والفرقة كلها أنواع من الصوت، ولأصوات  
الإبل والخليل والسباع والطيور والحشرات والمياه والنار وغيرها أسماء  
كثيرة جداً.<sup>(٢)</sup>

والثوب لفظ عام والثف والثبّر والمبسن والمنطّب والمبسر والمفوف  
والمرهم والمعمّر والمرّج والمرهلّ والمكعب والمفلس والمجّل لأشكال من  
التياب تختلف في رقتها أو في نقوشها. والمنهولة ثوب رقيق يلبس تحت ثوب  
صفيق، والمنزة ثوب يتبذله الرجل في منزله، والمبرع ثوب يجعل وقاية لغيره،  
والنامة والقطيفة ما يتدثر به من ثياب النوم، والسعار ما يلي الجسد، والرتار  
ما يلي الشعار إلى غير ذلك من أصناف الثياب الكثيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) فقه اللغة للثعالي الطبعة الأولى ص ١٥٧.

(٢) فقه اللغة للثعالي الطبعة الأولى ص ١٦٤ - ١٧٥.

(٣) فقه اللغة للثعالي ص ١٩١.

ولو نظرت في كتاب فقه اللغة للثعالبي وهو مجلد صغير أو في كتاب  
المخصص لابن سيده وهو كتاب كبير يقع في سبعة عشر جزءاً لو وجدت تحت  
كل نوع من أنواع الموجودات وكل ضرب من ضروب الأشياء والنبات  
والحيوان والآلات والمرافق وصفاتها عدداً كبيراً من المفردات المختلفة  
في معانيها ودلالاتها .

وتجد كذلك للاحاساس والمشاعر ألفاظاً كثيرة وتماير دقيقة فللحاجة  
إلى الطعام مراتب أولها الجوع ثم السّفْب ثم الفسْرَت ثم الطوى ثم الحمض ثم  
الضرم ثم السّعار . وكذلك الحاجة إلى الماء أولها العطس ثم الظمأ ثم الصدى  
ثم الفسْد ثم الأوام . والسرور أنواع ومراتب منها الجذل والابترهاج  
والاستبشار والارتباح والفرح والمرح والغبطة والطلب . والحزن كذلك  
درجات وأنواع منها الكمر والبس والكرب والأسى والوجوم والكآبة والغم  
والفزع والخسة والأسف والنرم والرهيم والسّجن . والغضب منه السخط  
والغبط والحرر والحنق .

اقتران الألفاظ وعين مطابقها :

ومن ضروب الدقة ما يظهر في اقتران الألفاظ بعضها ببعض فقد خصص  
العرب ألفاظاً لألفاظ وقرنوا كلمات بأخرى ولم يقرنوها بغيرها ولو كان

المعنى واحداً ، فقد قالوا في وصف شدة الشيء : ربيع عاصف وبرد قارس وحر لافح ، وفي وصف اللين : فراش وثير وثوب لين وبشرة ناعمة وغصن لدن وفي الوصف بالامتلاء : كأس دهاق وبحر ظام ونهر طافح ووادي زاخر وفلك مشحون ومجلس غاص . كما قالوا قلب فارغ ودار خاوية وأرض قفر . وقالوا في الوصف بالجدّة : ثوب جديد ولحم طري وشراب حديث وشباب غضّ ، وقالوا : رقع الثوب ورأب الالباء ، وقالوا : كاتب بارع وخطيب مصقع وطبيب نظاسي وصانع ماهر للوصف بالمهارة في الكتابة والخطابة والطب والصنعة . وقالوا : صفوة الشراب وخلاصة السمن ولباب البر وسلاف العصير ولب الجوز ومخ العظم وواسطة القلادة . وإذا وصفوا الشيء بالارتفاع الحقيقي أو المجازي خصصوا كذلك ألفاظاً بألفاظ فقالوا نخلة باسقة وجبل شاهق وشامخ ومجد باذخ .

لا شك أن هذا التخصيص في تراكيب امرية في النعت والاضافة والاستناد نوع من الدقة في التعبير لأن هذه الألفاظ المخصصة ببعض المعاني والأحوال توحى إلى السامع الصورة الخاصة التي تقترن معها فلفظ باسق يوحى إلى الذهن معنى الارتفاع وصورة الشجرة معاً كما توحى كلمة وثير معنى اللين وصورة الفراش وكثيراً ما يحتاج المتكلم أن ينقل إلى مخاطبه هذه المعاني والصور

متلازمة مقترنة ليكون أصدق تصويراً وأدق تمبيراً وأقدر على حصر الصورة المنقولة وتحديددها .

منزلة التخصيص والرفق والتعميم في اللغة :

إن غلبة الألفاظ الخاصة الدالة على مدلولات معينة مخصوصة ولا سيما في مجال المحسوسات مع فقدان الألفاظ الدالة على المعاني العامة والمجردة أو ندرتها وقلتها قرينة دالة على ابتدائية اللغة وأصحابها وعجزهم عن التعميم والتجريد . ذلك أن الانسان في حالته الابتدائية ينزع إلى تسمية الأحوال الخاصة فللبقرة البيضاء عنده اسم وللبقرة السوداء اسم آخر ولكل شجرة اسم خاص .

وقد تكون الدقة في التسمية والتخصيص في اللغة دليلاً على بلوغ أصحاب تلك اللغة درجة عالية في دقة التفكير واتصافهم بعزلة الوضوح وتحديد المقصود تحديداً يقتضيه المنطق العلمي . واللغة العربية لا ينطبق عليها وصف الابتدائية لكثرة ما فيها من الألفاظ الدالة على الكليات والمفاهيم والمعاني العامة والمجردة . وذلك قرينة على أن ما فيها من الدقة والتخصيص إنما هو ناشئ عن دقة التفكير وتحديد الدلالة ووضوح الذهن . ولو استعرضت شيئاً من الشعر الجاهلي لوجدت فيه العجب المجاب في دقة الوصف كوصف بعض

أنواع الحيوان والصيد وصفاً يتضمن الجزئيات والتفصيلات في الألوان والأشكال والحركات والمشاعر ولوجدت فيه كذلك من شعر الحكم ما يتضمن قواعد عامة في الحياة ومعاني تبلغ درجة عالية من التعميم والتجريد وأداة ذلك كله مفردات اللغة .

إن رقة التعبير والتخصيص سبيل من سبل تكوين الفكر العلمي الواضع المحدود تحتاج إليه كل أمة في تربية أبنائها على التفكير الواضح الدقيق الذي يمدم للعمل والبحث العلمي . ولا يمكن أن تكون اللغة البعيدة عن الدقة المتصفة بالعموم أو الإبهام أو النموض أداة للتعبير عن الفكر العلمي الدقيق ولا بد من التقابل في الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير .

والتخصيص اللغوي والرفق في التعبير أداة يبرزها لغزيب ، يشاعر كأن أم ناثراً ، لتصوير دقائق الأشياء وإبرازها في جوانبها الخاصة المتميزة وصفاتها المنفردة وذاتيتها ، وللتعبير عن الأفعالات النفسية العابرة والمشاعر المتميزة والمواطف والنفسيات في أخص صفاتها وفي ألوانها الخاصة وفروقها الدقيقة وأجوانبها المحددة . إن ذلك كله يحتاج إليه الأديب في الوصف والقصة وفي الشعر العاطفي والأدب الوجداني والأدب الموضوعي .

ونحن اليوم في حاجة إلى بحث اللفظ الدقيق من لغتنا وإحياء الفروق بين

الألفاظ لتكون لدينا لغة تصلح أن تكون أداة لهضتنا العملية والأدبية وأداة لتكوين التفكير الدقيق السليم في تربتنا .

آفة الترادف والعموم والغموض :

ولقد أصاب العربية في عصور الانحطاط المنصرمة مرض العموم والغموض والابهام ، كما أصابت هذه الآفات التفكير نفسه ؛ فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغرت مترادفة ، وكثر استعمال الألفاظ في المعاني المجازية وصرفت عن معانيها الأصلية فضاغ الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة وأصبح لكل موضوع مها تكرر قوالب من اللغة ثابتة وأداة من اللفظ لا تتغير وتعاير مصوغة لكل مناسبة أو موضوع تنقل وتلصق كلما تكررت تلك المناسبة أو عرض ذلك الموضوع . فإذا كان الموضوع وصف حديقة أو تعزية صديق أو التعبير عن فرح أو طرب لم يتغير الكلام أياً كانت تلك الحديقة وفي أي بلد وأياً كانت مناسبة التعزية أو الفرح . وفي ذلك قتل لخصائص الأدب ومزايا الفن إذ انفن بقوم على إبراز المقومات والمزايا الخاصة والرفائق الحقة والمتاهر الزائنة واللمظات العابرة والمتاهر غير المتكررة .

لقد كان اللغويون أيام ازدهار اللغة يعنون بإبراز الفروق بين الألفاظ

وقد ألفوا في ذلك مؤلفات خاصة ككتاب الفروق لبُي ههول المسكري وقد طبع مختصره وأبواب الفروق من كتاب ارب الطائب لابن قتيبة والقسم الأول من كتاب فقه اللغة و اسرار العربية للتحالي .

وقد كان كتاب العربية في المصور الزاهرة يحرسون على دقة التعبير ووضع الألفاظ في مواضعها ومن هؤلاء أبو عثمان الجاهظ « فهو يستعمل الألفاظ التي تخصص مدلولاتها بها ولا تتناول سواها بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آلة أو أداة أو طعاماً أو لباساً أو شيئاً من هذه الأشياء المادية ذكرها بأسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصيص بين أنواعها المختلفة فن ذلك الشبوطه والجؤافة والشلقة لضروب من السمك والجمفرية لضرب من السفن. والمسرجة والمصباح والقنديل لما يستصبح به ، والصتام لما تسد به القوابير ، والكستاح للعامل الذي ينظف المتاعب والمجاري ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع<sup>(١)</sup> للطريق الضيقة بين المنازل ، والحصر والبواري ( جمع بوري وباري وهي الحصر المنسوجة ) . والمخدة والمرفقة ، والمبطنة والقميص والكساء والجبّة والبرنكان والقلنسوة لأنواع من الأثاث واللباس . وأما أسماء أنواع

---

(١) وفي اللسان طريق رائع مائل وفي حديث الاحنف فمدت إلى رائفة من روائع المدينة أي عن طريق بديل ويميل عن الطريق الاعظم .

الأطعمة والولائم . وصنوف المحتالين والمُكذِّبين ، فأكثر من أن تحصى في كتاب البهراء . ونجد هذه الدقة أيضاً عنده في استعمال الأفعال للدلالة على عمل بعينه أو على هيئة أو على حالة خاصة . ومن ذلك « التقيير والتقيير والتنظيف ( للرغيف ) ونشيش اللحم لصوته حين القلي ، وتريده ، وماء النخالة يمصم أي يمنع من الجوع وتكرش الكساء ، وكدم أنف السمكة ، ويَطْرُ جنبيها باللقمة بعد اللقمة ( أي يمر القطعة من الخبز ضاغطاً عليها كما يفهم من سياق القصة ) ودعني أغني في دهليزك ، وهجمت عليه بمعنى دخلت فجأة على غير انتظار منه ، وحاط بطن السمكة بلحظه ، وشحا للثمة فاه ، فتحه لتناولها ، وبكر البرد أتى قبل أوانه ، وما تحلج لي سن ، وتعصر قليلاً ثم باح بسره ، وأمثالها كثيرة يمكن الرجوع فيها إلى النصوص نفسها<sup>(١)</sup> .

وتجد مثل هذه الدقة في الوصف عند كثير من كتاب العربية في مختلف العصور ولا سيما في القرون الأربعة الأولى بعد الإسلام . ومن هؤلاء الكتاب الذين تميزوا بهذه الدقة عبد اللطيف البغاري ( ٥٥٧ - ٦٢٩ هـ ) فقد كان دقيقاً في ملاحظته وتعبيره في رحلته إلى مصر التي سماها « الافادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر وحيواناتها وآثارها وصفاً يبعث في الإنسان

---

(١) من كتابنا ( فن القصص في كتاب البخلاء لمجاظ ) المطبوع بدمشق ص ٣٨ .



الدهشة والتعجب فمن ذلك قوله في وصف البامية : « وهي ثمر بقدر ابهام اليد ، كأنه جِراء<sup>(١)</sup> القثاء ، شديد الخضرة . إلا أن عليه زيباً مشوكاً ، وهو خمس الشكل ، يحيط به خمسة أضلاع ، فاذا شق انشق عن خمسة أبيات بينها حواجز ، وفي تلك الأبيات حب مصطف ، مستدير أبيض أصفر من اللويا ، هش ، يضرب إلى الحلاوة ، وفيه قبض ولماية كثيرة »<sup>(٢)</sup> .

بهذا الأسلوب البسيط الدقيق في كلماته وصف البغدادي في رحلته هذه سائر ما شاهده في مصر من النبات والحيوان ومعالم العمران والآثار القديمة وإنما كانت دقة الوصف من استعمال الألفاظ المطابقة لما فيها الدقيقة في دلالاتها .

ونحن اليوم بحاجة للتحرر من آفات عصور الانحطاط في ميدان اللغة والعودة إلى خصائص العربية في استعمال اللفظ الخاص والعام كل في موضعه اللائق به ومكانه المناسب له . فحياتنا العلمية تحتاج إلى دقة التعبير وتحديد المعاني وحياتنا الفنية في حاجة كذلك ، لتصور مشاعرنا وأحاسيسنا ومشاهد حياتنا ، إلى هذه الدقة اللغوية .

---

(١) جِراء جمع جرو الصنار من كل شيء .

(٢) عبد اللطيف البغدادي في مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة ص ٢٠ .

### العموم وأولُ لُفاظ العامة :

على أن الألفاظ الدالة على معان عامة سواء في عالم المادة أو في عالم المعنويات هي بما يحتاج إليه الإنسان في مراحل ارتقائه الفكري . ذلك أنه لا بد من إطلاق الأحكام العامة الشاملة لأنواع كثيرة من الموجودات والحوادث والأفعال ، وتصوير آفاق الكون الواسعة . ولا غنى له كذلك عن الحكم على المشاعر النفسية والعواطف ، وجمع الكثير منها في أنواع شاملة ، ولا سيما بمد انصراف فريق من العلماء إلى دراسة النفس في الفرد والجماعة . وهو بحاجة إلى ألفاظ تعبر عن المفاهيم الخلقية والأفكار العامة التي نشأت في الحياة الانسانية ونمت وتطورت .

إن اللغة العربية سدت هذه الحاجة إلى الألفاظ العامة وامتدت إلى هذه الآفاق الواسعة وأمدت المتكلم بها بما يحتاج إليه من ألفاظ تعبر عن هذه المعاني العامة في الميدان المادي والمعنوي منذ عهد بعيد وبذلك استطاعت أن تكون لغة الفلسفة والفكر كما كانت لغة العلم والفن والشعر .

إن اللغة الراقية لا يمكن أن تستغني عن مثل ألفاظ : الكون والعالم والأفلاك والأرض والسماء والنبات والحيوان والماء والمعادن والأجسام ، وهي ألفاظ عامة بمعنة في العموم في ميدان العالم المادي ، ولا عن مثل الروح

والنفس والحس والشعور والقوة والضعف والكثرة والقلة والخير والشر والنظام والفوضى ، وهي ألفاظ عامة في ميدان العالم المنوي ، ومثلها الألفاظ الدالة على الأفعال كالإباحة والمنع والذهاب والرجوع والقطع والدخول والخروج والفتح والإغلاق وما إليها .

إن اللغة العربية غنية جداً بالألفاظ الدالة على المعاني العامة كما أنها غنية لفاظ الخاصة الدقيقة . ونحن محتاجون إلى النوعين كليهما في حياتنا ونهضتنا ولكل منهما موضع يليق به . ولكن استعمال العام أسهل من استعمال الخاص ، لأن الخاص يحتاج إلى ذخيرة من اللفظ أوسع ومادة أغزر ، ويحتاج إلى تمييز واختيار ومزيد من الجهد والتفكير ؛ ولذلك كانت النفوس إلى استعمال اللفظ العام أميل وأقرب ، وكان ذلك هو الشائع في عصور الترف والكسل والأخطاط .

ولهذا وجب بذل الجهد في إحياء خاصة الدقة في التعبير وتربية القلم . وتدريبهم على استعمال الدقيق من الألفاظ واختيار اللفظ المطابق لمعناه بلا زيادة ولا نقصان فإن هذه التربية لا يقتصر أثرها ونتيجتها على الناحية اللغوية فهي لغوية وفكرية في آن واحد .

## تحرير اللغة من الجمود والفوضى

الأخطاء الشائعة

الفرق بين الخطأ والتطور :

العربية الفصيحة الحية تقع على الجادة الوسطى بين الجمود المانع من الحركة والتجديد والحياة النامية، والفوضى أو الإباحية اللغوية القائلة لخصائص اللغة المشوهة لها . لقد اشتد بعض الناس في المحافظة على اللغة وغلوا في ذلك غلواً كبيراً ولم يصدروا في ذلك عن فقه صحيح للعربية ولا فهم واع لحياتها وقواعد نحوها فوقفوا عند نصوص المعاجم لا عند نظام اللغة ووراء الشواهد دون القواعد فحرموا حلالاً ومنعوا مباحاً .

مع أن من الواجب التمييز فيما يجد من ألفاظ اللغة بين ما كان ناشئاً عن طبيعة اللغة متولداً من قواعدها تخضت عنه موادها وأبنيتها فجاء تمام الحمل كامل الحلقة وما كان دخيلاً عليها لم تحمل به أرحام فريية بل جاء لغيةً وتولد عن هجنة أو عجمة فجاء غريباً عنها بخلاً بنظامها مشوهاً لجمالها .

يجب التفريق بين ما هو خطأ وانحراف وما هو توليد وتجديد وتطور

فكلاهما حدث جديد في اللغة وتبديل في بعض ظواهرها ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة وسنن نموها وناموس حياتها وقواعد فطرتها ويخل بنظامها كما سيتبين من الأمثلة التي سنذكرها وأما التجديد والتطور فهو تبديل وإحداث يجري وفقاً لسنها وينساق مع فطرتها ويتقاد لقواعدها ويوافق روحها وخصائصها

إن إحياء اللغة منوط بتحريرها من الجمود والمقم من جهة ومن الفوضى والخروج من قواعد اللغة وهو موضوع بحثنا هذا .

#### التحرر من الجمود :

منع بعض اللغويين في عصرنا استعمال بعض الألفاظ الشائعة بحجة عدم ورودها في المعاجم وأن العرب لم تستعملها وذلك كلفظ التطور والفنان مع أن منهم هذا ليس إلا تصديقاً لما وسعه العرب . فكلمة التطور اشتقت في هذا العصر من كلمة طور على وزن صحيح معروف هو التفاعل كما اشتقوا من الحجر التحجر ومن النمر التمر . وهي كلمة احتيج إليها للتعبير عن معنى جديد غير التبدل والتغير وهو الانتقال من طور إلى طور . فأى حرج في هذا الاشتقاق ما دام الأصل عربياً والوزن عربياً والمعنى لا يؤدي بلفظ آخر موجود . وأما لفظ الفنان فهو على وزن فعّال من الفن والفن في الأصل الفصن وقد استعمل

مجازاً لمعان عدة منها فنون العلم أي ضروبه ثم خصص في عصرنا بمعنى ما يقابل العلوم المحضة فالشعر والنثر الأدبي والفناء فنون . وقد استعمل العرب وزن فعّال للصنعة والنسبة فقالوا عطار وزيات وزجاج لمن نسب إلى العطر والزيت والزجاج وعلى هذا القياس يكون فنان وهو نسبة إلى الفن مفيداً لمعنى صاحب الفن والملازم له أو من يتخذه عملاً أو صنعة ولا عبرة مطلقاً لاستعمال العرب قديماً لهذا اللفظ لمعنى آخر وهو حمار الوحش المخطط الجلد والذي له فنون من العدو فكثيراً ما تبدلت معاني الألفاظ واكتسبت معاني جديدة إذا كان أصل المعنى يحتملها .

ومن هذا فتخطئة هذين اللفظين من الجمود المنافي لروح اللغة وخصائصها ومن التضييق والاحراج الذي لا مسوغ له .

ومن هذا القبيل جمع الميل على ( ميول ) وهو مصدر لتنوعه كالمعلوم واستعمال واطنه فهو ( مواطن ) بمعنى شاركه في الوطن قياساً على ساكنه وآكله وجالسه شاركه في ذلك كله وإن لم تستعمل العرب هذه الألفاظ وأمثالها .

اسباب الخطأ في اللغة :

يرجع أكثر الخطأ في اللغة في العصر الحديث إلى ضعف الملكة اللغوية

الموروث عن عصر الأخطاط الماضي الذي سادت فيه العجمة وغلبت العامية .  
فقد فشت الأمية في ذلك العصر حتى كان الذين يحسنون مطلق القراءة  
والكتابة قليلين ومن كان يعرف الكتابة منهم كان يكتب العامية بالأحرف  
المرية والنادر من يجيد الفصحى إجادة معرفة وملكة حتى من العلماء أنفسهم  
إلا فريقاً قليلاً ممن عني باللغة عناية خاصة وغلب على هؤلاء نقل النصوص اللغوية  
من المعاجم دون تحكيم السليقة المرية والملكة اللغوية ومحاولة التجديد  
والتوليد وفقاً لقواعد اللغة وطرائق نموها وخصائصها في الاشتقاق والتعريب  
والتخصيص والتعميم والمجاز فكانت الحياة تسير في جانب واللغة عند هؤلاء  
منزلة في جانب آخر فلىء هذا الفراغ اللغوي بالعامية والألفاظ الدخيلة الأعجمية  
من غير مراعاة لطرق العرب في التعريب .

أضف إلى هذا السبب القديم ، الذي امتد أثره واتسعت دأثرته حتى شملت  
أكثر الناس . مدة طويلة من الزمن بلغت المئات من السنين ، سبباً جديداً يشبهه  
ويضارعه وهو أثر العجمة الجديدة الناشئة عن اختلاط العرب بالأعاجم من  
أهل أوروبا عن طريق التجارة والثقافة والاستعمار . فقد أثرت اللغة الفرنسية  
والانكليزية على الخصوص في اللغة المرية الحديثة بعض التأثير ولا سيما في  
أوائل هذا المضر حين كانت الملكة المرية أضنف ما تكون ، ولكن هذا

التأثير أخذ فيما بعد يتناقص بعودة الملكة العربية حين عاد العرب إلى تراثهم  
يحيونه وإلى لغتهم يتدارسونها وإلى أدبهم القديم يعيشونه من مرقدته ، ومع  
ذلك فقد بقيت لهذه اللغات الأجنبية الحديثة آثار سنرى أمثلة منها .

### ما انف في الموضوع :

وقد كتب اللغويون منذ القرن الثاني للهجرة في تصحيح ما يقع الناس  
فيه من خطأ وتوالت التأليف حتى العصر الحاضر في هذا الباب ومن أقدم  
ما ألف فيه كتاب لحن العامة للكسائي (توفي ١٨٩ هـ) وكتاب إصلاح المنطق  
لابن السكيت (٢٤٤ هـ) وابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب ومما ألف أيضاً  
درة النواص في أوهام الخواص للحريري القاسم بن علي صاحب المقامات  
المتوفي (٥١٦ هـ) وشرحه شهاب الدين الخفاجي المتوفي (١٠٦٩ هـ) كما خصص  
السيوطي في الزهر فصلاً لمعرفة المولد ضمنه ما تخطى به العامة .

وكتب في هذا الموضوع في هذا العصر منذ أوائل النهضة عدد من  
اللغويين والمشتغلين بقضايا اللغة كتباً ونشروا مقالات كثيرة في المجلات  
وجرت بينهم مناظرات ومناقشات منهم ابراهيم اليازجي ومعروف الرصافي  
ومصطفى الغلاييني و ابراهيم المنذر وسليم الجندي وأحمد العوامري وغيرهم ومن  
أجمع ما كتب في هذا الباب وأحسنه تأليفاً كتاب ( أخطاؤنا في الصحف



واللواوين ) للأستاذ صلاح الدين سمدي الزعبلوي وقد طبع عام ١٣٥٨ هـ -

١٩٣٩ م بدمشق .

### أنواع الأخطاء وتصنيفها :

يجدر بنا أن ننظر في أنواع هذه الأخطاء فذلك أولى من سردها على أنها مفردات متشورة لا ينظمها ناظم ولا يضبطها ضابط وأدعى لمعرفة مواطن الخطأ وضوابط التخطيط والتصحيح . والخطأ يمكن أن يقع في الكلمة المفردة أو في تركيب الكلام . والخطأ في الكلمة المفردة يمكن أن يكون خطأ في معناها أو في لفظها أو في صيغتها أو في أصل وجودها . وسنورد فيما يلي أمثلة من هذه الأنواع على سبيل التمثيل لا الحصر .

١ - فن الألفاظ المستعملة ما لا يصح استعماله لأنه يواصل في اللغة وليس هو من العرب الذي دخل اللغة أو المولد عن طريق الاشتقاق وفي اللغة ما يعني عنه وذلك مثل كلمة ( الطقوس ) ويقابلها في العربية الشعائر والمناسك وكلمة ( كرس ) وليس في اللغة إلا الانكراس بمعنى الانكباب فقولهم كرس جهوده لعمل كذا صوابه أن تقول جمعها أو قصرها على كذا أو انكب على كذا أو انصرف إليه و( الصدفة ) والصواب المصادفة و( صدف ) وصوابها صادف و ( تمن ) وهو خطأ صوابه أمن النظر وتأمل . و ( برر

والمبررات) وصوابها سوغ فنقول مما يسوغ هذا العمل ويجيزه واحتج  
لعمله بكذا .

٢ - ومن هذه الألفاظ ما نجد له بعض المسوغات وإن لم يكن في الأصل  
صحيحاً كلفظ نلاشي وقد نحتوها من لا شيء وهي مولدة في عصر متأخر .  
والأهمية وهي لفظ منسوب إلى أفعال التفضيل مع تاء الاسمية وهي غير فصيحة  
والفصيح أن تستعمل بدلاً منها الشأن والخطورة .

٣ - الخطأ في ضبط الألفاظ . ومن ذلك خطأ كثير من الناس في ضبط  
بعض الألفاظ مما نذكر صوابه أولاً تثبتاً له في الذهن كبعض الأفعال  
الثلاثية مثل نضج بالكسر ينضج بالفتح نضجاً لا نضوجاً وصعد يصعد  
كذلك بكسر ففتح ورجع يرجع ومثلها عرف يعرف وشلت يده بالبناء للمعلوم  
وعرض الحائط جانبه بالضم وقطعه إرباً إرباً بتسكين الراء والردح من الزمن  
بفتحين واستهتر بالشيء بالبناء للمجهول افتتن به وأولع والوفيات جمع وفاة  
بفتحين ولا حراك به بفتح الحاء وشغاف القلب وعنان السماء ولا غناب<sup>(١)</sup> به  
كلها بالفتح وكذلك طوال شهر وأماطوال بالكسر فجمع طويل والمياني  
بمعنى المعانيسة بكسر العين والرفاء في قولهم بالرفاء والبنين بمعنى الوفاق والجمع

---

(١) وهي اسم مصدر من أغنى يعني وأما الغناء بالكسر فاسم مصدر من غنى يعني .

والشغب بتسكين العين والرّقم بتسكين القاف وجوّعان بفتح فسكون والأهبة بضم فسكون والفتح بكسر الفاء والعلاقة بفتح العين للصلة المنوية وبالكسر لما يعلق به كعلاقة السيف والروع بالضم بمعنى النفس وبالفتح الخوف ولا يفرق بعضهم بين نَفَذَ السهم ينفذ بالذال المعجمة بفتح فضم ونَفَذَ الزاد ينفذ بالذال المهملة وهي بكسر ففتح ولم يُجِر جواباً من أحرارٍ يُجِر بمعنى أُرْجِع والخنجرة بفتح الحاء والجيم والإخصائي بكسر الهمزة وتسكين الحاء من أخصي يخصي بمعنى اختص .

٤ - ومن أنواع الخطأ الخطأ في صيغ بعض الألفاظ والعدول بها عن وجهها الصحيح :

ومن ذلك الخطأ الفاضح في جمع مدير على مدراء والمفتي على المفتاي والمدير اسم فاعل من أدار على وزن مقيم ومفيد ومريد وجمعها للمذكر السالم مديرين وكأنهم توهموا أنها على وزن كريم وشريف والمفتي اسم فاعل من أفتى فوزنها كذلك مفعل وتجمع على مفتين ومثلها المشكلة من أشكال فتجمع على مشكلات لأن مفعل لا تجمع على مفاعل إلا ألفاظاً قليلة نادرة وردت عن العرب كالمراضع والمطافل والمساكن والمذاكي . ولفت النظر من لفت يلفت الثلاثي لا من الرباعي وفسح المجال يفسحه والافساح لغة غير فصيحة . وخصيصي

على وزن فعيلى بالألف المقصورة دون تنوين ومؤنث الملائن ملائى لا مليئة  
واسم المفعول من باع وصان وقاد مبيع ومصون ومقود وخلاف ذلك خطأ  
فلا يقال مباع ومصان ومقاد واسم المكان من صاف مصيف بكسر الصاد  
وتقول ملأه وهاجه وشغله ولا تدخل عليها الألف . والحاسة بالثاء لا دونها  
وجمع الزهر أزهار لا زهور والوادي أودية لا وديان والسيد سادة لا أسياد  
والحاجة حاجات لا حاجيات والحاجيات منسوبة إلى الحاجة والحاجي في مقابل  
الكيمي وهو غير الحاجة والأوائل جمع الأول والأولى لا جمع الآلة فهي  
تجمع على آلات .

هـ - الخطأ في معاني الألفاظ: وذلك بنقلها إلى معنى آخر نقلاً لا تجوز  
أساليب اللغة وقواعد البلاغة ووضعها في غير موضعها كقولهم ( تنفس  
الصعداء ) ومعناه الصحيح تنفس النفس الإنسان في الصعود أي لقي شدة  
وعسراً والصعداء مصدر بمعنى الصعود وعامة الناس يستعملونها بعكس هذا  
المعنى يريدون الراحة واليسر . و ( رضخ ) ومعناها قطع وكسر وأعطى  
والأصل في معانيها كسر النوى والمظم وغيرها من اليابس ومنها رضخ رأس  
الحية ورضخ له من ماله كأنه كسره واقتطع منه قطعة وأعطاه إياها . والناس  
يستعملونها بمعنى خضع وليس ذلك من معانيها عند العرب ولا وجه له .

و ( المائلة ) مؤنث المائل وهو الفقير ويستعملها الناس بمعنى الأثرة والعيال .  
ويقولون ( يلزمني ) من المال كذا يريدون احتاج إلى كذا ويعوزني المال . وهو  
خطأ ومعناها الصحيح يظهر لك في مثل قولهم وأولادك تلزمك نفقتهم وعلى  
هذا يكون المعنى الصحيح لقولك لزمني مال كان معي أي صحتي ولم يفارقتي  
هذا المال وأما استعمال المناطقة لهذه الكلمة في مثل قولهم وهذا الأمر من  
لوازم هذا فصيح منقاد للأصل . و ( الوجدان ) مصدر وجدت الشيء وهو ضد  
الوجدان ومنه قول المتنبي :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بمدكم عدم

واستعمالها بمعنى الضمير والشعور الخلقى غير صحيح ولا مسوغ له  
ويجوز أن تستعمل في بعض ما تستعمل له كلمة conscience الفرنسية في الفلسفة  
وعلم النفس بمعنى شعور الإنسان بنفسه ووجدانه لها إذا اصطاح على ذلك  
وهو قريب المأخذ من الناحية اللغوية .

و ( الفشل ) معناه الضعف ومنه قوله تعالى ( ولا تنازعوا فتفشلوا )  
والناس يستعملونها بمعنى الإخفاق وضد النجاح . ويستعملون كلمة ( قاصر ) في  
موضع ( مقصور ) والقاصر العاجز والصغير وتقول قصرت عملي على كذا  
فعملي مقصور عليه . ( والعقيد ) المهيأ لا المرتقب . و ( طالما ) تستعمل للتكثير

فتقول طالما زرته أي ما أكثر ما زرته ويستعملها بعض الناس للتعليل خطأ وكلمة (أمضى) متعدية تفيد معنى الانجياز والتنفيذ كقولك أمضى البيع والعقد والأمر ويستعملونها خطأ في مكان قضي في عمله شهراً ويجوز أن تقول مضيت في مكاني شهراً . ومن الألفاظ ما يتبدل معناه تبديلاً لا تأباه لغة العرب ومنه ما يكون قريب المأخذ منقاداً لأصل صحيح ومنساقاً مع أساليب العرب في المجاز أو التعميم أو التخصيص كاستعمال لفظ الصادر والوارد للبضاعة والرسائل ومنه ما يقبل بشيء من التأويل والتوسع وقد يكون غيره أحسن منه وأفصح وذلك كاستعمال (الشخص) والأشخاص لمطلق الإنسان والناس والشخص في الأصل سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد وكل شيء رأيت جثمانه فقد رأيت شخصه . الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص<sup>(١)</sup> وأما إطلاق هذا اللفظ على الفرد من البشر مطلقاً فاستعمال جديد يفسد علينا فهم كثير من النصوص القديمة كقول عمر بن أبي ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان وممصر  
أي ثلاثة أجسام أو هيكل كل شاخصة فتطلق كلمة الشخص على الإنسان

---

(١) لسان العرب مادة شخص .

باعتباره جسماً شاخصاً يرى من بعيد دون أن يعرف بالذات كما يطلق على غيره أيضاً كأن تقول : رأيت شخصاً من بعد فاقتربت منه فوجدته فرساً وتقول سمعت صوته ولم أر شخصه أما استعمال الناس لها اليوم فيمكن أن تستبدل بها كلمات أخرى كقولك رأيت ثلاثة أفراد وأعطيت لكل نفر منهم حصته ولكل فرد من الناس حق الحياة .

ويستعمل الناس اليوم ( الامتياز ) بمعنى التفوق والأفضلية وهي في الأصل بمعنى انفصال الشيء عن غيره فتقول مزت الشيء أميزه أي فصلته فامتاز أم انفصل ومنه قوله تعالى « فامتازوا اليوم أيها المجرمون » أي انفصلوا . إذا كان الانفصال إنما يكون لسبب أو صفة تجعل الشيء منفصلاً عن غيره فقد اقترن بالامتياز معنى الاختلاف والتباين ثم انتقلوا من ذلك إلى معنى التفضيل وهو معنى حادث مشتق من المعنى الأصلي الذي هو التفريق والفصل .

ومن الألفاظ التي استعملت في معنى جديد وغيرها أفصح منها وأصح وهي متولدة من تأثير بعض اللغات الأجنبية ( اعتنق ) فيقولون اعتنق الإسلام أو المسيحية والعرب تقول دان بالإسلام أو اتخذ ديناً أو دخل في الإسلام وأما تعبير اعتنق ديناً أو مذهباً فترجمة حرفية لكلمة embrasser الفرنسية

وكذلك كلمة (بنى) فكرة أو خطة فهي ترجمة حرفية لكلمة adopter  
والعرب يقولون ذهب هذا المذهب وأخذ به وارتأه .

٦ - الخطأ في التعابير والتراكيب : ومن هذا الباب الخطأ في التمديدية  
وفي استعمال بعض الحروف والأدوات النحوية في غير مواضعها وقد نشأ بمض  
ذلك بتأثير إحدى اللغات الأجنبية من ذلك أن امر تمضى في لا بلى وتعود  
واعتاد لا تحتاج إلى حرف لتمديتها فتقول تعودت واعترت وكذلك كلفته  
الامر وبكفيه الامر وهماز الشيء ونحربته كلها لا تحتاج إلى حرف للتمدية  
وتقول استبرلت بثوبي القريم جديراً لا العكس فتدخل الباء على الشيء المتروك  
واستفنته سيارة وأقلته أي حملته ولا يقال استقل هو السيارة .

ومن التعابير التي يخطئ بمض الناس فيها قولنا - وهو الصواب - أشياء  
مستقل بمضها عن بعض وجماعة يحب بعضهم بمضاً ويقاثل بعضهم بمضاً أو  
يتقاتلون وبعض الناس يستعملونها على غير هذا الوجه . ومن فساد التركيب  
أن تقول فعلت نفس الشيء والصواب في هذا الموضع فعلت الشيء نفسه وهو  
من تأثير الترجمة من الفرنسية كقولهم : يشترك هؤلاء في نفس الصفات  
والصواب يشتركون في الصفات نفسها وقولهم يسكنون نفس البيت والصواب  
يسكنون بيتاً واحداً أو البيت نفسه .



ومن التعابير الناجمة عن المعجمة الجديدة وهي تشف عما وراءها من التعابير الأجنبية قولهم ( يوجد ) عندنا مال و ( يوجد ) في البلاد معادن كثيرة والعربي إنما يقول عندنا مال وفي البلاد معادن كثيرة . ومن ذلك قولهم : اتخذته ( كصديق ) لي والصيغة العربية لهذا الكلام اتخذته صديقاً والكاف في العربية للنشيه ولا معنى لها هنا وأما قولنا أنا ( كواطن ) لي الحق في ... فصوابها إني بصفتي أو باعتباري مواطناً . ومن هذه التعابير التي تنضج بالمعجمة وترشح استعمال اللام مع وحده وهو خطأ فاضح قبيح فتعبر ( وحده ) لا تستعمل إلا هكذا وهي منصوبة دوماً على الحالية وقد نشأ الخطأ من الترجمة الحرفية للتعبير الفرنسي . وكذلك قولهم عملت ( بصورة حسنة ) وكتبت بصورة واضحة والصيغة العربية لذلك عملت عملاً حسناً وكتبت بوضوح .

وهذه الدار مسكونة ( من قبل ) فلان والفصيح قولك هذه الدار يسكنها فلان . ومن ركيك الترجمة قولهم ظل يعمل ( لدرجة ) أنه مرض وأين هذا من الكلام العربي الجميل ظل يعمل ( حتى ) مرض . ومما ينبو عنه النوق العربي السليم استعمال إياه وإياها في مثل قولك المسألة إياها أي المسألة المذكورة أو المبهودة أو هي نفسها وهو تمبير فرنسي ومثله قولك

لا أعلم إذا كان نجح والصحيح لا أعلم أنجح أم لا . وتكرار ( كلما ) للشرط والصواب عدم تكرارها كقوله تعالى : كلما دخل عليها زكراً المحراب وجد عندها رزقاً .

ومن الخطأ إدخال اللام في جواب إذا وهي تدخل في جواب لو، وإدخال الواو في قولنا كما أنه وفي قولنا لا بد أنه وإدخال ال على غير والصواب أن تقول الصفة غير الشخصية والناحية غير المقبولة .

ومن التعابير المترجمة التي تفوح منها رائحة المجمة قولهم ( كم هو جميل ) بدلاً من ما أجمله والعرب إذا أرادت التعجب من المقدار أو الكمية استعملت كم كقولك كم كتاب قرأت ! أو قولك كم مرة طرقت بابك ! وإذا أرادت التعجب من الصفة قالت ما أجمله وما أحسنه وما أسكنزه أو أجل به وأحسن به ....

ومن الخطأ في التركيب قولهم لا يجب أن تكذب ومعنى هذا الكلام في العربية أن الكذب ليس بواجب وإنما يريد القائل أن يقول يجب ان لا تكذب أي أن عدم الكذب واجب وفرق كبير بين التبيين .

هذه نماذج وأمثلة مما يخطئ به بعض الناس من الأخطاء التي شاعت في هذا العصر بسبب ضعف الملكة اللغوية وفشو العامية في العصر الماضي أو بتأثير

اللغات الأجنبية لاتصال المثقفين بها والترجمة والنقل عنها واحتذاء تمايرها  
وأساليبها عرضها لنستطيع إدراك ما نحن فيه من ضعف أو عجمة لتعذر منها  
ونرجع إلى الملكة العربية تقويها في أنفسنا ونروض عليها ألسنتنا ونهمل من  
يتأبى العربية الصافية وأساليبها الفصيحة .

. . .

هذا وإننا بمد أن استعرضنا خصائص الكلمة العربية في أصوات حروفها  
ونيتها وقواها أو مبانيها وعرفنا الصلة الوثيقة بينها وبين خصائص العرب  
أنفسهم في تركيب مجتمهم وتكوين أفرادهم وروابطهم المادية والمعنوية نرجو  
الله أن يتيح لنا الفرصة القريبة لدراسة الجملة العربية . بخصائصها وأنواعها .  
ومن النظر في هذه الخصائص جميعاً يستبين لنا النهج القويم للتجديد اللغوي  
فنصل الحاضر بالماضي متوجبين في سيرنا نحو المستقبل مزودين بأداة قوية  
والسنة قوية تعبر عن عقول مستنيرة وقلوب مؤمنة ويكون من اجتماع ثلاثها  
الاضطلاع بمعبء رسالة الانسانية في الوجود .

## المراجع العربية<sup>(١)</sup>

الخصائص ٣ اجزاء	ابن جني
سر صناعة الاعراب	
المنصف شرح كتاب التصريف للمازني	
ليس في كلام العرب	ابن خالويه
الصاحي في فقه اللغة	ابن فارس
مقاييس اللغة ٦ اجزاء	
أدب الكاتب	ابن قتيبة
لسان العرب	ابن منظور
الزينة	أبو حاتم الرازي
فقه اللغة	الثعالي
المزهر تحقيق محمد أحمد جاد المولى	السيوطي
العلم الخفاق في علم الاشتقاق (طبع القسطنطينية ١٢٩٦)	حسن صديق خان
رحلته إلى مصر المسماة الافادة والاعتبار	عبد اللطيف البندادي
السماع والقياس	أحمد تيمور
القاهرة	
الكافي في اللغة	طاهر الجزائري
القاهرة ١٣٢٦ هـ	
التقريب في اصول التعريب = ١٩١٩	

(١) ذكرنا المراجع المتعلقة بابحاث الكتاب سواء رجعنا إليها في ابحاث كتابنا ام لم نرجع على ان ذكرناه قليل من كثير مما ألف في الموضوع .

١٩٠٤	القاهرة	الفلسفة اللغوية	جرسي زيدان
١٩٣٨		نشوء اللغة العربية ونموها واكتسابها	انستاس الكرملي
		مقدمة لدراسة لغة العرب	عبد الله السلايلي
			الدكتور علي عبد الواحد وافي علم اللغة
			فقه اللغة
١٩٥٦		الاشتقاق	عبد الله امين
١٩٥٨ و ١٩٥٠		من أسرار العربية	الدكتور ابراهيم انيس
١٩٥٨		دلالة الالفاظ	
١٩٦٠		دراسات في العربية وتاريخها دمشق	محمد الخضر حسين
	القاهرة	اللغة الشاعرة	عباس محمود المقاد
		اشتات مجتمعات	
١٩٦٢	بيروت	دراسات في فقه اللغة دمشق	الدكتور صبحي الصالح
١٩٦١	بغداد	دراسات في اللغة	الدكتور ابراهيم السامراني
	القاهرة	مشكلات اللغة العربية	محمود تيمور
١٩٥٥		المصطلحات العلمية في اللغة العربية	الامير مصطفى الشهابي
١٩٥٨		اللغة بين الميابة والوصفية	الدكتور تمام حسان
١٩٥٥		مناهج البحث في اللغة	

## المراجع الأجنبية

Vendryes . le langage 1922

Darmesteter . Le vie des mots . éd . 1937

S . Ullmann . précis de sémantique française Berne . 1952

دور الكلمة في اللغة ترجمة الدكتور كمال محمد بشر

Marouzeau . précis de stylistique française paris . 1950

La linguistique . Paris 1950

Notre langue . 1955

Cressot . Le style et ses techniques Paris 1951

M . Schone . vie et mort des mots . Paris 1951



# الفهرس

	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الاولى	٩
اللغة ودراستها . علم اللغة	١٤
عناصر اللغة واقسام علم اللغة	٢١
علم اللغة عند العرب	٢٤
قه اللغة في العصر الحديث	٢٨
منهج البحث في اللغة :	٣٠
الاستقراء	٣٠
المقارنة	٣١
اعتبار التطور في اللغة	٣١
استنتاج القوانين العلمية	٣٦
تسمية علم اللغة	٣٩
فوائد علم اللغة	٤٠
الأصوات الصوتية	٤٣
الجهاز الصوتي وحدث الصوت	٤٣
مخرج الحروف	٤٥
صفات الحروف واتسامها	٤٩

	صفحة
التبدلات الصوتية	٥٤
عوامل التبدل وأسبابه	٥٥
قوانين التبدل الصوتي	٥٨
أنواع التبدل الصوتي ومظاهره وقوانينه	٦٤
الاشتقاق	٦٩
الاشتراك في الأصوات الأصلية	٧٣
الاشتراك في المعنى العام	٧٥
آراء في الاشتقاق	٧٨
أنواع الاشتقاق	٨٥
الاشتقاق الصغير	٨٥
الاشتراك في حرفين . النظرية الثنائية	٨٧
القيمة التعبيرية للحرف	١٠١
الاشتقاق الكبير	١٠٦
الابنية والأوزان	١١٢
دلالة الابنية أو معاني الصيغ	١١٥
أوزان الابنية ووظيفتها الفنية	١٢٥
الصيغ والأوزان في اللغة العربية	١٢٧
عددتها وتصنيفها	١٢٩
أوزان الأسماء وأوزان الأفعال	١٣٣
أوزان الالفاظ الاعجمية	١٣٦
حياة الابنية	١٣٧
تمدد معاني الابنية	١٣٧



	صفحة
تعدد الصيغ للمنى الواحد	١٣٨
تولد صيغ جديدة	١٣٩
تطور الأبنية	١٤٠
تكملة لبحني الاشتقاق والأبنية	١٤٧
اشتقاق الرباعي والخماسي	١٤٧
التحت	١٤٨
الاشتقاق المركب وتوم الاصلة	١٤٩
الاشتقاق والتصريف	١٥١
معاني الالفاظ	١٥٣
قيمة البحث في دلالة الالفاظ	١٥٨
عقلية الشوب في مفردات لقتها	١٦٢
دراسة معاني الالفاظ	١٦٤
دلالة اللفظ على المعنى	١٦٦
الفاظ المعاني Sémantème والفاظ الارتباط Morphème	١٦٨
عناصر المعنى :	١٧٠
المادة الاصلية	١٧١
أ الحروف الصائتة	١٧٦
ب حروف المد	١٧٨
ج الحركات	١٨٠
البناء الصرفي	١٨١
حياة الكلمة والسياق	١٨٢

	صفحة
وضع الالفاظ ونشأة اللغة	١٨٥
أصل اللغات	١٨٦
توليد الالفاظ	١٩١
تطيل الالفاظ	١٩٣
الكلمة رمز وسمة لا تعريف	١٩٦
الاشتراك . الاضداد	١٩٨
الترادف	١٩٩
التسمية تصنيف	٢٠٠
التسمية تجريد	٢٠٢
الالفاظ والحقيقة	٢٠٣
حياة الالفاظ	٢٠٦
تبدل معاني الالفاظ وتطورها	٢٠٧
المعاني ومماجم الالفاظ	٢١١
أسباب تطور معاني الالفاظ	٢١٢
أسباب لغوية	٢١٢
أسباب اجتماعية	٢١٤
أسباب نفسية	٢١٥
تبديل الالفاظ المدالة على المعاني	٢١٦
قوانين تبدل معاني الالفاظ وتطورها	٢١٨
التعميم	٢١٨
التخصيص	٢١٩
الانتقال بسبب المشابهة أو المجاورة	٢٢٠

	صفحة
خصائص العربية	
مشكلتنا اللغوية	٢٢٧
الوعي اللغوي بين الجمود والحياة	٢٣٠
مراحل الوعي اللغوي	٢٣٣
خصائص العربية	٢٤٦
الخصائص الصوتية	٢٤٩
الخاصة الاشتقاقية	٢٦٤
خصائص البناء أو الصيغة	٢٧٦
الوظيفة المنطقية اللابنية	٢٧٨
الوظيفة الفنية للابنية	٢٨٠
موسيقى اللغة العربية	٢٨٢
اثر أوزان الالفاظ في جمال الكتابة العربية	٢٨٤
الصيغ بين الثبات والتطور	٢٨٤
توليد الكلمة العربية	٢٨٧
اللغة العربية والطبيعة	٢٨٨
التعريب	٢٩١
اثر العربية في اللغات الاخرى	٢٩٤
تأثر العربية بغيرها من اللغات	٢٩٥
طريقة العرب في نقل الالفاظ الأجنبية	٢٩٨
خصائص معاني الالفاظ	٣٠٢
طريقة العرب في وضع الالفاظ وتسمية المسميات	٣٠٢
حياة العرب وتفكيرهم في مفردات لغتهم	٣٠٦

	صفحة
اللغة المرية وتصنيف الموجودات	٣٠٧
الحسيات والمجردات	٣٠٨
صفات الدقة والخصوص والمموم	٣١١
اقتران الالفاظ وحسن تطابقها	٣١٤
التخصيص والتميم والدقة	٣١٦
آفة الترادف والمموم والضموض	٣١٨
المموم والالفاظ العامة	٣٢٣
تحرير اللغة من الجمود والفضوى :	٣٢٤
الأخطاء الشائمة . الفرق بين الخطأ والتطور	٣٢٤
التحرر من الجمود	٣٢٥
أسباب الخطأ	٣٢٦
ما ألف في الموضوع	٣٢٨
أنواع الأخطاء وتصنيفها	٣٢٩
المراجع المرية	٣٤٠
المراجع الأجنبية	٣٤٢
الفهرس	٣٤٣